الدكتور محمد ضريف

جماعة العدل والإحسان

قراءة في المسارات

منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي

جماعة العدل والإحسان

قراءة في المسارات

الطبعة الأولى يونيو 1416هـ ــ 1995م

مقدمة

الفعل السياسي والفعل الديني، هل هما فعلان متمايزان كما يذهب إلى ذلك «اللائكيون»، أم هما فعل واحد كما يؤكد ذلك الاسلاميون؟. إن الجواب يتحدد بطبيعة الثقافة السياسية التي تتملك المجيب وبنوعية الأهداف السياسية التي يروم خدمتها. يتهم اللائكيون الإسلاميين بكونهم يوظفون «الدين» من أجل أهداف سياسية، ويشدد الاسلاميون على كون هذا التمييز يعتبر شيئا غريبا عن التقليد الاسلامي، والتباين في الرؤى مكمنه تباين في المرجعيات المعتمدة.

يجد «اللائكي» عناء في إقناع الآخرين بأطروحته، خاصة في نسق سياسي يتحكم الهاجس السياسي في مسلكيات جميع فاعليه الاجتماعيين *acteurs sociaux*، ويجد «الإسلامي» عنتا في إبلاغ مقالته، خاصة وأن الجماهير يحكمها تصور «تجزيئي» للإسلام، وبين هذا وذاك، تجتهد السلطة القائمة في بلورة تصورات تتلاءم مع أنماط الثقافة السياسية السائدة(1).

يضفي التداخل بين الفعل الديني والفعل السياسي ديناميكية على الحقل السياسي المغربي، فبين اتهام اللائكيين للإسلاميين بإرادة احتكار «الاسلام»، وهي إشارة الى اعتماد آلية التكفير الديني، واتهام الاسلاميين للائكيين برغبة احتكار «السياسة»، وهو تلويح بتبني آلية التكفير

1 ـ حول هذا المعطى، أنظر:

ـ محمد ضريف: النسق السياسي المغربي المعاصر ـ مقاربة سوسيو سياسية ـ منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي. البيضاء. 1992.

السياسي، تتقاطع ردود الأفعال لتفضي في آخر المطاف الى حوار «موؤود» لا يعمل على تأسيس ثقافة «حوارية» بل يجذر ثقافة «صدامية» جوهرها إقصاء للآخر ونفي للاختلاف واعتماد للعنف؛ عنف في الفعل وعنف في الخطاب.

إن منطق الإقصاء يشتغل من خلال آليتين: تغييب الآخر في مرحلة أولى وتحريف أفكاره في مرحلة ثانية، وقد نال الإسلاميون منهما الحظ الأوفى، هذا لا يفيد أن الاسلاميين ملائكة تعيش فوق الأرض، هم أناس يؤمنون بمشروع كما يؤمن غيرهم، ويعملون على تجسيده كما يعمل غيرهم، وأثناء العمل تقع انفلاتات وأخطاء، انفلاتات يحكمها منطق «التدافع» وأخطاء تنتجها عقبات «الابتلاء».

في سياق العلاقة بين الفعل الديني والفعل السياسي، يتساءل عبد السلام ياسين: هل «جماعة العدل والاحسان حزب سياسي أم تناوم ودروشة؟»(2)، وفي محاولة للإجابة عن هذا التساؤل تأتي هذه الدراسة متوخية إلقاء بعض الضوء على مواقف إحدى الجماعات الاسلامية الأكثر فاعلية في المغرب. وقد تقيدنا في دراستنا هذه على المستوى المنهجي بثلاثة ضوابط:

- **الضابط الأول**: لقد تركنا أدبيات جماعة العدل والاحسان تتكلم، من هنا كثرة الاستشهادات، ولم نتكلم إلا حيثما وجدنا صمتا.

- **الضابط الثاني**: لقد أوضحنا بعض أفكار الجماعة من خلال استحضار أدبيات بعض الجماعات الاسلامية، خاصة جماعات الإخوان المسلمين، حيث اعتبرناها كاشفة.

- **الضابط الثالث**: لقد تعاملنا مع كتابات عبد السلام ياسين كمشروع فكري/ سياسي مكتمل، فكانت المقاربة «البنيوية» أفضل وسيلة لملامسة هذا المشروع.

إن دراستنا مساءلة لتجربة «جماعة العدل والاحسان» في مساراتها الثلاث:

- **مسار البناء (القسم الأول)**
- **مسار تشكل الخطاب (القسم الثاني)**
- **مسار تحديد الرهانات (القسم الثالث).**

2 - عبد السلام ياسين: رسالة تذكير. مطبوعات الأفق الدار البيضاء 1995. ص: 7.

القسم الأول
مسار بناء الجماعة

قبل أن تتجسد أي جماعة من الجماعات إطارا تنظيميا وبناء إيديولوجيا. تكون فكرة أو مطمحا في مخيلة فرد أو بضعة أفراد يعملون على بلورتها وترجمتها في حيز الواقع، و«جماعة العدل والإحسان» عرفت طوال تاريخها، ابتداء كفكرة ومرورا كمشروع وانتهاء كواقع تنظيمي وسياسي عدة منعطفات ومنعرجات، ونحن في تتبعنا لمسار هذه الجماعة، ارتأينا أن نختزله في مرحلتين:

- مرحلة الاختمار (الفصل الأول).
- مرحلة التجسيد (الفصل الثاني).

الفصل الأول
مرحلة الاختمار
1979-1972

ترجع بعض أدبيات «جماعة العدل والإحسان» نشأة الجماعة إلى سنة 1974، انطلاقا من اللحظة التي وجه فيها عبد السلام ياسين رسالة «الاسلام أو الطوفان» إلى ملك البلاد(1)، هذه الرسالة التي تجسد تحولا «جذريا» في مواقف الشيخ مذهبيا وسياسيا، غير أننا نرى غير ذلك، ونعود بنشأة الجماعة إلى سنة 1972، وذلك لثلاثة اعتبارات:

- **الاعتبار الأول**: أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوز كتابي «الاسلام بين الدعوة والدولة» الصادر سنة 1972 و«الاسلام غدا» الصادر سنة 1973، ذلك أن التحول في مواقف عبد السلام ياسين وإن كان واضحا في «الإسلام أوالطوفان» إلا أننا نلاحظ مؤشراته في الكتابين سالفي الذكر.

- **الاعتبار الثاني**: إن هذين الكتابين تمت قراءتهما خاصة من طرف خصوم «جماعة العدل والإحسان» قراءة مغرضة، حيث تم التركيز على ما تضمناه من إشكاليات «فرعية» خاصة تلك المتعلقة بالتصوف وتم إهمال الإشكاليات «المركزية» التي تجسد جوهر التصورات السياسية للجماعة.

- **الاعتبار الثالث**: إن تضخيم الخصوم للإشكاليات «الفرعية» للكتابين هو الذي دفع بعض أعضاء الجماعة إلى اعتبارهما مرحلة في تاريخ الرجل «قطع» معها بإصداره رسالة «الإسلام أو الطوفان».

وانطلاقا من هذه الاعتبارات، نعتقد أن التأريخ لجماعة العدل والإحسان ينبغي أن يبدأ بسنة 1972.

إن مرحلة الاختمار التي نحن بصدد تبيان معالمها والتي بدأت سنة 1972 وانتهت سنة 1979 حكمتها «خلفية» وتحكم فيها «مطمح».

---

1 ـ الوجيز في التعريف بجماعة العدل والإحسان. راجع ملحق هذه الدراسة.

I ـ الخلفية : واقع وقراءتان

بين سنتي 1972 و1973 كان هناك تساؤلان يفرضان نفسيهما على الشيخ عبد السلام ياسين(2) . :

- التساؤل الأول يتعلق بواقع الإسلام : هل هو دين أحادي الجانب أم دين شمولي؟

- التساؤل الثاني يرتبط بواقع المجتمع : هل هو مجتمع «جاهلي» أم مجتمع «مفتون»؟

وفي محاولة للإجابة على التساؤلين، صدر كتابا «الإسلام بين الدعوة والدولة» و«الإسلام غدا».

أ ـ واقع الإسلام : «الإسلام بين الدعوة والدولة» /1972

يتضمن كتاب «الإسلام بين الدعوة والدولة»(3) إشكالية مركزية تتمثل في رفض القراءة

---

2 ـ حول حياة الشيخ عبد السلام ياسين، راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا القسم.

3 ـ يتكون الكتاب من 408 صفحة، ويتشكل من جزءين :

- الجزء الأول يحمل عنوان المنهاج، وتطرق من خلاله لتسعة مواضيع :

أولا ـ حامل الرسالة

ثانيا ـ تجديد الدين

ثالثا ـ تحرير العقل والإرادة

رابعا ـ جماعة لا مجتمع

خامسا ـ السمت الإسلامي

سادسا ـ التؤدة الإسلامية

سابعا ـ الاقتصاد الإسلامي

ثامنا ـ الجهاد في سبيل الله

تاسعا ـ أعبدة تتحرر

- الجزء الثاني يحمل عنوان من الظلمات إلى النور، وتعرض فيه لخمسة مواضيع :

أولا ـ من الظلمات إلى النور ومن خلاله تطرق لـ:

- جاذبية الأرض ـ كنزنا الضائع ـ مقاصد الإسلام

- دين ماركس ـ العلم والإيمان

ثانيا ـ معرض المثلاث ويتضمن :

- عبد الطاغوت ـ مجتمع الكراهية ـ حضارة تحتضر

التي تعتبر الإسلام دينا أحادي الجانب واعتماد القراءة التي تراه دينا متعدد الأبعاد. هذا التعدد يمكن اختزاله في مستويين: مستوى بنية الدولة ومستوى خاصية العمل الإسلامي.

أ - بنية الدولة: ثنائية الدعوة والقيادة الجهادية

ينطلق الكتاب من تفنيد تلك الأطروحة التي تنادي بضرورة التمييز بين الدين والدولة حيث يعتبر «التفريق بين الدين والدولة رجعة جاهلية عما أراد الله للناس من سعادة في معاشهم ومعادهم باستقامتهم على شريعته فرادى وجماعة»(4).

تتشكل بنية الدولة من عنصرين: الدعوة والقيادة الجهادية، وهذه الثنائية يستوجبها اعتباران:

- الإعتبار الأول: إنها قانون يتطلبه المنهاج استنادا إلى واقعة تاريخية أصلها النص القرآني(5)، فـ «مع النبوة كان ملك، وبوحي من الله وتدبير، إذ هو الذي بعث النبيء وبعث

- جنة الشيوعية - الذي أخلد في الأرض - المهدية
- الترف.

ثالثا - الدعوة الإسلامية المعاصرة وعالج عبره:

- رجال التبليغ - المودودي - أبو الحسن الندوي
- سيد قطب - التلفيق الحضاري - الدرس.
- رابعا - التجربة الشخصية ويعالج:
- الرسول الكريم وصحبه - المتبوع المقدم - طريق الوصول
- المدد الفائض - الفتح الأكبر - طريقتنا الإسلام
- البناء - الصحبة والأواصر - الكرامات والتجليات
- لئلا تأثم قلوبنا - أولياء الله - بهاء القربة
- السعادة القصوى - استكشاف الحق - علم الأولياء
- أين الباب

خامسا - لقاءات تاريخية وفيه:

- همة عالية - رجال الرباط - صلاح الدين

بقية الخلفاء الراشدين - أما بعد - التوحيد والإسلام السياسي إضافة إلى مقدمة وخاتمة.

4 - عبد السلام ياسين: الإسلام بين الدعوة والدولة: المنهاج النبوي لتغيير الإنسان. مطبعة النجاح - الدار البيضاء. 1972. ص: 27

5 - قال تعالى: «ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيء لهم ابعث لنا ملكا

معه ملكا . . ولاشك أن بعث النبيء كان بالتأييد النوراني لهداية الخلق وتجديد الدين، وبعث الملك ما كان معه وحي للملك وإنما كان تيسيرا من الله حين يسر رجلا لجماعة مقبلة على الجهاد، وكان تمام التيسير أن اصطفاه لكمال جسمه وعلمه، أي بقدرته على القيادة العملية ولنسمها القيادة الجهادية»(6).

ـ الإعتبار الثاني : إنها «تقسيم لوظائف الهداية والقيادة ضروري»(7).

يمكن رصد التحقق التاريخي للجمع بين وظيفتي الدعوة والقيادة الجهادية على مستويين :

• **مستوى دائرة النبوة** حيث لم يتحقق هذا الجمع إلا لرسولين كريمين «فيما يتحقق عندنا بالنص القرآني سيدنا موسى عليه السلام بلغ الرسالة وقام إلى الجهاد، لكنه لم يجد مجاهدين لأن بني إسرائيل جبنوا . . وسيدنا محمد (ص) كان الهادي والقائد وكان الكمال في الميدانين، وكان النموذج الذي جعل لنا أسوة (ص)»(8).

• **مستوى دائرة الخلافة** حيث لم يتحقق هذا الجمع إلا لخليفتي الرسول : أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب(9).

إن الجمع بين الدعوة والقيادة الجهادية في شخص واحد مطلب صعب لم يتحقق في التجربة الإسلامية إلا من خلال خليفتي رسول الله(ص)، وباستثنائهما، فإن التاريخ الاسلامي لا يمنحنا إلا نموذج الدعوة التي تتحول إلى سلطان وجور(10)، ورغم صعوبة تحقق هذا الجمع، فإنه يشكل ضالة جماعة المسلمين، ذلك أن هذه الثنائية هي «طريق المسلمين إلى الانعتاق متى توفرت في الدعوة شروط الصدق والتجرد لله وفي الدولة ورجال الدولة إرادة

نقاتل في سبيل الله . . وقال لهم نبيئهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا، قالوا : أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . قال : إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله واسع عليم».

ـ نفس المرجع . ص : 26.

6 ـ نفس المرجع . ص : 26 - 27.

7ـ نفس المرجع . ص 27 .

8ـ نفس المرجع . ص : 27 – 28 .

9ـ نفس المرجع . ص : 28.

10ـ نفس المرجع . ص : 30.

بل إن «الدعوة» أصبحت عنصرا ضروريا في بنية الدولة السلطانية، وقد أسس عليها ابن خلدون نظريته في العصبية . أنظر على سبيل المثال :

ـ محمد ضريف : تاريخ الفكر السياسي بالمغرب ـ مشروع قراءة تأسيسية . إفريقيا الشرق . الدار

التحرر من عادات جاهليتهم، وعند لقاء صدق الدعوة بصدق الإرادة يتحول رجل السلطان الى قائد جهادي»(11).

ليس مطلوبا من القائد الجهادي أن يرفع شعارات الإسلام ورموزه، بل ينتظره «العمل الأعمق في التأثير، وهو تبديل الحرف، تغيير المفاهيم وتحويل القلوب وإبدال ضعف الأمة قوة وشتاتها جمعا، وتلك مهمة لا تتحقق اليوم كما لم تتحقق في أزمات الأمة الماضية كلها إلا بثنائية الدعوة الصادقة والقيادة الجهادية»(12).

غير أن هذه الثنائية بين الدعوة والقيادة الجهادية هي في الواقع ليست إلا مطلبا انتقاليا لقيام إمامة «هادية» قادرة على ممارسة مهامها استنادا إلى التصورات القرآنية(13)، حيث تكون الهداية والتوجيه للإمام وهو المرجع والحكم فيما اختلفت فيه جماعة الشورى(14).

ب ـ خاصية العمل الإسلامي : انعدام التمييز بين «الدين» و«السياسة»

إذا كانت ثنائية الدعوة والقيادة الجهادية تطال بنية الدولة، فإن العمل الإسلامي الهادف إلى إقامة هذه الدولة يتسم بخاصية أساسية : انعدام التمييز بين الدين والسياسة(15)، انعدام

البيضاء 1988.

11 ـ عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة. . م. س. ص: 32

12 ـ نفس المرجع. ص. 35.

13 ـ خاصة مبدأ «لكل قوم هاد» ومبدأ «وأمرهم شورى بينهم»

ـ نفس المرجع. ص: 114-115.

14 ـ نفس المرجع. ص : 114.

15 ـ هذه الخاصية يتم تأكيدها باستمرار من قبل جماعة العدل والاحسان، أنظر على سبيل المثال :
ـ جماعة العدل والاحسان: توضيحات. كراس داخلي

ويكتب أحد المؤسسين الأوائل للجماعة قائلا :

«إذا كان الدستور ينص على أن الاسلام دين الدولة، فنحن نطالب بربطه بكافة شؤون حياتنا الدنيوية باعتباره دعوة ودولة، عبادة وسياسة، فإذا جاز فصل الدين عن الدولة بالنسبة للعالم المسيحي فإنه لا يجوز ولن يجوز بالنسبة للعالم الاسلامي الذي تكفل دينه بتنظيم كافة شؤون الحياة، وبهذا ترفع المغالطات التي أوقع شبابنا فيها تلامذة جاهليون (يصرخون) بأن الدين صلة بين العبد وربه وأنه شعائر وعبادات تؤدى بمعزل عن الحياة»

أحمد الملاخ : في البحث عن موقف. مجلة الجماعة. السنة الأولى. العدد الأول ربيع الثاني ـ جمادى الأولى ـ جمادى الثانية. 1979/1399. ص : 86.

إن هذا التصور ليس جديدا بل هو صلب وجوهر الحركة الاسلامية منذ انبثاق جماعة الاخوان المسلمين سنة 1928، حيث رفع شعار انعدام التمييز بين الدين والسياسة. يقول حسن البنا :

أصلته التجربة النبوية وتقتضيه روح الإسلام(16)، غير أن هذا المبدأ ينبغي أن يطاله بعض التمحيص، ذلك أن أنظمة الحكم الجبري المتكئة على الإسلام الرسمي تأخذ به هي

«قلما تجد انسانا يتحدث إليك عن السياسة والاسلام إلا وجدته يفصل بينهما فصلا، ويضع كل واحد من المعنيين في جانب، فهما عند الناس لا يلتقيان ولا يجتمعان، ومن هنا سميت هذه جمعية إسلامية لا سياسية، وذلك اجتماع ديني لا سياسة فيه، ورأيت في صدر قوانين الجمعيات الاسلامية ومناهجها ألا تتعرض الجمعية للشؤون السياسية. . .

«فحدثوني بربكم أيها الاخوان، إذا كان الاسلام شيئا غير السياسة وغير الاجتماع وغير الاقتصاد، وغير الثقافة، فما هو إذن؟ . .

«أستطيع أن أجهر في صراحة بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا، بعيد النظر في شؤون أمته، مهتما بها غيورا عليها. . . وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشؤون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هي نفسها الى أن تفهم معنى الاسلام».

أنظر :

-حسن البنا : الى الطلاب. مجموعة رسائل الإمام الشهيد، دار الدعوة. 1989. ص: 312-310 ولمزيد من المعطيات حول جماعة الاخوان المسلمين، أنظر :

- محمد ضريف : الإسلام السياسي في الوطن العربي. منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي. الطبعة الثانية. نونبر 1992. ص : 23-85.

16 - إذا كان «حسن البنا» يقول بأن اكتمال إسلام المرء لا يتم إلا إذا كان سياسيا، فأحد أقطاب تنظيمات الجهاد في العالم العربي (صالح سرية) يؤكد أن من يفصل بين الدين والسياسة فهو كافر ومن يدعو الاسلاميين الى الفصل بين الدين والسياسة يطاله الكفر أيضا، يقول صالح سرية :

«كلمة العبادة من المصطلحات التي حرفت عن معناها الأصلي الاسلامي واستبدلت بمعناها النصراني في نظر الناس، وأصبحت مقصورة على صلة العبد بربه وتشمل الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر ولا تشمل التشريع، ولا صلة الانسان بالانسان، أو صلة الانسان بالدولة، أو صلة الدولة بالدولة الأخرى. وهذا المفهوم لكلمة العبادة خطأ من وجهة النظر الاسلامية، إذ أن معناها يشمل تنفيذ كل أوامر الله به في الكتاب والسنة، ولهذا فإن معنى قوله تعالى : «وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون» يكون معناها وما خلقت الجن والإنس إلا ليطيعوا أوامري ويعيشوا وفقا للمنهاج والتشريع الذي وضعته، وإلا فلو كان معنى العبادة مقصورا على المفهوم الأول يحرم على المسلمين عمل أي شيء خلاف العبادة، ويعتبر أي عمل خلاف العبادة من زراعة وصناعة وتجارة وسياسة بل ومن أكل ومشي مخالفا لحكمة الله في خلق الانسان، ولأصبح محرما وهذا ما لا يقول به مسلم، فالإسلام إذن هو كل ما أمر الله به من الكتاب والسنة سواء كان عبادة (بالمعنى المتبادل) أو غير عبادة من تشريع وسلوك وسياسة واقتصاد. . الخ، ومن آمن بجانب من جوانب الاسلام فقط دون بقية الجوانب لا فائدة في إيمانه، لأن من كفر بآية واحدة من القرآن فهو كافر، فكيف بمن لا يعترف (بالمعنى المتبادل) أو على صلة العبد بربه فقط دون صلة الانسان بالانسان أو الانسان بالدولة أو الدولة بالدول الأخرى، ودون تشريعات الإسلام المختلفة في شتى ميادين الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها فهو كافر لاشك في ذلك، وعلى هذا، فالذين يحاربون دعاة الاسلام بأنهم يمزجون بين الدين والسياسة كفار لأنهم قصروا الاسلام على جانب وكفروا ببقية الجوانب. . أليس معنى السياسة هو الاهتمام بأمور الناس (ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[13] أنظر :

الأخرى(17) حيث تعمل على «تسييس» الإسـلام دون «أسلمة» السيـاسة(18).

يقول عبد السلام ياسين: «إن رجل السياسة يتحدث للمحرومين عن انسلابهم وعن كونهم ضحايا للتشيء والتوهيم ويحدثهم عن التراب والمال ويمنيهم بمستقبل فيه كثير من البطاطس واللبن واللحم وفرص أكثر لإرضاء الحاجات والشهوات، ولا يحدثهم عن الآخرة، لأنه لا يعرف الآخرة، أو لأنه إن كان مسلما يعيش إسلاما مبتورا مقطوعا عن ميدان العمل فرديا انعزاليا»(19). بخلاف رجل العمل الاسلامي الذي يسعى إلى «إقامة دولة مسلمة تسير بشرع الله في حياة أفرادها وفي أسرهم وجماعتهم وفي اقتصادهم وصناعتهم وثقافتهم على السمت الإسلامي المطمئن نموذجا ناصعا معروضا على الأنظار»(20).

إن عملا إسلاميا مبنيا على السمت الإسلامي لا يمكن أن يتم إلا عبر إخضاع السياسة للدين، وبتعبير أوضح، عبر «أسلمة» السياسة وليس عبر «تسييس» الإسلام(21).

- صالح سرية: رسالة الايمان / 1973 (وثيقة)

ولمزيد من المعطيات حول تنظيم الفنية العسكرية الذي كان يقوده صالح سرية، راجع:

- محمد ضريف: الإسلام السياسي في الوطن العربي.. م. س.

17 - راجع ما سنكتبه عن هذا المعطى في المبحث الأول من الفصل الأول من القسم الثاني من هذه الدراسة.

18 - نذكر بأن الصراع بين الجماعات الاسلامية والأنظمة السياسية القائمة في العالم العربي والاسلامي هو صراع بين مشروعين:

- الجماعات الاسلامية ترغب في إقامة دولة الاسلام

- الأنظمة السياسية تسعى الى ترسيخ إسلام الدولة.

19 - عبد السلام ياسين: الاسلام بين الدعوة والدولة... م. س. ص: 143

20 - نفس المرجع. نفس الصفحة.

21 - «لا أجد فرقا بين أن يكون العالم سياسيا أو السياسي عالما، لأنه لا فرق بين الدين والسياسة، ولا مجال للفصل بينهما كما حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تفعل في أوربا، غير أننا لا يجب أن نقع في الفخ فنمنح لتجار السياسة وسماسرتها مجالا لتحريف الدين عن طريق شعار «لا فرق بين الدين والسياسة»...

«فأنا أقول إنه يجب تديين السياسة ولكن يجب ألا نسمح مطلقا بتسييس الدين، والفرق واضح بين العنصرين».

أنظر:

- م. ب. س: الدين والسياسة. مجلة الجماعة. السنة الثانية. العدد السادس. جمادى الثانية - رجب - شعبان. 1400 ص: 81.

إذا كان العمل السياسي (الصرف) الذي يرتكز أحيانا على تسييس الإسلام له مؤسساته : الأحزاب والنقابات . . إلخ ، فإن العمل الإسلامي القائم على «أسلمة السياسة» له مؤسسته المركزية ، ذلك أن «للعمل الاسلامي محفلا ومدرسة ، مكان يتعلم فيه المؤمن السمت بالمثل الحي وبالموعظة الحسنة ، ويتعلم فيه العلم ويتعلم فيه الحكمة ويتعارف فيه مع المؤمنين ويجد فيه الراحة والألفة والمحبة ، ذلكم هو المسجد : المؤسسة المركزية في حياة الجماعة»(22).

2 ـ واقع المجتمع : «الإسلام غدا » /1973

كيف ينبغي أن نحدد واقع المجتمع هل هو مجتمع «جاهلي» أم مجتمع «مفتون»؟

إن محاولة الإجابة عن هذا التساؤل تختزل الإشكالية المركزية لكتاب «الإسلام غـــدا»(23)، ومنذ البداية، يحدد عبد السلام ياسين موقفه من واقع المجتمع، فيرفض الأطروحة القائلة بالجاهلية ويعتمد أطروحة بديلة : «الفتنة».

أ ـ رفض أطروحة الجاهلية

تجسدت الأطروحة القائلة بجاهلية المجتمع في المنظومة الفكرية لأبي الأعلى المودودي

ـ عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة . . . م . س . ص : 145

22ـ يتساءل أحد المؤسسين الأوائل لجماعة العدل والاحسان قائلا :

«ولسائل أن يسأل : لماذا المسجد؟ لماذا السياسة في المسجد!؟» ويحاول بلورة الجواب من خلال معطيين :

الأول : «لقد تحدى الله تعالى المشركين بعمارة المسجد»

الثاني : «الدخول الى المسجد لا يتنافى مع الخروج الى الناس في ميادين الجهاد»

أنظر :

ـ أحمد الملاخ : في البحث عن موقف . . . م . س . ص : 89-90

23 ـ يتكون هذا الكتاب من 952 صفحة، ويتضمن تسعة فصول :

الفصل الأول : المنهاج النبوي وحركيته ويتطرق لـ :

ـ المنهاج ـ اقتحام العقبة ـ الخصال العشر ـ الصحبة والجماعة ـ الذكر ـ الصدق ـ البذل ـ العلم ـ العمل ـ السمت ـ التؤدة ـ الاقتصاد ـ الجهاد

الفصل الثاني : النموذج الخالد ويعالج :

ـ المسلمون والتاريخ ـ موكب النبوة ـ محمد رسول الله ـ الأسوة ـ الصحبة ـ الجماعة ـ الذكر ـ الصدق ـ البذل ـ العلم ـ العمل . السمت ـ التؤدة ـ الاقتصاد ـ الجهاد .

الفصل الثالث : كتاب العالم ويشمل :

(1903-1979) خاصة في كتابيه الصادرين سنة 1941 : «المصطلحات الأربعة الأساسية في القرآن» و«الإسلام والجاهلية»(24).

لم يكتف أبو الأعلى المودودي بنعت المجتمعات الغربية بكونها جاهلية(25)، بل سحب

- منها قائم وحصيد - في مأدبة اللئام - قائد ثورة - الثورة الثقافية - تربية من القاعدة - خبير وأحمر - القوة - الفقر والعفة.

الفصل الرابع : طريق الى التجديد يتناول :

- تهافت الفلاسفة - كلمات تخرق السكون - من يجدد؟ الإمام البنا - غضبة القطب - الاجتهاد - التنظير - التنظيم

الفصل الخامس : من القلة الى التقلل ويتضمن :

- العدل - اليقظة والانضباط - سلم القيم - التحويل الثقافي - التعاون الجماعي - اقتصاد القوة - تنمية الانسان - أمراض التكاثر.

الفصل السادس : الربانية والربانيون ويضم :

- التربية والتغيير - الفقه المنهاجي - الربانيون - خصوم الاسلام - القيام بالقسط - الأم - تربية من فشل - الحرية والمسؤولية.

الفصل السابع : التعليم والتعلم ويستعرض :

- التربية والتعلم - لغة القرآن - الثقافة والتنمية - التعليم المتخلف - وسائل الاعلام - تطوير التعليم - التعليم المستمر.

الفصل الثامن : الدعوة ويشير الى :

- المحجة البيضاء - الداعي الى الله - التنظيم الجهادي - عضو الجماعة - مركزية الطاعة - النصيحة - دعوة الى الخير - المستضعفون الوارثون

الفصل التاسع : الخلافة

- الخليفة - نحن والفوضى والديمقراطية - نحن والاستبدادية المذهبية - سوق السياسة - الشورى - السلطان - توحيد المسلمين - الرحمة في العالمين إضافة الى تقديم وخاتمة.

24 - لمزيد من المعطيات عن حياة أبي الأعلى المودودي وأفكاره. أنظر:

- محمد ضريف : الإسلام السياسي في الوطن العربي . . . م . س . ص: 89 - 102

25 - يقول المودودي : «أهل الغرب وإن لم يكونوا كلهم منكرين لوجود الله تعالى واليوم الآخر أو قائلين بالأخلاق المادية البحتة من الوجهة العلمية، إلا أن الحق أن الروح التي تتمشى في نظام حضارتهم ومدنيتهم بأسره هي روح الجحود لذات الله تعالى والإنكار لليوم الآخر وروح الأخلاق المادية الخسيسة : وقد بلغ من تغلغل هذه الروح في حياتهم أنك تجد الذين يؤمنون منهم بوجود الله تعالى واليوم الآخر من الوجهة العلمية ويعتقدون في الأخلاق نظرية غير مادية، تجدهم في حياتهم الواقعية دهريين ماديين من حيث لا يشعرون، لأنه ليس هناك من سبب يصل نظريتهم العلمية بحياتهم العملية فعلا». أنظر:

الوصف على المجتمع الإسلامي وجزء كبير من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية(26)، واحتضن سيد قطب (1906-1966) هذا المفهوم/ الوصف ليبني عليه مجمل تصوراته التي يختزلها كتابه: «معالم في الطريق»(27)، وقد تقفى (محمد قطب) أثر أخيه، فحاول أن يستفيض في تحديد المفهوم(28) وإبراز خصائصه(29).

- المودودي موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه. ص: 15- 16

والرجوع أيضا الى:

- المودودي: الحكومة الإسلامية. ترجمة أحمد إدريس. القاهرة 1977. ص: 55

26 - يقول المودودي: «لا تحسبوا أن هذا التغيير وليد عصرنا هذا، وإنما تضرب جذوره الى قرون عديدة.. إن الاستعباد الذي ابتلينا به في القرن الماضي إنما كان نتيجة محتومة لانحطاطنا الديني والخلقي والفكري الذي كنا مترددين فيه من قرون عديدة».

- الحكومة الاسلامية... م.س. ص: 42

ويرجع المودودي تسرب معالم الجاهلية للمجتمع الاسلامي الى زمن خلافة عثمان بن عفان حيث كان هذا الخليفة «لا يتصف بتلك الخصائص التي أوتيها العظيمان اللذان سبقاه... فوجدت الجاهلية سبيلها الى النظام الاجتماعي الاسلامي، وإن تيارها الجارف وإن حاول عثمان صده ببذل نفسه ومهجته إلا أنه لم ينكفىء، ثم خلفه علي كرم الله وجهه.. ولكنه لم يستطع أن يدفع هذا الانقلاب الرجعي المركوس حتى ببذل نفسه، فانتهى بذلك عهد الخلافة على منهاج النبوة وحل محلها الملك العضوض، وبدأ الحكم والسلطة يقومان على قواعد الجاهلية بدلا من قواعد الإسلام». أنظر:

- موجز تاريخ تجديد الدين... م.س. ص 34 - 37

27 - يقول سيد قطب محددا المجتمع الجاهلي: «هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده.. متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر وفي الشرائع القانونية». أنظر:

- معالم في الطريق. دار الشروق. الطبعة السادسة. القاهرة 1979. ص: 88 - 89

28 - يقول محمد قطب في تحديده لمفهوم الجاهلية:

«يحسب الكثيرون أن الجاهلية فترة معينة من الزمن كانت في الجزيرة العربية قبل الاسلام.. الجاهلية حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله.. ثم تصيبها النتائج الحتمية لهذا الانحراف، نتائج تختلف باختلاف صورة الانحراف ومداه... ولكنها تتفق في أنها اضطرابات في حياة البشر وشقاء، وقلقلة وتدمير وعذاب..

«ومن ثم، فهي ليست محصورة في الجاهلية العربية ولا في فترة من الزمن معينة.. وإنما هي حالة يمكن أن توجد في أي وقت وفي أي مكان، كما توجد كذلك في أي «مستوى» من المعرفة والحضارة والتقدم المادي والقيم الفكرية والسياسية والاجتماعية و«الانسانية!».. إذا كانت هذه كلها لا تهتدي بالهدى الرباني، وتتبع أهواءها وترفض أن تتبع ما أنزل الله...

«فالذين يتبعون أهواءهم يرفضون أن يتبعوا ما أنزل الله.. وهم حينئذ في «الجاهلية» لهذا السبب عينه: لأنهم يرفضون هدى الله.. أيا كان مبلغهم من العلم البشري ومبلغهم مما يسمى الحضارة والتقدم المادي والتنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي...

«ومن ثم فليس العرب وحدهم الذين كانوا يعيشون في الجاهلية قبل الاسلام، وإنما كذلك كل قوم انحرفوا عن الهدى الرباني واتبعوا الأهواء».

- جاهلية القرن العشرين. دار الشروق. بدون تاريخ.

29 - يحدد محمد قطب أربع خصائص للجاهلية:

كان هذا التأصيل لأطروحة جاهلية المجتمع سببا من بين أسباب أفضت الى انبثاق جماعات «إسلامية» اعتمدته وترجمته واقعا من خلال الدعوة إلى فكرة المفاصلة(30)، ونظرا لخطورة هذه الأطروحة وما يترتب عنها سواء على مستوى التصورات أو على مستوى المسلكيات، انبرى عدد من أقطاب الحركة الإسلامية لدحضها وتفنيذ مرتكزاتها، وكان في مقدمتهم المرشد العام الثاني لجماعة الإخوان المسملين: حسن إسماعيل الهضيبي الذي عبر عن رفضه لها من خلال كتابه: «دعاة لا قضاة»(31).

- الخاصية الأولى: كل الجاهليات لا تؤمن بالله الإيمان الحق «فالجاهلية هي الانحراف عن عبادة الله الحق، هذه العبادة التي تتمثل في التحاكم إليه وحده في أمور الحياة كلها».

- الخاصية الثانية: اتباع الأهواء، وهي خاصية متفرعة عن الخاصية الأولى «فالقضية مترابطة، إما الايمان بالله الذي ينشأ عنه الاسلام له واتباع ما أنزله، وإما الجاهلية واتباع «الأهواء»، وكل شرع غير شرع الله هوى.. ذلك ما قرره الله، ومصداقه هو تاريخ الحياة.

- الخاصية الثالثة: وجود طواغيت في الأرض «يهمهم أن ينصرف الناس من عباة الله الواحد والحكم بشريعته ليتحولوا الى عبادة أولئك الطواغيت والحكم بشريعتهم أي بأهوائهم.. ووجود الطواغيت سمة ملازمة للبعد عن منهج الله.. فحين ينحرف الناس عن العبادة الحقة يتوجهون الى عبادة كائنات أخرى بمفردها أو بالإشراك مع الله، وعندئذ تصبح هذه المعبودات طواغيت!»

- الخاصية الرابعة: الانجراف في تيار الشهوات.

- المرجع السابق.

30 - راجع ما سنكتبه عن فكرة المفاصلة في المبحث الثاني من الفصل الثاني من القسم الثاني من هذه الدراسة.

31 - يقول عبد السلام ياسين عن هذا المعطى:

«يرحم الله الأستاذ حسن الهضيبي، فقد قاسى من تطرف بعض الشباب الذي قرأ فلم يهضم، وعرضت عليه التربية فلم يصدق، ومارس العمل المنظم فوجد الالتزام المسؤول ثقيلا والنقد الهدام مريحا، وكتب الأستاذ رحمه الله كتابه بهذا العنوان «دعاة لا قضاة» يشكو بين السطور، فذاك درس لنا من أهم الدروس.

«إن منصة القاضي والمتهم للناس رئاسة قلما يتمنع عليها الضعفاء، لاسيما إن نزغ الشيطان في نفوسهم أنهم وحدهم بخير، وأن الناس سواهم هلكى فعند ذاك تتحول كل حركة من غيرهم شركا وبدعة، ويصبحون هم الخصم والحكم، وتغتر الدهماء من العامة بكل عليم اللسان وتتألف كتائب الهدم. روى الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم».

«إن واجبنا أن نجلو للناس بمثال سلوكنا وبتعليمنا وفكرنا وخطتنا إن هذا الاسلام رحمة، وأن ما فيه أمتنا أفرادا وجماعة بلاء لا يمس جوهر عقيدتها رغم ردة أفراد وانحراف فئات وبدعة العامة». أنظر:

- المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا. الطبعة الثانية 1979 ص: 261.

وعلى هذا النهج سار عبد السلام ياسين رافضا أطروحة الجاهلية ومعتمدا أطروحة بديلة تتسم بالواقعية : أطروحة «الفتنة».

ب ـ اعتماد أطروحة الفتنة

يقول عبد السلام ياسين : «مفتونون نحن غير جاهليين، وإن كان من بيننا أهل الردة ومن قادتنا، فإن الأمة المستضعفة لاتزال هي أمة سيدنا محمد سليم اعتقادها ولاينال منها الطاغوت الجاهلي المتكالب عليها المتألب إلا إشارة بالرأس المائل من الظلم المترقب لرحمة الله الذي جعل متسعا في رضاه لمن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»(32).

إن دينامية العمل الإسلامي يحكمها وعي واضح بالواقع، واقع المجتمع، لذلك، «فإننا إن ذهبنا نحسب أننا مسلمون حقا فلن نهتدي إلى الطريق بل نطمس معالمها قانعين بالفتنة الموروثة جادين بفكر مفتون نحو واقع أشد فتنة»(33)، كما أن رفض أطروحة الجاهلية له ما يبرره، ذلك «إن حكمنا بأن مجتمعاتنا جاهلية خارجة عن دين الله فقد كفرنا جميعا بحكم أنفسنا، وحكم الله أن لا عدوان إلا على الظالمين وحكم رسوله أن نرفق ولا نعنف خاصة في زمن الفتنة والهرج، وإن حكمنا بأننا جاهليون فربما نطمس معالم الحياة المتجددة طمسا لا رجاء معه لوضوح وسير، إذا كنا جاهليين فما لأحد ذمة ولا لأنفسنا، والخير مع ذلك أن نحطم ونكسر ونثور ونتمرد وندمر»(34).

لكن ما هي الفتنة؟ في محاولة للإجابة عن هذا التساؤل، يقول عبد السلام ياسين «يسمي الإسلام بلسان نبيه الكريم(ص) أمر الأمة إذا اختلط حتى ينطوي الحق ويمتد الباطل ويحل العنف محل القوة والتطاحن على العصبيات محل التعاون بين المسلمين والمحبة، يسمي الإسلام هذا فتنة، وهو مفهوم يعم مدلولات الأزمة والتخلف وعدم الاستقرار والفوضى والإلحاد، يغطيها جميعا ثم يفيض على معاني العصبيات المتضاربة والهيمان الجماعي والفردي في طلب القيم المادية ولو كان طريق اكتسابها أن يمسخ المسلم الذي خلق للعزة دودة لزجة تدوسها الأقدام وتتقزز من نتنها النفوس السليمة»(35).

هناك فرق جوهري بين مفهوم الجاهلية ومفهوم الفتنة، الجاهلية كفر بالرسالات السماوية (36) وهي تطال الكفار من سكان دار الحرب(37) سواء كانوا من المعسكر الاشتراكي أو من

32ـ عبد السلام ياسين : الإسلام غدا ـ العمل الاسلامي وحركية المنهاج النبوي في زمن الفتنة. مطبعة النجاح. الدار البيضاء 1973. ص : 470.

33ـ نفس المرجع.

34ـ نفس المرجع.

35 ـ نفس المرجع. ص : 3-4

36 ـ نفس المرجع. ص : 38.

37 ـ نفس المرجع. ص : 39.

المعسكر الليبرالي، أما الفتنة فهي اختلاط الحق بالباطل، من تجلياتها العنف والاضطراب الاجتماعي وسفك الدماء(38) ومن معانيها العشوائية في العزم والتنفيذ(39).

المجتمعات الاسلامية المعاصرة ليست جاهلية، بل تعيش في زمن الفتنة(40)، وهذا يفيد بأن «الأمة لاتزال مسلمة، وفتنها عن إسلامها تدهور تاريخي تكثفت أثناءه مبادئ العمل الإسلامي وأساليبه وانغمت الآفاق الفكرية والروحية تحت قيادات عاضة»(41).

إن اعتماد أطروحة الفتنة التي بلورها كتاب «الإسلام غدا» يجسد بوصلة ضبط خط سير «جماعة العدل والإحسان» بما يترتب عنها من تحديد للتصورات(42) ومن تعيين للتوجهات(43).

38- نفس المرجع. ص : 40.

39 - نفس المرجع، ص : 97.

40- نفس المرجع. ص : 4.

41- فس المرجع. ص: 471.

42 - من بين هذه التصورات تحديد مراتب المسلمين داخل المجتمع.

«إن ما درج عليه بعض مفكري الإسلام من وضع خط واحد حاد كالسيف يفصل بين المؤمنين الأطهار والجاهليين الكفار نعتبره خطأ في التقدير يعقبه خطأ في العمل، نعتبر أن على الساحة الاسلامية مراتب عديدة من المسلمين، يسمون مسلمين بلغة القرآن وهم منافقون وأعراب لما يدخل الايمان في قلوبهم، وفي كلمة لها فسحة للرجاء والرفق، يشغل المراتب الاسلامية المتدرجة من المحسنين فالمؤمنين إلى دركات الأعرابية والنفاق ألوان من الناس بألون من الفكر والعواطف والصدق والأخلاق والكذب والفساد والرجولة والفسولة»

-عبد السلام ياسين : عنوان لعملنا. مجلة الجماعة. السنة الأولى. العدد الأول. . . م. س. ص: 28.

43 - من بين هذه التوجهات مناهضة العنف واستبعاد مبدأ التكفير.

حول هذين المعطيين، راجع ما سنكتبه في المبحث الثاني من الفصل الثاني من القسم الثاني من هذه الدراسة.

II ـ المطمح : داعية ومهمتان

في مرحلة الاختمار، كان عبد السلام ياسين يسعى إلى إنجاز مهمتين يراهما متكاملتين :

ـ مهمة منهاجية تتمثل في تقعيد العمل الإسلامي

ـ مهمة سياسية تتجسد في توحيده.

ا ـ المهمة المنهاجية : تقعيد العمل الإسلامي

وهو يتأهب لتأسيس جماعته، كان عبد السلام ياسين مشدودا إلى قراءة تجربة الحركة الاسلامية في المشرق وما آلت إليه من فشل وما أفضت إليه من مآس(44)، إن الحرص على عدم إعادة إنتاج أخطاء هذه التجربة كان يقتضي تحديد مواقع الخلل وبالتالي العمل على تجاوزها، وقد انتهى الأمر بعبد السلام ياسين إلى التأكيد بأن «الذي لا نجده في تاريخ الإسلام هو ذاك المجدد الكامل الذي يسلك بالأمة منهاجا يخرجها من دائرة الدولة إلى دائرة الخلافة النبوية، ونرى بداهة أن الخروج من دوامة الحكم العاض يقتضي اجتهادا فكريا إلى جانب الربانية»(45).

إن هذا التأكيد يختزل جوهر المهمة المنهاجية الهادفة إلى تقعيد العمل الإسلامي، فهذا الأخير لا يمكن أن يكتمل إلا إذا انبنى على أساسين : أساس «فكري» وأساس «تربوي».

أ ـ الأساس الفكري : نظرية الجهاد.

لا حركة جهادية بدون نظرية في الجهاد(46)، هذه حقيقة يؤمن بها عبد السلام ياسين حيث يقول : «إن من سبقونا من المجاهدين كانوا لا يحبون أن تسبق النظرية الممارسة مثلما يوصي سيد قطب، فكان جهادهم جهادا تجريبيا يواجهون كل يوم بمشاكله ويعدلون ويصلحون ولا يتجاوزون الخط العادي إلا مدى حياتهم وفي نطاق مهمة شخصية يؤدونها، ولما لم يكن لهم منهاج للعمل متكامل تدول من بعدهم الدولة وينسى الجهاد وينسى التجديد»(47).

الاجتهاد سبيل نظرية الجهاد، فهو طلب لأساليبها ومبادئها(48)، لكن علينا ألا نخلط بين

---

44 ـ جزء من هذا الإخفاق والفشل تمثل في محنة حركة الإخوان المسلمين وجماعة أبي الأعلى الموذودي وإعدام سيد قطب.. الخ.

45 ـ عبد السلام ياسين الاسلام غدا... م.س. ص : 473.

46 ـ هذا يذكر بما كان يرفعه التيار الماركسي ـ اللينيني : «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية»

47 ـ عبد السلام ياسين : الاسلام غدا.. م.س. ص : 473.

48 ـ نفس المرجع.

اجتهاد الشرع(49) واجتهاد المنهاج إذ قلما تم التمييز بينهما من قبل أقطاب الحركة الإسلامية (50) الشيء الذي أفضى إلى مفارقات على مستوى التصورات(51).

إذن ما هو المقصود باجتهاد المنهاج؟

إنه «البحث عن المسلك الإيماني في ظرف متغير ومع أجيال لها خصائصها في عالم متطور»(52) وهو «اكتشاف الإسلام اكتشافا جديدا، اكتشافا يعلمنا من نحن أولا، وهل نحن مسلمون أو جاهليون، ويعلمنا في نفس الوقت المصدر النبوي البشري للهداية، ويعلمنا كيف دخل الناس الإسلام أول ما دخلوه استجابة لدعوة الرسول. ويعلمنا غرابة حياة الرسول وصحبه والغيب الذي كان يغشاهم صباح مساء، ويعلمنا بعد ذلك كيف نرجع نحن

49 ـ «الاجتهاد الشرع اجتهاد يرتبط بالأمر والنهي والحلال والحرام والحقوق.. والفقه الشرعي الاسلامي غني كل الغنى لو وجد مجالا للتطبيق، لكنك لا تخلق أمة بسلطان القانون وحده ولا تجدد إيمان الغافلين إن سردت عليهم ما فرضه الله وما حرمه وسردت عليهم «توحيدا».

ـ المرجع السابق.

50 ـ «كان سيد قطب رحمه الله ورضي عنه يرفض رفضا باتا في كتبه أن يضيع رجال الدعوة جهدا في اجتهاد الفقه الشرعي قبل أن تقوم الدولة الاسلامية، ونعما يقول لو كان كلامه يوضح الفرق بين نظرية الجهاد أو ما نسميه الفقه المنهاجي وبين اجتهاد الفقه الشرعي، لكنه رحمه الله يعمم. أما الأستاذ الجليل أبو الأعلى المودودي فقد كانت ظروف دعوته خاصة إذ حضر ميلاد باكستان وفرح بالدولة الاسلامية حاسبا مع الناس جميعا أن الإسلام قومية أقوى من القوميات وكفى، وشارك علماء المسلمين الذين اقترحوا دستورا إسلاميا واقترحوا قانونا إسلاميا للدولة الوليدة، وكان كل ذلك اجتهادا شرعيا، أما الاجتهاد المنهاجي، أما وضع معالم الطريق فقد اقتصر على تعليم الاسلام الفكري مع المحاولة الطيبة لبدء حركية إسلامية مخلصة، وانتهى الأمر الى تكوين جماعة تشبه حركيتها الى حد بعيد حركية الأحزاب السياسية. وليس يهتدي الإسلام الفكري لأكثر من هذا.

«وكانت النهاية أن تحول حماس المسلمين في باكستان نشوة سياسية وتعثرت الدولة إلى أن تصدعت وانشقت وضحك منا المشركون.»

ـ المرجع السابق. ص: 473 - 474.

51 ـ من هذه المفارقات الناتجة عن عدم التمييز بين اجتهاد الشرع واجتهاد المنهاج أن ساد الاعتقاد أن المناداة بتطبيق أحكام الشريعة يشكل مدخلا لإقامة المجتمع الاسلامي، وتنوسيت الفرد المسلم في إقامة هذا المجتمع.

يقول عبد السلام ياسين معلقا على فشل التجربة الاسلامية في باكستان:

«ما سبق قيام الدولة فهم للمنهاج التربوي الذي ينقل كل فرد من إسلامه المتقلص الى آفاق إسلام جماعي يدور على المحبة والطاعة والنصيحة».

المرجع السابق: ص 474.

52 ـ المرجع السابق. ص: 473.

من موقفنا الراهن لحياة الإسلام كما اجتمع الصحابة من أشتات القبائل وكونوا أمة مؤمنة وجماعة مجاهدة(53).

ومادام أن أقطاب الحركة الاسلامية لم يهتموا إلا باجتهاد الشرع، فإنهم لم يأتوا بأي شيء على مستوى اجتهاد المنهاج، فـ «رجال الدعوة الأجلاء من أمثال الشيخ محمد عبده والمودودي وسيد قطب يذكرون النموذج الخالد في كتبهم ويوصون بالتمسك بالسنة والسير على هدى النبوة، لكنهم لا يشرحون لنا كيف نفعل ذلك، أما سيد قطب فيرسلنا الى القرآن ويوصينا أن نتلقاه بنية التنفيذ كما تلقاه الصحابة، فإذا فعلنا كنا صالحين وكنا مؤمنين ومجاهدين، ولو كان لنا نية التنفيذ لشريعة الله لما احتجنا إلى وصية ولكنا السابقين لمرضاة الله، وأما المودودي فيعطينا برنامجا أوسع من هذا في كتابه «تذكرة دعاة الإسلام» يدعونا لربط العلاقة بالله بالذكر والنفل والخلق الحسن»(54).

يحيل اجتهاد المنهاج إلى إعادة طرح التساؤل حول علاقة الفكر بالممارسة ومن يسبق الآخر، يحدد عبد السلام ياسين موقفه بوضوح «لابد من فكر يسبق الممارسة»(55)، وهذا الفكر ينبغي أن تحكمه ثلاثة ضوابط:

- الرجوع إلى الفطرة(56).

53- المرجع السابق. ص: 475.

54 - نفس المرجع. ص: 475 - 476.

55 - نفس المرجع. ص: 486.

سيعبر «ياسين» فيما بعد عن هذه الفكرة بصيغة أخرى حيث يقول:

«جند الله ينبغي أن يكون لهم نفس الفهم لمهماتهم، وهذا يقتضي أن يرجع الواحد الى إخوته للتشاور في الأمور العارضة في إطار مخطط للعمل يعرف كل خطوطه العريضة ووسائله وأهدافه.

«إذا شرعنا في عمل جماعي قبل أن نتفق على تصورنا للعمل من كل جوانبه، فأدنى خلاف يوقفنا وسنختلف على كل شيء، ومن ثم سنعجز عن الاستمرار، ونقف ونفشل ونرتد الى فرديتنا وغثائيتنا الأولى».

«العمل الميداني إن لم يدخل في خطة محكمة لها وجهة مدروسة وغاية معروفة وأهداف مرحلية وقسمة للمهام بين فئات جند الله، لن يؤدي التأليف قوة التغيير المرجوة وإن انتهت الى تكوين تكتل أي حجم.

- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 217 - 231.

56 - «إن كان الفكر يضع منهاجا من شأنه أن يحطم الكبرياء ويرجع الناظر الى موقف الفطرة، فإن هذا الفكر يحمل في طياته داعي التعلم من الممارسة كما يليق بإنسان الفطرة الذي يعجب من كل شيء ويتعلم من كل شيء آخذا العلم من ربه الخالق لكل شيء، وهذا الفكر المنهاجي يتضمن مبدأ العلم والتعلم ومعناه تخطيط الفكر المسبق للممارسة وتطعيم الممارسة للفكر» 23

- الانفتاح على المحيط(57) .

- الشمولية (58) .

إن مراعاة هذه الضوابط تجنبنا الوقوع في الخطأ على مستوى التصور المنهاجي(59) ، وتدلنا على نقطة البدء وهي «الصحبة والجماعة ، والجماعة بصحبة»(60) ، وهنا نكون قد لامسنا الأساس الثاني الذي يستند إليه تقعيد العمل الإسلامي والمتمثل في الأساس التربوي . .

ب ـ الأساس التربوي : الصحبة

لماذا أخفقت تجربة أبي الأعلى المودودي وتجربة سيد قطب؟ ولماذا جسد حسن البنا تجربة متميزة بحضورها وقوة إشعاعها؟ الإخفاق مرده غياب فكرة الصحبة عند الأولين ، والحضور المتميز مكمنه في حضورها عند الثالث .

يقول عبد السلام ياسين متحدثا عن أبي الأعلى المودودي : «إنه رجل سني يوصي بالصحبة ، لكنه لا يعرف من أنواعها إلا تكتلا على المبادئ ، أما الصحبة الصوفية فيتحدث عنها بتحرز شديد بل إنه ينفر منها نفورا بينا ، ولعله لم يعرف إلا جماعات المتصوفة المقلدين أو المحترفين ، وحق له إن كان الأمر كذلك أن يحترز وينفر»(61) .

يحذر المودودي أتباعه «من الصوفية المتأخرين ، ويسمهم بأنهم اقتبسوا الطقوس من المجوس والرهبان ، ويوصي بديلا عن طرق القوم بالرجوع إلى فعل الرسول الكريم ، ويفصل

- عبد السلام ياسين : الاسلام غدا . . . م . س . ص : 486 .

57 ـ يتساءل عبد السلام ياسين

« هل يمكن أن ننظر للإنبعاث الاسلامي دون أن نعتبر الجرب الفكري المنتشر وباؤه فينا ، وأعني الفكر الماركسي؟ ، وهل يمكن أن ننظر لاسلام الغد غير ناظرين للجاهلية المذهبية المتحدية للعالم في هيكل روسيا الفولاذي وفي تربية الصين العتيدة؟ » .

- المرجع السابق . نفس الصفحة .

58 ـ المرجع السابق . ص : 491 .

59 ـ «الخطأ في التصور المنهاجي للعمل الاسلامي يوقف تحركنا في أول منعرج تمحص فيه قدرتنا على الرؤية الواضحة لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وبالشكل المناسب» .

أنظر :

- عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . م . س . ص : 236 .

60 ـ عبد السلام ياسين : الاسلام غدا . . . م . س . ص : 491 .

61 ـ عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة . . . م . س . ص : 292 .

في كتابه «تذكرة دعاة الإسلام» كيفية ربط العلاقة بالله، بالصلاة والذكر والصيام والتوبة، وينصح بالتفكر في اليوم الآخر ودراسة السيرة النبوية، ويتحدث لأتباعه بلسان الخير، أنهم يلقون متى أعلنوا توبتهم عنتا وتنكرا من ذويهم وأصدقائهم، بصفة عامة يوصي الرجل بجهاد النفس ورياضتها على الخير، ولا تجد عنده ذكرا لمجالس الذكر وللصحبة السنية التي سموها صوفية، مع أنه عندما كتب عن تجديد الدين في الإسلام لم يجد نماذج يقدمها إلا رجالا صوفية»(62).

وفي تقييمه لتجربة سيد قطب يقول عبد السلام ياسين: «نحن إذ نتعرض لفكر سيد قطب نخبره ونستنطق سطوره، نجد أنه خير من بحث عن المنهج النبوي، عاش أكثر من عشرين سنة يتدبر القرآن والسنة، وخرج من تأملاته بظلال القرآن وبكتابه الذي من أجله قتل «معالم في الطريق»، في هذين الكتابين وفي كتبه الأخرى الكثيرة تجد رؤية الاسلام صافية متعارضة تعارضا تاما مع ظلام الجاهلية، وينشد الرجل مفاصلة بين المسلم ومن ليس على هديه من أهله وعشيرته، ويحب القوة في الدين والصراحة وحمل الرسالة بشجاعة وإيمان، ثم إنه مع كل هذا، ومع بحثه الطويل العميق عن المنهج، لا يتحدث إلا قليلا عن الصحبة، عن هذه الطاقة النورانية التي تقتبس من المصحوب المتبوع وتقلب عقل المريد الصاحب ووجهته»(63).

غياب الصحبة في تجربتي أبي الأعلى المودودي وسيد قطب. وليس صدفة أن يكون الثاني امتدادا للأول، حكم عليهما بالاخفاق، وهو ما لا نلاحظه لدى حسن البنا. يتساءل عبد السلام ياسين: «من أين تكونت هذه الطاقة ومن أين جاءت هذه الجاذبية وهذا التأييد الإلهي الذي به تيسر للشاب الطاهر بناء جماعة طاهرة مجاهدة؟»(64).

الجواب: «إنها الصحبة، وإنه سر الله الذي يودعه قلوب الذاكرين، والشيخ البناء رضي الله عنه يلح في كتبه على هذه النقطة، ويلح على التربية الروحية وعلى الذكر والمداومة على الأوراد والوظيفة الجماعية، ويلح على الروحانية الصوفية، ومع ذلك فقليل جدا من الإخوان المسلمين من يدرك تمام الإدراك أنه ما كان لحسن البناء أن يرشد ويربي لو لم يكن هو قد تلقى تربية عن شيوخه الصوفية. وأن سر نجاح الدعوة الإخوانية لا يكمن في الفكر الإسلامي والخطب، لكن في صفاء قلب الشيخ الشاب، صفاء أورثه إياه ما كان اقتبسه بالصحبة»(65) و«من صحبة الأخيار انبعث في قلبه هذا الحب الإلهي الذي يغمر قلب المؤمن فيحب لإخوانه ما يحب لنفسه، ومن صحبة الأخيار توطدت في نفسه مثل الاستقامة على دين الله

62. نفس المرجع. ص: 294.

63. نفس المرجع. ص: 313 - 314.

64. نفس المرجع. ص: 372.

65. نفس المرجع. نفس الصفحة

وإخلاص العمل له، ومن نور الأخيار اقتبس حتى أصبح لله ذاكرا وإلى دينه داعيا» (66).

نختزل سعي عبد السلام ياسين إلى تقعيد العمل الإسلامي في خلاصتين:

- **على المستوى الفكري**: لا حركة جهادية بدون نظرية في الجهاد.
- **على المستوى التربوي**: لا حركة إسلامية بدون تربية إيمانية(67).

يكمن وراء هذا السعي إلى التقعيد حرص على اجتناب تبعات الإسلام «القاعد» ومزالق الإسلام «الحركي» الصرف(68).

2 ـ المهمة السياسية: توحيد العمل الإسلامي / مجلة «الجماعة» 1979

إذا كان كتاب «الاسلام بين الدعوة والدولة» الصادر سنة 1972، وكتاب «الاسلام غدا» الصادر سنة 1973 محاولتين لتقعيد العمل الإسلامي، فإن صدور مجلة «الجماعة» سنة 1979 (69) ترجم رغبة في توحيد هذا العمل وذلك عبر مستويين: الأول «عمودي» والثاني «أفقي».

---

66 ـ نفس المرجع. ص: 376 - 377.

67 ـ وهذا ما سيؤكده عبد السلام ياسين فيما بعد:

«لا تحرير إلا بجهاد، ولا جهاد إلا بتنظيم، ولا تنظيم إلا بنظام إمارة، ولا جدوى من التنظيم إلا بالتربية». أنظر:

ـ المنهاج النبوي... م.س، ص58.

«التنظيم بدون تربية جسم بلا روح»

ـ المرجع السابق. ص: 68.

«التنظيم والحركة بلا تربية إيمانية تحزب سياسي ما هو من الإسلام في شيء».

ـ المرجع السابق. ص: 455.

68 ـ «الذي نشكو منه في غثائيتنا ونكستنا الحضارية وانخناسنا عن واجب الجهاد ليس التأني الحازم والاقتصاد بين طرفين مذمومين، بل التطرف في الركود والقعود، أو في الحركية الرعناء، قوم ألفوا راحة العافية الخانعة (وهي بلاء لا عافية) يعيشون في خمول الهزيمة، وقوم مثاليون إما تدفعهم مثاليتهم للاستعجال، فيقفزون قفزات تؤول الى الفشل والنكسة، الى خيبة الأمل والريبة في الله والناس، وإما تنطوي مثاليتهم على نفسها، يعيشون مع ما فيه الاسلام دون أن يكون ذلك النموذج حافزا للهمم ومادة حياة».

ـ المرجع السابق. ص: 318.

69 ـ صدر أول عدد من مجلة «الجماعة» في فبراير 1979، وتمت مصادرة عددها الخامس والعاشر

أ ـ التوحيد العمودي : «السلفية» و«الصوفية»

منذ البداية، سعت مجلة «الجماعة» إلى توحيد العمل الإسلامي توحيدا «عموديا»(70)، حيث ميز عبد السلام ياسين بين «الطرقية» التي ندد بها(71)، والتصوف «السني» الذي يدعو إليه، وكان يرى أن الخلاف بين «السلفية» و«الصوفية» مرده إلى ثلاثة أسباب:

• **السبب الأول:** على مستوى العقل، «فكل من جانبه يدعي الصواب ولا يحاول الاطلاع على ما عند الآخرين، فيتعرض للتنكب عن الهدى والهوى في مواطن الردى سيما إن ادعى الهداية من دون الناس»(72).

• **السبب الثاني:** على مستوى النقل، «فكل فئة تزعم أنها وحدها تفهم وتطبق الكتاب والسنة»(73).

• **السبب الثالث:** على مستوى الإرادة، فـ«المسلمون السلفيون يريدون تطبيق السنن ومحاربة البدع، المسلمون الصوفيون يريدون وجه الله»(74).

وتوقفت بعد مصادرة عددها السادس عشر سنة 1985.

ومما يثير في العدد الأول ما جاء في فهرسته حيث يقول عبد السلام ياسين: «إن مجلة حرر موادها رجلان لا تحتاج الى فهرست. ما ذلك لأننا نريد احتكار المجلة للدفاع عن قضايا تخصنا، أو لتكون منبرا نستعلي من فوقه على الناس. لكن لأن إخواننا المؤمنين الذين ينتظرون أن يكون للإسلام صوت مسموع في هذه الديار فصلنا عنهم وفصلهم عنا قواطع الصمت الذي كان مفروضا، وقد زالت القواطع إن شاء الله تعالى.

«فهذه مجلتكم أيها المؤمنون المقبلون على الله الملتزمون بالإخاء والجهاد والقضية قضيتكم، غير أننا لا نحب أن ننشر الكلمات الخجولة ولا التي تمت بصلة للذهنية المصطنعة، نحب الفكر الهادف الذي ينم عن إرادة ويخاطب الوهم لارتياد التجديد واقتراح الحل الاسلامي لمشاكل أمتنا الاسلامية الكئيبة». ص: 113.

70 ـ لا ينبغي أن ننسى أن توحيد العمل الاسلامي على المستوى العمودي لا يشمل فقط توحيد «السلفية» و«الصوفية»، بل كان يطال أيضا توحيد «الشيعة» و«السنة».

71 ـ لقد أعلنت «جماعة العدل والاحسان» فيما بعد أنها ضد الطرقية». أنظر:

ـ توضيحات. كراس داخلي.

72 ـ عبد السلام ياسين: العقل والنقل والإرادة أو أزمة منهاج. مجلة الجماعة. السنة الأولى، العدد 4. شهور محرم ـ صفر 1400 هـ. ص: 17.

73 ـ نفس المرجع. ص: 18.

74 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

كيف السبيل إلى التوحيد بين «السلفية» و«الصوفية»؟، الأمر «يتوقف على سمو القيادات من كل الجوانب الى توطئة الطريق نحو تفاهم يتجاوز بحكمة العقل ومضاء الإرادة هذا التراث المشتت ويلتحم بالأصل رجوعا إلى الكتاب والسنة، ننظر فيهما مباشرة على أن القرآن هو قانون الله المحفوظ وخطابه إلينـا وعلى أن السـنة النبوية قبل الخلافات هي النموذج»(75).

توحيد «السلفية» و«الصوفية» ليس أمرا مستعصيا لأنه أصلا لا توجد اختلافات بينهما، فالعلاقة بين «السلفية» و«التصوف السني» يتخذ شكلين:

* **الشكل الأول**: «تداخلي»، فلقد «كان الحديث (76) والتزكية(77) بصحبة المشايخ العارفين بالله أمران لا يتنافيان، بل يجتمعان في شخصية قوية مجاهدة»(78). «لم يكن إذن في الأصل تناقض بين الحديث والتزكي، وكان الصوفية قبل أن تدخل الفلسفة والبدع والشعوذة من أحرص الناس على صفاء العقيدة إلى حرصهم على التوجه إلى الله وإخلاص القلب له»(79).

- **الشكل الثاني**: «تكاملي» حيث إذا كانت «السلفية» تهتم بظاهر الإنسان، فإن «الصوفية» تتولى باطنه، ويؤكد هذا ما يذهب إليه أبو الأعلى المودودي حيث يقول:

«إن علاقة الفقه إنما هي بظاهر عمل الإنسان فقط، ولا ينظر إلا هل قمت به على الوجه المطلوب أم لا، فإن قمت فلا تهمه حال قلبك ولا كيفيته، أما الشيء الذي يتعلق بالقلب ويبحث عن كيفيته هو التصوف، إن الفقه لا ينظر في صلاتك مثلا إلا هل أتممت وضوءك على الوجه الصحيح أم لا، هل صليت موليا وجهك شطر المسجد الحرام أم لا، وهل أديت أركان الصلاة كلها أم لا، وهل قرأت في صلاتك بكل ما يجب أن تقرأ فيها أم لا، فإن قمت بكل ذلك، فقد صحت صلاتك بحكم الفقه، إلا أن الذي يهم التصوف هو ما يكون عليه قلبك حين أدائك هذه الصلاة من الحالة: هل أنبت فيها إلى ربك أم لا، وهل تجرد قلبك فيها عن هموم الدنيا وشؤونها أم لا. وهل أنشأت فيك هذه الصلاة خشية الله واليقين بكونه خبيرا بصيرا وعاطفة ابتغاء وجهه الأعلى وحده أم لا، وإلى أي حد نزهت هذه الصلاة روحك وإلى أي حد أصلحت أخلاقك، وإلى أي حد جعلتك مومنا صادقا عاملا بمقتضيات

75- نفس المرجع. ص: 35.

76- رمز للسلفية.

77- رمز للصوفية.

78- عبد السلام ياسين: العقل والنقل والإرادة. . . . م. س. ص: 24

79 - نفس المرجع. نفس الصفحة.

إيمانك»(80).

إن هذا الشكل التكاملي للعلاقة يحيل حتما إلى الشك التداخلي، فالتصوف في نظر المودودي «عبارة في حقيقة الأمر عن حب الله ورسوله الصادق، بل الولوع بهما والتفاني في سبيلهما، والذي يقتضيه هذا الولوع وهذا التفاني ألا ينحرف المسلم قيد شعرة عن اتباع أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فليس التصوف الحقيقي بشيء مستقل عن الشريعة، وإنما هو القيام بأحكامها بغاية من الإخلاص وصفاء النية وطهارة القلب»(81).

تشكل العلاقة، إذن، بين «السلفية» و«الصوفية» بشكليها التداخلي والتكاملي مدخلا لتوحيد العمل الاسلامي على مستواه العمودي، وسيعود عبد السلام ياسين سنة 1988 للتذكير بهذه العلاقة من خلال كتابه «الرجال والإحسان»(82)، وإن كانت المهمة لا تبدو سهلة(83).

---

80 ـ المودودي: مبادئ الاسلام. ص: 133. مذكور في:

ـ عبد السلام ياسين: الى رحمة الله ورضاه، افتتاحية حول نعي المودودي، مجلة الجماعة. العدد 4. . . س. ص: 9.

81 ـ نفس المرجع. ص: 10.

82 ـ يتألف هذا الكتاب من 88 صفحة ويشتمل على ثمانية محاور:

- معاني الإحسان.
- ألا وإن في الجسد مضغة.
- عالم التصوف فقه واجتهاد.
- علوم القوم ومكانتها من بين العلوم.
- المحدثون والصوفية.
- الفقهاء تلامذة الصوفية.
- بين التشدد والاعتدال.
- مراجعة وثوبة.

83 ـ لقد استغل بعض «السلفيين» دعوة عبد السلام ياسين الى «التصوف» ليكفروه ويستخرفوه، يقول «ياسين»: «كنت كتبت منذ خمسة عشر عاما وأنا يومئذ لاأزال في بداياتي عن صحبتي لشيخ عارف بالله رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا خيرا، وأدليت بما كان معي يومئذ من شهادة واستشهدت بنقول استأنس بها ببراءة من اكتشف عالما فأخذ يصيح بكل قواه ليجلب انتباه الناس، لا يبالي بمن صدق أو كذب أو شك، تلك النقول ألزمني بها بعض الناس ما لا يلزم، كفرني بعضهم لأني ذكرت فلانا وفلانا فلم أكفر أحدا، واستخرفني آخرون لحديثي عن الغيب والكرامات».

ـ الرجال ـ الإحسان. 1977. ص: 12 - 11.

ب ـ التوحيد الأفقي : الإسلام «الدعوي» والإسلام «الحركي»

في العدد الأول من مجلة «الجماعة» الصادر في فبراير 1979 ، يكتب عبد السلام ياسين؛ «من الناس من سألنا : إذا كنتم صادقين في إرادة خدمة الإسلام ، فلم تؤلفون جماعة تزيد الصف الاسلامي تشككا ، انضموا إلى إحدى الجماعات العاملة لا تبددوا الجهود!؟ .

«سؤال وجيه جدا، وجوابنا أولا أننا حاولنا الاتصال بالجماعات الاسلامية بهذا البلد فلقينا إعراضا أو تخوفا أو تشككا، وجوابنا ثانيا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر للعمل تحت راية عمية ، أي في ظروف ولأهداف غير واضحة ، وإن الجماعات والجمعيات الاسلامية التي بهذا البلد ، إما جمعيات الشباب العاملة على منهاج الإخوان المسلمين ، وهي مع رجال التبليغ ، رجال الصبر والعمل ، التي تكون جماعات بمعنى التعاون والتحاب والانضباط ، على فرق ما بينها في الأسلوب وأفق العمل والفكر ، وسائر الجمعيات والتجمعات إما متمسكة بجانب واحد من جوانب التربية الاسلامية : التربية الروحية لدى الصوفية ، وتعليم نصوص الشريعة عند أهل السنة مثلا وإما متمكنة في الثقافة والمحاضرات(84) .

«وعندنا أن كل هذه الجمعيات تتكامل ، ونكن لجميعها المحبة ونعرف لكل ذي فضل فضله ، لكن إطار العمل لإنقاذ هذه الأمة يريد وضوحا في الفكر وجهادا علنيا واسعا ، وروحانية عالية ، وإن مسؤولية كل مؤمن ومؤمنة عند الله لعظيمة إن عمل على تفريق المسلمين ، فنعوذ بالله أن نفرق الصف ، إنما نريد أن نجمع الجهود، فننبذ كل الخلافات وننظر إلى المستقبل الذي ينتظر منا أن نجمع أولا كلمتنا لينطلق هذا الإسلام المشرق إن شاء الله تعالى»(85) .

ممن حاولوا الطعن في عقيدة عبد السلام ياسين من السلفيين نذكر :

ـ محمد بن عبد الرحمان المغراوي : «الاحسان في اتباع السنة والقرآن لا في تقليد أخطاء الرجال» .

ـ الحدوشي : الجهل والإجرام في حزب العدل والإحسان . 1/ 1993 .

واقرأ في الرد على محمد بن عبد الرحمان المغراوي :

ـ محمد خروبات وعبد الرزاق مرزوك : «الاتقان ببيان أخطاء «مقدمة» كتاب الإحسان . الطبعة الأولى . مراكش . غشت 1993 .

84 ـ حول تصنيف الجماعات العاملة في حقل الدعوة الاسلامية . أنظر :

ـ محمد ضريف : الاسلام السياسي بالمغرب ـ مقاربة وثائقية . منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماعي السياسي . الطبعة الثالثة . الدار البيضاء 1992 .

85 ـ عبد السلام ياسين : رسالة شخصية الى كل مؤمن ومؤمن ومسلم ومسلمة . مجلة الجماعة . العدد الأول م . س . ص : 109 - 110 .

وبعد هذا يتم تحديد الهدف المتمثل في التوحيد «أعينونا يرحمكم الله في مهمتنا الأولى مهمة جمع الشمل . . ندعوكم للمحبة والجماعة، وإلى هذا يرمز في ما يرمز، عنوان هذه المجلة . . اجمعوا معنا قوى الإسلام المبعثرة في وجه الكفر الغازي والظلم»(86).

غير أن هذا السعي لتوحيد العمل الاسلامي على المستوى الأفقي بين جماعات الإسلام الدعوي/ الفكري وجماعات الإسلام الحركي سيتم انتقاده، يقول أحد الإسلاميين موجها خطابه لعبد السلام ياسين: «إن خلاصة دعوتكم تتمثل في نبذ مواطن الخلاف الفقهي والتخلي عن التعصب الحزبي قصد إقامة توحد عام يمكننا من السير قدما نحو رفع راية الإسلام، فهل كان أسلوب دعوتكم في مستوى هدفها السامق؟، هذا ما لا نستطيع أن نجيب عنه بالإيجاب»(87)، ويؤسس انتقاده على جانبين:

• **الجانب الأول :** يتمثل في تباين طبيعة التنظيمات الإسلامية وذلك على مستويين:

* **المستوى الأول:** «تباين تنظيمات الجماعات المدعوة إلى التوحيد والتكتل: إذ لا نستطيع أن ندمج جماعة في أخرى. الأولى ذات تنظيم سري تقيمه حاجزا عتيدا في وجه أعداء الإسلام وسهام الطغيان . . والثانية علنية المدى تتخذ الوسيلة هدفاً والهدف وسيلة، وتبنت بين أعضائها خلايا ملعونة تبث فيها سمومها وقد يتسلق العملاء في الجماعات العلنية الى مستوى القيادة مما يزيد في الطين بلة وينفي احتمال تأثير القيادة في القاعدة حين يقتصر وجود المنافقين على هذه الأخيرة . . ».

* **المستوى الثاني :** «صعوبة ضم أصل جماعة إلى فرع أخرى والعواقب المنتظرة من المحاولة . . إذا نظرنا إلى الجماعات المتواجدة في بلادنا بتفحص . . نجد منها ما هو محدود الامتداد في المغرب وما لا يمثل تجمعه في المغرب إلا فرعا لجماعة أم بالخارج . . وهنا يكمن عائق التوحد بينهما . . فلن يندمج الفرع كليا إلا بموافقة أصله حيث قيادته العليا . . وباجتهادنا في مسيرة النداء بالتوحد قد نكسب جزءا من الفرع . . يكون إثمه أكثر من نفعه، إذ ستعتبر تلبيته للنداء انشقاقا من طرف قيادته، وقد يحدث خروجه هذا بلبلة في صف جماعته الأولى»(88).

• **الجانب الثاني:** يتجسد في اعتماد الصبغة العلنية واعتماد أسلوب «المجلة» كسبيل للتوحيد، فيقول مخاطبا ياسين: «إن دعوتكم غريبة في نشأتها وطرائقها: إنها تعتمد وسيلة المجلة من أول نداء، وكأنكم لا تدركون مقصد المجلة الذي يتجلى في جعلها منبرا تبث عبره

86 ـ نفس المرجع. ص : 110.

87 ـ عبد العزيز شهيد: أسلوب دعوتكم ليس في مستوى هدفها السامق. مجلة الجماعة. السنة الأولى. العدد 4. م.س. ص : 92.

88 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

الجماعة المنظمة مبادءها واحتجاجاتها على المواقف المتخذة ضد مصالح الإسلام. . . وبذلك تصبح المجلة لسانا بليغا لتجمع عضوي منسق. . أما أن تبرز المجلة والجماعة بلا مبادئ. . بل منعدمة الوجود، فهذا ما لا يمتسيغه العارف بطبيعة نشر الدعوة الاسلامية»(89) .

إضافة إلى «مخالفة طبيعة المجلة لعمله صلى الله عليه وسلم في مراحل دعوته» حيث بدأت بسرية وتكتم، في حين أن المجلة هي.«مظهر حسي من مظاهر العلنية السافرة في الجماعات»(90) .

ويرد عبد السلام ياسين على الانتقادين بوضوح، فعن الانتقاد الأول يؤكد «من يعترف بوحدانية الله ويعترف بحاكميته ويبغي جنته ورضاه ووجهه هل يخدم الغاية التي ترضي الله وهي وحدة المسلمين القطرية المهيئة لوحدتهم في دار الإسلام أم يشفق على هذه الهياكل المتفرقة المفرقة ويرجو بقاءها ويدعو للإبقاء عليها . نعرف . . صعوبة فك التكتلات الموروثة والقائمة بشخصياتها المتحجرة على اعتبار الوجود في الزمان والمكان بما في ذلك من اعتبارات الأسبقية للميدان والأهمية في الحجم والهيمنة على جزء من الزبائن والانتماء لجماعة أم لها مجدها وما يجري في ذلك الاتجاه من هم للاحتفاظ بالرئاسات وتوسيع دائرتها وإن اقتضى ذلك ثلب المنافس وقذفه بالبهتان واستعداء السلطة المفتونة به . أمراضنا الحركية نتجت وتنتج عن الفراغ التربوي والممارسة السطحية للكتاب والسنة إن كانت ممارسة»(91) .

وعن الانتقاد الثاني، يقول: «هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظم تنظيمات سرية؟ الجواب دائما يتوقف على الفرضية التي فرضتها وتريد أن تستدل عليها، هل كان النبيئون من قبله ينظمون تنظيما سريا؟ هل كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم معقلا سريا أم مجرد ملتقى متكتم داخل في جملة أسرار التنظيم؟ فإننا نميز بين التنظيم السري وأسرار التنظيم، التنظيم السري ما كان انضباطه قوة عنف متسلل ضارب، والتكتم استعانة ضرورية على أمور التنظيم وطبيعة مفروغ منها وسنية مفروغ من سنيتها»(92) .

وكما لم يتقبل «السلفيون» دعوة عبد السلام ياسين لتوحيد العمل الاسلامي بين «السلفية» و«الصوفية» على المستوى العمودي، فإن الجماعات الاسلامية العاملة في الساحة القطرية لم تستجب هي الأخرى لدعوته لتوحيد العمل الإسلامي على المستوى الأفقي(93)، ولعل هذا

89 ـ نفس المرجع. ص : 93.

90 ـ نفس المرجع. ص : 94.

91 ـ رد عبد السلام ياسين على رسالة عبد العزيز شهيد. المرجع السابق. ص : 99.

92 ـ المرجع السابق. ص : 97.

93 ـ بررت إحدى الجماعات الاسلامية عدم استجابتها للدعوة التوحيدية لعبد السلام ياسين بقولها: «إن كان الشيخ ضروريا في السلوك والتربية والشيخ ولي وصل إليه السر بالسند الى رسول

الإخفاق هو الذي نقل «جماعة العدل والإحسان» من مرحلة الاختمار إلى مرحلة التجسيد.

الله صلى الله عليه وسلم، ووصل الى الحقيقة الصوفية بتوجيه من شيخه، إن كان كل هذا أساس فكر الشيخ الدعوي والتربوي، فبديهي أن الكل يفهم أن الأستاذ يطرح نفسه شيخا يجب أن يسلس له القياد للوصول الى الحقيقة التي رأينا أنها في ميزان الشرع لا تعتبر.

«ومن ثم فما هو الموقف الطبيعي للأستاذ من قيام تعاون مع الاسلاميين الآخرين على أساس شورى عامة لا عبرة فيها بألقاب الشيخ والوصول، ولكن بمبادئ الشورى الشرعية كما طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه؟ أيقف الأستاذ مع الجماعات الاسلامية الأخرى موقف الند للند، أم يجب أن يدخلوا في طاعته ومتابعته؟

«إن الجواب عن هذا السؤال، نجده عند من كانوا فعلا طرف محاولة في تجربة وحدة فاشلة، والضروري أخذ العبرة من كل تجربة بعد تقييمها ودراستها». أنظر:

- جمعية الجماعة الاسلامية: موقف صريح. 1983. وثيقة بخط اليد.

الفصل الثاني
مرحلة التجسيد 1980 ـ ؟

بانتهاء مرحلة الاختمار سنة 1979، بدأت مرحلة ثانية في مسار «جماعة العدل والإحسان»
ابتداء من سنة 1980 ، وهذه المرحلة تتشكل من لحظتين :

- لحظة البناء .
- لحظة التحول .

أ ـ لحظة البناء : بين عمومية الدعوة وخصوصية الإطار / 1980 - 1987

بحلول سنة 1980 ، شرع في بناء «جماعة العدل والإحسان» تنظيميا ، وانتهت هذه اللحظة نظريا في غشت 1987 ، وقد واكب عملية إرساء البنيات التنظيمية للجماعة تحول في طبيعة الدعوة .

1 ـ من الدعوة «الخاصة» الى الدعوة «العامة»

اتسمت مرحلة الاختمار في تاريخ «جماعة العدل والاحسان» الممتدة بين سنوات 1972 و1979 بخصوصية الدعوة ، حيث انصب اهتمام عبد السلام ياسين على «تقعيد» العمل الاسلامي كمهمة منهاجية وتوجيده كمهمة سياسية(1) . وكانت هذه الجهود لتوحيد العمل الإسلامي سواء في مستواه «العمودي» أو في مستواه «الأفقي» مندرجة في خانة الدعوة «الخاصة» : دعوة «العلماء» و«الجماعات الاسلامية» إلى التوحد العام ، غير أنه بحلول سنة 1980 ، وفي أفق البناء التنظيمي ، سيتم الانتقال من الدعوة «الخاصة» الى الدعوة «العامة»(2) ، وتجلى ذلك عبر دائرتين : دائرة النخب المثقفة ودائرة النخبة الحاكمة .

أ ـ دائرة النخب المثقفة : «من أجل حوار مع النخبات المغربة»/ 1980

في 27 يونيو 1980 ، ألقى عبد السلام ياسين بالرباط محاضرة بعنوان «من أجل فتح حوار مع النخبات المغربة» ، وقد جسدت هذه المحاضرة إحدى تجليات الانتقال من خانة الدعوة «الخاصة» إلى خانة الدعوة «العامة»(3) ، حيث انبنت في حوارها للنخب «المغربة» على ثلاثة مستويات :

ـ **المستوى الأول** : دعوة المثقفين إلى الالتحاق بركب الحركة الإسلامية .

يقول عبد السلام ياسين : «إن النقطة الأولى والأساسية في حوارنا هذا هي أن ندعو النخبات المغربة الى أن تجعل من الحركة الإسلامية حركتها ، وأن تشاطر الشعب إيمانه بالله وشريعته ورسوله من منطلقنا وقانوننا ومرجعنا . إن الغرب الذي فقد روحه عندما بنى حضارته المادية على القيم الأرضية وحدها ، قد رسخ في الأذهان التي شوهتها جامعاته

---

1 ـ راجع ما كتبناه عن هذين المهمتين في الفصل الأول من هذا القسم .

2 ـ هذا لا يعني أن مرحلة الاختمار لم تعرف مؤشرات الدعوة العامة ، خاصة رسالة «الاسلام أو الطوفان» الصادرة سنة 1974 ، أو الأعداد الأولى لمجلة الجماعة .

3 ـ ألقى عبد السلام ياسين هذه المحاضرة باللغة الفرنسية حرصا منه على مخاطبة النخب المغربة باللغة التي تفهمها .

وفكره فأحكمت تشويهها فكرة خرقاء تقول: «إن الله غير موجود.. إن الرأي الجاهلي تحت ضغط قرون من التحريف الثقافي الصليبي ينظر إلى الشريعة الاسلامية وكأنها قوانين شنيعة عفا عليها الزمن. ويعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته نموذج التعصب الأعمى الذي هدد ويهدد من جديد التعصب العالمي»(4)، ويضيف موضحا هذا المعطى: «إن نظرية الجاهلية للعالم، البرجماتية منها والإيديولوجية لا تمثلان إلا الوجه والظهر لنفس العملة، ترفض كل فكرة عن الله وتنعتها بالسذاجة، أما في بلدنا فإن هناك إرهابا فكريا يناهض كل إيمان بالله بشكل يربو على ما يحدث في البلدان الجاهلية أصالة، وذلك نتيجة للمزايدة الطبيعية التي يتشرف المتعلم المبتدئ بإظهارها أمام معلمه مدافعا عن أطروحات أستاذه بثقة عمياء مرذولة، وفي بلداننا، وهي مجرد مقلدة لما يقع في البلدان الجاهلية أصالة. يعتبر الحديث عن الله والحقيقة والبعث بعد الموت دليلا على التخلف الفكري وعلامة على التعصب المظلم، ويبلغ ذلك حدا يزيد على ما يحدث في البلدان الجاهلية نفسها»(5).

وللقطع مع التصورات السابقة عن الاسلام وفي سبيل تحديد المهمات الآنية للحركة الإسلامية، يقول: «حان الوقت لكي نبين للعالم المثل العليا الاسلامية التي تستحوذ على روح المجاهدين وتقوي عزيمتهم وتوجه نشاطهم ليحيى قرابة ألف مليون مسلم في كرامة وعدل وليسود العالم سلام حقيقي بالرجوع الى الله وبالتالي لتتحقق كرامة الإنسان. لقد أرادت لنا الدعاية الغربية المعادية للإسلام طوال قرون عدة أن نشتهر كمثاليين حالمين ذوي عقلية ذرية عاجزة عن تصور الأشياء في شموليتها وعاجزة أيضا عن التأثير بايجابية حكمية في سير التاريخ»(6).

ويحدد عبد السلام ياسين سبيل النخب المغربة للتخلص من استلابها، هذا السبيل المتمثل في الكف «لفترة تجريبية عن التفكير والشعور وفق أنماط الآخرين»(7) والمدخل لهذا السبيل هو «إعادة قراءة أغنى كتاب من حيث مدلولاته: القرآن»(8).

المستوى الثاني: تصحيح الرؤية حول طبيعة التغيير الاسلامي

يقول عبد السلام ياسين: «في إيران تواجه الثورة الاسلامية (9) التي تعد نموذجا لأكثر من

4 ـ عبد السلام ياسين: من أجل فتح حوار مع النخبات المغربة. ترجمة أحمد الملاخ ومحمد بشيري. مجلة الجماعة، السنة الثالثة. العدد السابع. شهور محرم-صفر-ربيع الأول. 1401هـ ص: 34-35.

5 ـ نفس المرجع. ص: 35-36.

6ـ نفس المرجع. ص: 37.

7ـ نفس المرجع. ص: 39.

8ـ نفس المرجع. ص: 40.

9 ـ يحبذ عبد السلام ياسين استعمال مصطلح «قومة» بدل مصطلح «ثورة».

سبب صعوبات ناتجة عن بساطة تجربتها وخصوصا عن المؤامرات المبيتة في الداخل والخارج، ومع ذلك، فإن هذه الثورة التي تريد لنفسها أن تكون منفصلة عن المناهج الجاهلية وتصرح بذلك، تظل ثورة لا تعتمد على العنف، بل تعتمد على الله الذي وقاها مغبة الجهل ومنحها قوة التصدي بالصدور العارية لدبابات العدو ومدافعه، فاستطاعت أن تطيح بالمؤسسات الجائرة وأن تطرد فلول الظالمين بقوة الأيادي العزلاء، وبعد مرور خمسة عشر شهرا على سقوط النظام الظالم، لم ينفذ حكم الإعدام إلا في ثمانمائة شخص بعد محاكمتهم، وهذه قمة التسامح الذي صورته الدعاية المعادية مذبحة همجية، لأن ميول هذه الدعاية المزدرية للإسلام وسماجتها الوقحة، جعلتها تتعمى عن بشاعة ما اقترفته الشعوب التي تدعي الحضارة في التاريخ الحديث»(10).

وفي تحديده لطبيعة التغيير الاسلامي، يقول: «إن الثورة الاسلامية لا تعني العنف والانتقام، ولكنها لا تعني كذلك الأخلاقية الخائرة المبلدة. بل إن الثورة الاسلامية تعني جهادا منظما وفق قانون مضبوط: عدالة ذات أسس أخلاقية مرضية تنسجم وسائلها مع غاياتها، تضحيات مبذولة عن رضى وطواعية وجهود مصروفة لتسود المساواة الإسلامية الأصلية»(11).

يقتضي تحديد طبيعة التغيير الاسلامي تمييزه عن التغيير على الطريقة الغربية، فـ«الثورات على الطريقة الغربية تعتمد دائما على تغيير البنيات وإحلال طبقة حاكمة محل أخرى واستبدال إيديولوجية أو سياسة بأخرى، أما التغيير الاسلامي، فإنه لا يقبل الاحتفاظ ببنيات مستبدة ظالمة ولا يسمح لتفس الرجال الفاسدين أن يجربوا ألـوانا أخرى من الخداع والنفاق»(12).

المستوى الثالث: إبراز مأزق الايديولوجية القومية

---

10 ـ عبد السلام ياسين: من أجل فتح حوار مع النخبات المغربة... م. س. ص:42.

ولإبراز الطابع العنيف للتغيير على الطريقة الغربية، تتم الإحالة على بعض التجارب، فـ«بدون أن ندخل في الحساب هتلر وأضرابه من سفاحي الشعوب المستعمرة، نعيد الى الأذهان أن فرنسا غداة تحررها من الاحتلال الألماني بعيد الحرب العالمية الثانية قد ذبحت خلال ثلاثة أيام فقط مئات الآلاف من المتعاونين مع المحتلين الألمان... هذا مع العلم أن فرنسا شعب متحضر ولم يعان من قهر ثلاثين سنة من الطغيان الذي يفوق كل وصف. ولولا «سولجنستين» الذي شهر ببشاعة العهد الستاليني لما عرف العالم أن الثورة البلشفية وجبروت وحشها ستالين، قد كلفت الشعب مقتل ستين مليونا من الضحايا من بينهم عشرون مليون شهيد مسلم أبيدوا تحت الاحتلال السوفياتي».

ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

11 ـ نفس المرجع السابق. ص: 48.

12 ـ نفس المرجع. ص: 49.

يقول عبد السلام ياسين : «مثال واحد يكفي للتدليل على السلبية التاريخية التامة للوطنيات التي قسمت الأمة الإسلامية هو زرع دويلة إسرائيل في صميم قلب دار الإسلام وعجز دويلاتنا الهشة عن إنتاج سياسة موحدة لمجاهدة القوى الجاهلية التي سمحت لهذه البيضة الجرثومية ـ السرطانية ـ إسرائيل أن تفقس وتنمو في جسم أمتنا، والعرب يتحملون الآن لعنة الوطنية علاوة على لعنات الثروات المخزية لدى البعض وسط فقر الجميع وبؤسهم وتخلفهم، وإنها لأجسام بلا أرواح هذه الكيانات التي تبحث بالتناوب عن ملجأ ودعم لدى أمريكا التي صنعت دولة إسرائيل وتعتبرها جزءا منها، أو لدى روسيا التي باركت ميلاد هذه الدولة وتفتح أمام عشرات الآلاف من الأطر المكونة باب الهجرة الى الأرض المقدسة السليبة التي خلفها أجدادنا ليتمكن أهل الكتاب من اليهود والنصارى من عبادة الله بحرية الى جانبنا، وبدلا من الدور القيادي الذي كنا نقوم به كحملة رسالة للعالم يحتكم إلينا طوال ألف سنة خلت، إذا بدورنا هنا يقتصر على تمثيل ماجن حقير لشعوب يتيمة تحت وصاية حكام لا يتعدى أفقهم دروب الوطنيات الهزيلة ولا تتعدى إرادتهم طموحات أنانية ضيقة»(13).

إن اعتماد الايديولوجية القومية(14) هي إحدى مآسينا المعاصرة، وهي بـ«نتائجها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية تعوق سير الانسان نحو مستقبل كريم حر»(15).

ب ـ دائرة النخبة الحاكمة : «رسالة القرن في ميزان الإسلام»/ 1981

تأتي «رسالة القرن في ميزان الإسلام» الصادرة سنة 1981، لتبرز تجليا آخر من تجليات الانتقال من الدعوة «الخاصة» الى الدعوة «العامة» : دعوة النخبة الحاكمة الى التصالح مع أحكام الإسلام وشرائعه، وتنبني هذه الرسالة بدورها على ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : التنبيه الى واقع الأمة

إن «الأمة الإسلامية اليوم في حضيض تدهور تاريخي متخلفة اقتصاديا وعلميا، مستعمرة سياسيا وعسكريا وثقافيا، تابعة ممسوخة ماديا وحضاريا.

«من المسؤول عن هذا التدهور؟

«1 ـ قوم يقولون : الأمة في مرحلة تاريخية تسودها طبقية مستغلة على شكل إقطاعية أو

13 ـ نفس المرجع. ص: 52.

14 ـ راجع ما سنكتبه عن هذا المعطى في المبحث الأول من الفصل الأول من القسم الثاني من هذه الدراسة.

15 ـ عبد السلام ياسين: من أجل فتح حوار مع النخبات المغربة... م.س. ص : 55.

برجوازية طفيلية كمبرادورية عاجزة عن أداء دورها التاريخي. ويصف هؤلاء الحل الثوري لبدء صراع طبقي يحل العقدة التاريخية ويقفز بنا لغد تقدمي.

«2 ـ وقوم لا تنفتح أذهانهم لاستيعاب الديناميكية التاريخية ولإدراك أن الأمر صراع وطبقات، هؤلاء لا تحدثهم أنفسهم أن يهبوا ليصنعوا تاريخا محررا، هؤلاء يصفون العلاج على شكل مزيد من الاستثمارات ومزيد من التوزيع الناهب لفرص الاستغناء، ومن كان منهم أكثر إبصارا أو أقل بلادة أو أنقى ضميرا. . . يصف مشاريع إصلاحية.

3 ـ عامة الآخرين، وهم سواد الشعب، يعيشون الأزمة في بطونهم الجائعة وأجسامهم المريضة وأفكارهم المضللة بالإعلام الرسمي، هؤلاء يترقبون غدا أفضل، لا يحللون ولا يتاح لهم أن يعبروا عن رأيهم»(16).

إن واقع الأمة حكاما ومحكومين يتسم بالرجس المفضي الى الرجز(17) «رجس المحرفين على شكل فتاوى ديدان القراء، ورجس الفرعونية متمثل في الحكم بقانون الجاهلية»(18) و«مادام الرجس مستفحلا فهي بشائر الرجز الأليم»(19).

المستوى الثاني : تأكيد ضرورة «النصيحة»

تقول الرسالة : «سكت منا الخرس البكم عن الصدع بالحق والنهي عن المنكر، بل تجند ديدان القراء خدمة الإسلام الرسمي ليزمروا في عرس الباطل»(20)، وبذلك أماتوا سنة نبوية، وعليه، فالشرع لا يبيح لنا «أن نسكت عن النصيحة حتى ولو غلب على ظننا أنها لن تسمع، وإن سمعت لن تفيد، وإن أفادت في تحريك ضمير هنا وهناك، فهيهات أن يستطيع فرد أو أفراد تغيير شبكة الرجس الظالم وهدّ سدى النسيج والرجس الفاسق وهو لحمته والرجس العاصي والمتعدي وهو صبغته، وبين أدائنا لواجب إعداد القوة وواجبنا لإسداء النصيحة يتحير ويتيه من يحاول فهم حركتنا يقيسها بغير المعيار القرآني النبوي، نهيب أحيانا كثيرة بالحكام أن يتوبوا الى الله وأن يعيدوها لنا عمرية سنة عمر بن عبد العزيز»(21).

المستوى الثالث : تسطير المطالب

16 ـ عبد السلام ياسين: رسالة القرن الملكية في ميزان الاسلام. ص: 37-38.

17 ـ ينبغي التمييز بين الرجس وهو الشيء القذر والرجز وهو الاضطراب.

ـ المرجع السابق. ص : 33.

18 ـ المرجع السابق. ص : 35.

19 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

20 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

21 ـ نفس المرجع. ص: 39-40.

تؤكد الرسالة أن «الصحوة الإسلامية ليست فكرا يتأمل ويحيل فقط، إنما هي تحمل الفكر وتزيده مصداقية، يقظة عامة في صعود لا يمكن صده عن طريقه ولا قطعها عليه»(22)، حيث «لا يتضح لخفافيش الحكم والسياسة أن البديل الاسلامي هو الملجأ، وقد أخذت ضرورات التاريخ تطرق الباب بعنف على لصوص البيت ومع الضرورة التاريخية الغالبة القوية صاحب البيت المهضوم الحق تنتصر له ليرجع إلى بيته ليعيد ترتيبه وتدبيره»(23).

يشكل هذا التنبيه مدخلا لتسطير بعض المطالب منها ما هي ذات طبيعة عامة ومنها ماهي ذات طبيعة خاصة.

تتمثل المطالب ذات الطبيعة العامة في :

أولا - «قضية الحكم والقانون : دستورنا كتاب الله».

ثانيا - «قضية الطبقية الاستكبارية والظلم والإقطاعية».

ثالثا - «قضية الحرب والسلم».

رابعا - «قضية الخضوع للاستعمار والتحالف معه».

خامسا - «مشكلة الاقتصاد والتبعية والرق لقوى الاستكبار العالمي».

سادسا - «مشكلة الفساد الاداري والسياسي والخلقي».

سابعا - «مشكلة التعليم».

ثامنا - «مشكلة العامل والفلاح».

تاسعا - «مشكلة التفرنج والامتساخ الحضاري».

عاشرا - «مشكلة الإباحية المبرمجة إعلاميا وسياحيا وإداريا واقتصاديا»(24).

وتتجلى المطالب ذات الطبيعة الخاصة في :

أولا - «حقنا في التجمع»

ثانيا - «حقنا في تكوين جمعيات وأحزاب سياسية»

ثالثا - «حقنا وحريتنا في إعلان رأينا».

---

22 - المرجع السابق. ص : 38.

23 - نفس المرجع. ص : 39.

24 - نفس المرجع. ص : 20.

رابعا ـ «حقنا في لحانا وحجاب بناتنا: حقنا في رموزنا وسنة نبينا».

خامسا ـ «حقنا في المساجد».

سادسا ـ «حقنا في التحرك والسفر داخل المغرب وخارجه».

سابعا ـ «رفع الحصار الإداري عن حوائجنا. . . والحصار السياسي والبوليسي عن أشخاصنا»

ثامنا ـ «إطلاق سراح إخوتنا المظلومين المعتقلين»(25).

2 ـ من الإطار «العام» الى الإطار «الخاص»

إذا كانت طبيعة الدعوة قد انتقلت من خانة «الخاص» الى خانة «العام» بحلول سنة 1980، فإن العكس هو الذي حدث على مستوى الإطار التنظيمي، فبعدما كان عبد السلام ياسين يحاول توحيد العمل الإسلامي في إطار تنظيمي «عام» سعى بعد إخفاق هذه المحاولة، إلى تأسيس إطاره التنظيمي «الخاص»، هذا الإطار الذي كان له «منطلق» كما كانت له «استمرارية».

أ ـ المنطلق: من «أسرة الجماعة» الى «جمعية الجماعة»

في شتنبر 1981، أعلن عبد السلام ياسين عن تأسيس «أسرة الجماعة» كأول تعبير تنظيمي عن «جماعة العدل والإحسان»، وقد تحكم في هذا التأسيس اعتباران:

ـ **الاعتبار الأول**: ضرورة النزول الى أرض العمل المنظم بعد ممارسة جهاد الكلمة(26).

ـ **الاعتبار الثاني**: الإخفاق في توحيد فصائل الحركة الإسلامية المغربية(27).

يحكم تأسيس «أسرة الجماعة» ضابطان:

---

25 ـ نفس المرجع. ص: 24-25.

26 ـ عبد السلام ياسين: أسرة الجماعة. مجلة الجماعة. العدد السابع. م.س. ص: 6.

27 ـ «كنا نسعى لتوسيع الدائرة الاسلامية ابتداء من أوضاع كل جمعية وتجمع وتنظيم وحلقة إسلامية راضين بدور داعي الخير وساعي الألفة واللقاء، فوجدنا أن بعض التجمعات تحجرت في وضع لا يقبل اللين، وأخرى انغلقت على بضاعتها لا تريد الانفتاح. . . قوم سامحهم الله إن شاء أو أخذهم بذنوبهم إن تمادوا في الانحراف يكفرون غيرهم ويضالمونه. . جماعة تقول: «نحن جماعة المسلمين ورئيسنا أمير المؤمنين، والخارج على بيعته خارج على الملة» جماعة أضافت الى الجهل بمعاني البيعة وشروطها وشمولها رعونات النفس وفساد التصور وانحراف الاتجاه».

ـ المرجع السابق. ص: 7-8

ـ الضابط الأول : كونه أتى استجابة للدواعي المرحلية(28).

ـ الضابط الثاني : كونه محاولة لتأطير جماعة من المسلمين وليس تأطيرا لجماعة المسلمين بإطلاق، «لا نريد أن ننصب أنفسنا مربين لغيرنا، وما سمينا عملنا أسرة إلا إشارة لمكان المحبة ومعانيها والتعاون ومقتضياته عندنا»(29).

بعد مرور سنة عن تأسيس «أسرة الجماعة»، وبالضبط في شتنبر 1982، تم التفكير في تأسيس إطار تنظيمي جديد يعكس تحولات المرحلة ويحظى بالشرعية القانونية، وهكذا، ظهرت «جمعية الجماعة» كتاني تعبير تنظيمي عن «جماعة العدل والإحسان»، حيث وضعت قانونها الأساسي لدى السلطات المختصة بتاريخ 15 أكتوبر 1982، غير أن السلطات رفضت منحها الشرعية القانونية، وتكشف رسالة موجهة من «جمعية الجماعة» الى السلطات المختصة ملابسات هذا الرفض.

تقول الرسالة: «إن جمعية الجماعة كانت قد وضعت قانونها الأساسي بالقسم الخاص بتأسيس الجمعيات التابع للمصالح البلدية بتاريخ 1982/10/15، وبعد انقضاء المدة القانونية للإعتراف، وهي ثلاثة أشهر ويوم، وبعد الإجراءات التي اتخذتها السلطات المختصة خلال الفترة المحددة، لم تتوصل الجمعية بأي رفض أو طلب تعديل، إلا أنني بعد ذلك، فوجئت باستدعاء من طرف رئيس قسم الشؤون العامة بعمالة الرباط وسلا، وبعد الاتصال به في مكتبه، أخبرني بأن الجمعية قد قبلت، وطلب مني أن أسلمه توصيل إيداع الملف على أساس أن ذلك التوصيل هو توصيل مؤقت، وعلى أنه سيسلمني التوصيل النهائي باعتبار أن الجمعية قد أصبحت لها الصبغة القانونية.

«ولقد تساءلت عن أبعاد هذا التصرف غير القانوني، ذلك أن التوصيل الذي كان بحوزتي يعتبر هو التوصيل الرسمي والنهائي، لكن حسن النية دفع بي الى أن أجيب الرجل الى مطلبه.

«ومع الأسف، فلقد استعمل معي الرجل أسلوبا غير لائق تماما ولم أكن أنتظره من رجل مسؤول مثله، إذ أنه بعد تسمله الوصل، أخبرني أن الحجة التي كانت لدي بوضع الملف قد سلبت مني، ولم تعد للجمعية بالتالي صبغتها القانونية وأنها قد رفضت.

«ولما احتججت بأن ذلك جاء متأخرا، وأنه كان عليه أن يفعل ما فعل قبل انقضاء المدة القانونية وأن عليه أن يعلل على الأقل أسباب الرفض، أخبرني أنه سيفعل ذلك كتابة.

«وانتظرت التعليل وطال الانتظار، ولم أتوصل بشيء مما ادعاه الرجل.

28 ـ نفس المرجع. ص: 8

29 ـ نفس المرجع. ص: 9

«وإنني إذ أتقدم إليكم بهذا الطلب باسم الجمعية راجيا أن توضحوا أسباب الرفض - إن كان ثمة رفض - أخبركم بأن الجمعية تعتبر نفسها لازالت تتمتع بصبغتها القانونية طالما أنها لم تتوصل بأية رسالة توضح لها أسباب الرفض أو التعديل»(30).

لم تستسلم «جماعة العدل والإحسان» لهذا الواقع، وحاولت أن تبحث لمنطلقها عن استمرارية.

ب - الإستمرارية : «جمعية الجماعة الخيرية»/ 1983 - 1987

بعد «أسرة الجماعة» وبعد رفض السلطات منح «جمعية الجماعة» الشرعية القانونية بدعوى خلطها بين الدين والسياسة(31)، قامت «جماعة العدل والإحسان» بتأسيس ثالث تعبير تنظيمي لها بتاريخ 29 مارس 1983 تحت إسم «جمعية الجماعة الخيرية»(32) بقانون أساسي مطابق للقانون الأساسي لجمعية الجماعة، وبمكتب مسير يتشكل من تسعة أعضاء، واتسم نشاطها بالانتقال من تجربة الصحافة المكتوبة الى تجربة الأشرطة المسموعة والمرئية.

أولا : القانون الأساسي لـ «جمعية الجماعة الخيرية»

يتكون القانون الأساسي لجمعية الجماعة الخيرية من 32 فصلا موزعة على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : إسم الجمعية وأهدافها ومقرها ومدتها.

الفصل الأول : تطلق الجمعية على نفسها إسم «الجماعة الخيرية» وتحتفظ لنفسها بالحق في تغييره ملتزمة بما يفرضه القانون، وتعفي نفسها من كل مسؤولية في حالة استعمال الغير هذا الإسم احتيالا أو قصد الإضرار بها.

الفصل الثاني : جمعية الجماعة الخيرية جمعية ذات صبغة سياسية (الفصل 16 من ظهير

---

30 - رسالة فتح الله أرسلان المكلف بالشؤون الادارية لجمعية الجماعة الى عامل مدينة الرباط بتاريخ 16 فبراير 1983.

31 - الموجز في التعريف بجماعة العدل والإحسان.

32 - «دعت جمعية الجماعة الخيرية» للإجتماع التأسيسي ولانتخاب مكتب لها وذلك يوم الثلاثاء 29 مارس 1983 على الساعة السابعة مساء، وبعد حضور المدعوين، افتتحت الجلسة وتناول الكلمة السيد عبد السلام ياسين وشكر الحاضرين على تلبيتهم الدعوة وحضورهم للمشاركة في هذا الاجتماع الهام، ، وتناول الكلمة بعد ذلك السيد فتح الله أرسلان وعرض على الحاضرين القانون الأساسي للجمعية حيث صوت عليه بالإجماع، ثم عرض لائحة بأسماء المرشحين، وصوت عليها كذلك بالاجماع.

«وتناول الكلمة من جديد السيد عبد السلام ياسين باسم أعضاء المكتب وشكر الحاضرين على الثقة التي وضعوها فيهم، وطلب من الجميع أن يمدوا يد المساعدة لهؤلاء الأعضاء حتى يؤدوا مهمتهم على أحسن وجه، وهكذا انتهى الاجتماع حوالي الساعة العاشرة والنصف ليلا».

- محضر الاجتماع التأسيسي لجمعية الجماعة الخيرية.

الفصل الثاني عشر : لكل عضو الحق في الانسحاب بحسن نية متى أراد بعد أدائه واجب الانخراط عن المدة السابقة لانسحابه .

الفصل الثالث عشر : يفصل العضو من الجمعية إذا بدر منه ما يبرر الفصل وترفع لجنة التسيير الطلب معللا الى مكتب الإرشاد ليبث فيه في خلال أجل أقصاه خمسة عشر يوما من تاريخ رفع الطلب إليه ، ويعتبر الفصل ساري المفعول بمجرد توصل المعني بالأمر به أو بعد أسبوع من صدوره ولو لم يتوصل به .

الفصل الرابع عشر: كل عضو امتنع عن أداء واجب الانخراط مختارا يعتبر منسحبا من الجمعية ، ولابد له إذا رغب في الانضمام ثانية من تقديم طلب جديد .

الفصل الخامس عشر : قد يصدر من العضو ما يستوجب التوقيف فقط ، وفي هذه الحالة ، يحاط علما بقرار التوقيف تبعا للطريقة المنصوص عليها في الفصل الثالث عشر انف الذكر .

الفصل السادس عشر : يعتبر العضو مفصولا إذا بلغ عدد التوقيفات الصادرة في حقه ثلاثا ، ولا لزوم لأن تسبق التوقيفات الطرد .

الباب الثالث عشر : تحديد مسؤولية الأعضاء في الجمعية

الفصل السابع عشر : تتكون الجمعية من ثلاث هيئات : مكتب الإرشاد ولجنة التسيير ولجنة التنفيذ .

الفصل الثامن عشر : يتكون مكتب الإرشاد باعتباره الهيئة العليا في الجمعية من ثلاثة أعضاء هم :

1 ـ الرئيس . 2 ـ رئيس لجنة التسيير . 3 ـ رئيس لجنة التنفيذ .

الفصل التاسع عشر : ينتخب رئيس مكتب الإرشاد من بين أعضاء المكتب بعد حصوله على أصوات أغلبية الأعضاء بالاقتراع السري ، فإذا لم يحصل على الأغلبية ، أضيفت أصوات أعضاء لجنتي التسيير والتنفيذ .

الفصل العشرون : يتخذ مكتب الإرشاد قراراته بأغلبية أعضائه الحاضرين ، وإذا تساوت الأصوات ، رجح الفريق الذي صوت الرئيس الى جانبه .

الفصل الواحد والعشرون : يختص مكتب الإرشاد بتعيين أعضاء التسيير والتنفيذ ، وباتخاذ كل القرارات المهمة التي ينبني عليها وجود الجمعية واستمرارها ، ويجتمع مرة كل شهر أو كلما دعت الضرورة الى اجتماعه .

الفصل الثالث والعشرون : يمكن لمكتب الإرشاد أن يفوض بعضا من صلاحياته الى لجنة التسيير ، ويمكن للرئيس أن يتخذ القرارات الفورية التي لا تتطلب حضور الأعضاء

وموافقتهم.

الفصل الثالث والعشرون: تنتهي مهمة مكتب الإرشاد بعد مضي ثلاث سنوات على مباشرته مهامه، ويستمر الى حين انتخاب مكتب جديد، ولا حد للمرات التي يعاد فيها انتخاب المكتب نفسه برئيسه.

الفصل الرابع والعشرون: تتركب لجنة التسيير من أربعة أعضاء: رئيس اللجنة وثلاثة أعضاء آخرين.

الفصل الخامس والعشرون: يختار أعضاء لجنة التسيير بعد تعيينهم من قبل مكتب الإرشاد، رئيسا من بينهم سالكين نفس الخطوات المتبعة في انتخاب رئيس مكتب الإرشاد، فإذا لم يتوصلوا الى اختيار الرئيس، عينه رئيس مكتب الإرشاد مباشرة.

الفصل السادس والعشرون: تتلخص مهام لجنة التسيير في السهر على سير أشغال الجمعية ورفع تقاريرها وملاحظاتها واقتراحاتها الى مكتب الأرشاد، وفي متابعة مختلف الأنشطة التي تقوم بها الجمعية، ويمكن أن تبث في طلبات الانخراط إذا أوكل إليها مكتب الإرشاد أو رئيسه تلك المهمة. .

الفصل السابع والعشرون: تستمر لجنة التسيير في الوجود باستمرار مكتب الإرشاد، وإذا أقيل أحد الأعضاء من مهامه، فإن مكتب الإرشاد أو رئيسه يعين بديلا عنه.

الفصل الثامن والعشرون: تتكون لجنة التنفيذ من نفس عدد الأعضاء الذي تتكون منه لجنة التسيير، ويعين أعضاؤها بنفس الكيفية.

الفصل التاسع والعشرون: تقوم لجنة التنفيذ بتطبيق قرارات مكتب الإرشاد، ويوزع أعضاء اللجنة المهام بينهم مراعين المؤهلات التي يتوفر عليها كل منهم. ولا مانع من حضور أعضاء لجنة التسيير الاجتماعات التي يعقدونها بصفتهم ملاحظين فقط، ما لم يكونوا حاصلين على تفويض من طرف مكتب الإرشاد أو رئيسه.

الفصل الثلاثون: تستمر لجنة التنفيذ في الوجود وتتجدد بنفس الطريقة التي تتجدد بها لجنة التسيير (الفصل 27 أعلاه).

الفصل الواحد والثلاثون: ترفع لجنتا التسيير والتنفيذ تقارير شهرية الى مكتب الإرشاد، وبعد دراستها، قد يدعو الرئيس الى عقد اجتماع عام أو خاص طارئ، توضح فيه المشاكل وتوضح فيه الحلول المقترحة.

الفصل الثاني والثلاثون: يحق لمكتب الإرشاد إحداث فروع للجمعية أو تعيين ممثلين عنها داخل الوطن وخارجه متقيدا بما ينص عليه القانون، ويخضع الممثلون والفروع جميعا لقرارات الجمعية الأم وتوجيهاتها.

ثانيا / المكتب المسير لجمعية الجماعة الخيرية

الإسم العائلي	الإسم الشخصي	إسم الأب	إسم الأم	تاريخ ومكان الازدياد	الجنسية	العنوان الشخصي	المهنة	المهنة بالمكتب
ياسين	عبد السلام	محمد بن عبد السلام	رقية بنت أحمد	1928 بمراكش	مغربية	زنقة خيزران 376 حي السلام - سلا	مفتش في التعليم	رئيس
الملاخ	أحمد	أحمد الملاخ	الطاهرة بنت أحمد	1941 بمراكش	مغربية	الداوديات الوردة الرابعة 56 زنقة الشفاء - مراكش	أستاذ بالمركز الجهوي التربوي مراكش	عضو مجلس الارشاد ورئيس لجنة التسيير
العبادي	محمد	عبد السلام	محجوبة	1949 بالحسيمة	مغربية	زنقة 9 رقم 3 حي مبروكة، سطات	أستاذ	عضو في لجنة التسيير
المتوكل	عبد الواحد	عبد الله	عيدة	1954 بآسفي	مغربية	27، زنقة الأمة، حي المستشفى، آسفي	أستاذ	عضو في لجنة التسيير
العلوي	محمد	عبد الرحمان	خدوج بنت الحسين	1931 بمراكش	مغربية	مدرسة الامام الجزولي مراكش	مرشد تربوي	عضو في لجنة التسيير
بشيري	محمد	أحمد	حليمة	1947 أولاد عمران الجديدة	مغربية	71، درب المنجرة، عمارة 16، الدار 3 البيضاء	مفتش في التعليم	عضو في مجلس الارشاد ورئيس لجنة التنفيذ
الجبار	عبد الهادي	الحسين بن المكي	ميلودة بنت الطبي	1953 بالبيضاء	مغربية	حي الادريسية زنقة 58، الرقم 8 البيضاء	أستاذ	عضو في لجنة التنفيذ
أرسلان	فتح الله	محمد	صفية بنت قاسم	1955بالرباط	مغربية	176 ، شارع السويقة الرباط	أستاذ	عضو في لجنة التنفيذ
النقرة	محمد	عبد الكبير بن المعطي	الغالية بنت المعطي	1949 بالرحامنة	مغربية	الداوديات، الوردة الخامسة رقم 69 مراكش	طالب	عضو في لجنة التنفيذ

II ـ لحظة التحول : رفع شعار «العدل والإحسان»/ 1987

في شتنبر 1987 ، رفعت الجماعة شعار «العدل والإحسان» ، وأصبح منذ ذلك التاريخ لصيقا بها ، وحددت الجماعة في بيان لها الحيثيات التي دفعتها الى رفعه . يقول البيان :

«يليق بجماعة تحمل مشروعا مستقبليا أن تتسلح باليقين لترسخ أقدامها في أرض الواقع فلا تزلزلها الهزات المفزعة المفجعة التي تعصف بكيان الأمة ، والدعوة الإسلامية أمل مشرق وواقع متحرك وسط القتامة .

«فما هو موقع جماعتنا من الدعوة وأي أمل يمكن أن يعقده الناس على حركتنا ، وأي معنى وإرادة وهدف تختفي وراءه اللحية والحجاب ولزوم المسجد وتبني العبارات القرآنية؟

«نبقى هملا متسكعين في شارع الدعوة ونبقى سائمة تائهين في سوق السياسة إن لم نتبن قضيتين هما أهم القضايا في الدين والدنيا ، في الدعوة والدولة ، في المصير السياسي و المصير الأخروي«قضيتا العدل والإحسان أمر الله تعالى بهما أمرا عازما في قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان» ، أما قضية الإحسان فالحديث عنها في الأوساط الاسلامية مستفيض وما يكتب كاتب ويخطب خطيب أو يتحاور أهل مجلس إلا وقيل في «الخواء الروحي» وضرورة «التربية الروحية» .

«وأما قضية العدل فمسكوت عنها سكوتا يكاد يكون عاما لولا ما نقرأه من فكر إخواننا في تونس «حركة الاتجاه الاسلامي» ، الحديث عن العدل الاجتماعي ونصرة المستضعفين والنضال من أجل الطبقة المسحوقة قارة سياسية يحتكرها اليساريون ، يظن الاسلاميون أنهم فرغوا من موضعها عندما يقررون أن «لا طبقية في الاسلام» وأن الاسلام ينصف المظلومين ، لا يذكر أحد كيف لا توجد في الاسلام ، في أي إسلام؟ إسلام القرآن أو إسلام الواقع؟ ولا يذكر أحد كيفية إعادة العدل الى النصال القرآني ولا الوسائل الى تلك الإعادة .

«إننا نستخير الله العلي القدير . . . أن نتخذ لأنفسنا قضيتي العدل والاحسان إسما وشعارا يلخص برنامجنا بعدما بسط المنهاج مبادئ الاسلام ومقتضيات الإيمان والإحسان ، إن الشكوى من الفراغ الروحي والجدب الإيماني لا تفيد في كسب اليقين والتقوى ولا تجدي الكتب والمحاضرات ، إنما يفيد أن نستمع القول فنتبع أحسنه ، وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، فما بال بعض المراقبين لنا والوافدين علينا يلوموننا أن نعبد الله وأن نجعل عبادتنا كلا لا يتجزأ ، سواء عمل المؤمن في يومه وليلته وثباته وتميزه وخلقه وإنفاقه ، وإنجازه وإتقانه ، ودراسته وتجارته ، ومرابطته لذكر الله ودعوته وقيامه بالقسط في الخلاء والملأ ، بعضهم يود أن لا يسمع من يذكر الله وحب الله والتقرب الى الله والبكاء من خشية الله ، ولا تجد من هؤلاء ، إلا كل ساكت عن حق المستضعفين غافلا عن معنى الاستكبار ومخططات المستكبرين .

«نحمل شعار العدل والاحسان ليكون لواؤنا الدعوات نائرا خفاقا بخفقان حب الله في قلوبنا وخفقان الحب في الله والذلة على المؤمنين وحب المساكين والجهاد في سبيل الله والمستضعفين، وليكون عنواننا في شارع السياسة منشورا مشهورا له أصالته من القرآن وله واقعيته من غضبنا لما تنتهكه الطبقة المترفة المستكبرة من حقوق الله وحقوق العباد.

«الإحسان لتطمئن خطانا الى الله، وخطواتنا في مواجهة الحقائق المرعبة في المجتمع: حقائق الانسلاخ عن الدين وما يتبع من فساد الأخلاق وفساد العلاقات الاجتماعية، علاقات الاستكبار الطبقي والحقد الطبقي، بوجود الإحسان، لن ندعو أبدا الى الحل الصراعي العنيف، ولن يستفزنا جو الكراهية المخيم على الأمة من فعل الفئات الشاذة عن حكم الله الظالمة المتعسفة علينا فنفقد توازننا، إذ التوازن عدل، يكون حملنا لشعار عظيم، وما يكنه من برنامج واسع عريض مجرد ضوضاء وغوغاء إن فقدنا المطلب الإحساني أو اندثرت معانيه في قلوبنا لا قدر الله، والعدل مبادرة الى هموم الأمة بأمر أنزله الله، فهو واجب على المحسنين، لا تسابقا مع المتاجرين في سوق اليسار، العدل برنامجنا الواضح، لتتحد عليه جهود الصادقين وتلتف حوله جماهير الأمة، يكون عملنا اضطرابا عقيما على وجه الأحداث، وعملا غير صالح بمعيار القرآن إن لم نحمل في قلوبنا وعقولنا نية العدل، وإن لم تمض عزائمنا وأعمالنا لتحقيق العدل؛ العدل في الحكم والعدل في القسمة بهما جاء شرع الله ربنا»(33).

إن لحظة التحول برفع شعار العدل والإحسان أبان عنها مؤشر ونتجت عنها آثار.

ا ـ المؤشر: هيكلة الجماعة

اتسمت لحظة التحول في تاريخ جماعة العدل والاحسان بإيلاء أهمية بالغة لمسألة الهيكلة سواء على مستواها «المركزي» أو على مستواها «القطاعي».

أ ـ الهيكلة المركزية : ثلاثة مستويات

تنبني هيكلة «جماعة العدل والاحسان» على ثلاثة مستويات: مستوى الهيئات «المقررة»، ومستوى الهيئات «التنفيذية» وأخيرا مستوى الهيئات «التربوية»(34).

ـ **المستوى الأول : الهيئات «المقررة»**

33 ـ راجع نص هذا البيان المؤرخ في 2 ذي الحجة 1407 في :

ـ محمد ضريف : الاسلام السياسي بالمغرب . . . م. س. ص: 317-318-319

34 ـ لا ينبغي أن ننسى أن هذا التمييز هو لضرورات عملية، ذلك أن جميع الهيئات تمارس دورا «تربويا».

تتحدد الهيئات المقررة في ثلاث : المؤتمر العام والمرشد العام ومجلس الإرشاد .

أولا : المؤتمر العام

يشكل المؤتمر العام أعلى سلطة داخل جماعة العدل والاحسان(35) ويضم كل النقباء ابتداء من الشعب إضافة الى أعضاء المجلس التنفيذي ومجلس الإرشاد ويترأسه المرشد العام، والمؤتمر العام يجتمع مرة كل ثلاث سنوات لدراسة أحوال الدعوة والجهاد وتحديد خط السير، كما يجتمع في حالات استثنائية للنظر في عزل المرشد العام أو أحد أعضاء مجلس الإرشاد أو حالات أخرى يحددها المرشد العام(36) .

ثانيا : المرشد العام

يمارس المرشد العام مجموعة من الصلاحيات، يمكن اختزالها في أربع وظائف :

ـ الوظيفة الأولى : وظيفة التولية والتعيين، فالمرشد العام «يولي ويرفض من تختاره المجالس للنقابات، ولا تنعقد الإمارة على مستوى النقابة إلا إذا عقدت بصك يمضيه هو أو نائبه، وفي حالة رفضه لمرشح يعاد الانتخاب ولو لمرات متعددة(37)، وما ينطبق على قيادات الهيئات التربوية ينطبق كذلك على قيادات الهيئات التنفيذية، لأن المرشد العام ليس مسؤولا فقط عن تزكية قيادات الهيئات التربوية، بل هو مسؤول كذلك عن اختيار المسؤولين عن التنفيذ»(38)، إضافة الى ممارسة حق نقل الموظفين والمتفرغين(39) .

ـ الوظيفة الثانية : وظيفة تأديبية تتمثل في :

. حق العزل، فللمرشد العام «أن يعزل كل نقيب أو عضو في مجلس التنفيذ القطري أو موظف في أجهزة التنفيذ» .

1 ـ حق الفصل من عضوية الجماعة .

2 ـ حق اتخاذ عقوبات ضد الأعضاء (40)

ـ الوظيفة الثالثة : وظيفة توجيهية تتجلى في :

---

35 ـ راجع ما سنكتبه في المبحث الثاني من الفصل الأول من القسم الثالث من هذه الدراسة حول خصائص التنظيم لدى جماعة العدل والاحسان .

36 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي. . . م. س ص : 70-71 .

37 ـ نفس المرجع . ص : 63

38 ـ نفس المرجع . ص : 60

39 ـ نفس المرجع . ص : 64

40 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

1 ـ اتخاذ القرارات التربوية والتنظيمية

2 ـ تحديد الخط السياسي للجماعة

3ـ ترجيح الأحكام الشرعية في الخلافيات

4ـ توزيع المسؤوليات

5 ـ التفويض في المهام

6 ـ تعيين اختصاصات الأجهزة(41)

ـ **الوظيفة الرابعة :** وظيفة تمثيلية، فهو الذي يمثل الجماعة داخل القطر وخارجه(42)

ثالثا : مجلس الإرشاد

أعضاء مجلس الإرشاد هم شورى المرشد العام ووزراؤه، يمارسون بعض مهامه بتفويض وهم قيادة بجانبه إضافة إلى دورهم التربوي(43)

وإذا كان المرشد العام يتوفر على سلطة واسعة في حل أو عزل أعضاء مجالس الهيئات التنفيذية والتربوية، فإنه ليس بإمكانه إقالة عضو من مجلس الإرشاد إلا أمام المؤتمر العام وبتصويت ثلثي أعضائه(44)، وحين يقدم المرشد العام على حل مجلس الإرشاد لا يتم ذلك إلا أمام المؤتمر العام، وتنحل إمارته هو الآخر، مما يستدعي إجراء انتخابات جديدة(45).

وقرارات مجلس الإرشاد هي ملزمة للمرشد العام في حالة اتخاذها بأغلبية الثلثين(46).

ـ **المستوى الثاني :** الهيئات «التنفيذية»

تتكون الهيئات التنفيذية لجماعة العدل والاحسان من هيئتين : «مجلس التنفيذ القطري» و«مجالس النقباء».

أولا : مجلس التنفيذ القطري

41ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

42ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

43ـ نفس المرجع . ص : 65-66

44ـ نفس المرجع . ص : 63

45ـ نفس المرجع . ص : 64

46ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

يتراوح عدد أعضاء مجلس التنفيذ القطري بين 7 و 40 عضوا أو أكثر حسب اتساع دائرة العمل، ويختار هذا المجلس من قبل المؤتمر التنفيذي القطري بأغلبية ثلثي أعضائه، والذي يختار كذلك رئيسه حيث يتم اقتراحه على المرشد العام الذي يمتلك صلاحية قبوله أو رفضه، ويعاد انتخاب أعضاء مجلس التنفيذ القطري مرة كل ثلاث سنوات(47)، كما يعقد المجلس اجتماعاته مرتين في السنة على الأقل.

يقوم نقيب مجلس التنفيذ القطري بتنسيق أعمال الجماعة تحت إشراف أعضاء مجلس الإرشاد(48)، وهو مسؤول عن متابعة القرارات وضبط الانجازات، كما يكلف كل عضو من أعضاء مجلسه بالإشراف على إحدى أجهزة التنظيم وذلك تحت إشراف العضو المختص في مجلس الإرشاد، إضافة الى ذلك فهو مسؤول عن :

- حفظ الوثائق.
- رفع اقتراحات المجالس التربوية حيث يكون على اتصال دائم بها.
- تبليغ أوامر القيادة.
- اقتراح إنشاء مكاتب فرعية أو إلحاق منظمة جديدة(49).

تتبع لمجلس التنفيذ القطري مجموعة من الأجهزة وهي :

- **الجهاز الأول :** مكتب العضوية وظيفته ضبط الطاقات البشرية الموجودة داخل التنظيم.
- **الجهاز الثاني :** مكتب العلاقات لتجميع المعلومات والمخططات، وهو وسيلة اتصال في الداخل والخارج.
- **الجهاز الثالث :** اللجنة التربوية ومهمتها ضبط اللقاءات والمحاضرات والندوات الثقافية ووضع البرامج والكتب والدراسات.
- **الجهاز الرابع :** اللجنة السياسية وظيفتها تحليل الأوضاع انطلاقا من تجميع المعلومات بغية التعرف على مشاكل القطر.
- **الجهاز الخامس :** لجنة التعليم وتقوم بتوجيه الدعوة في صفوف الطلبة والاتصال برجال

47- مع التذكير بأنه يتم تجديد ثلث أعضاء المجلس كل سنة

- المرجع السابق. ص : 66

48- يختار المجلس تقيبه كل سنتين بأغلبية ثلثي أعضائه ويؤمره المرشد العام.

- المرجع السابق. نفس الصفحة

49- نفس المرجع. ص : 73

التعليم.

ـالجهاز السادس: اللجنة الفنية والقانونية للتنسيق والتخطيط وتطوير أساليب العمل.

ـالجهاز السابع: لجنة الاعلام وظيفتها إخبار الأمة عن طريق وكالات الأنباء والصحف والمجلات والكتب والإذاعات والتلفزات بأحوال المسلمين.

ـالجهاز الثامن: اللجنة المالية مهمتها إدارة أموال الجماعة، تجمع اشتراكات الأعضاء والتبرعات والزكوات إما بالانفاق على مستحقيها أو استثمارها للدعوة من خلال تأسيس منشآت تجارية وصناعية.. الخ.

ـالجهاز التاسع: مكتب السياحات والمعسكرات والرياضة.

ـالجهاز العاشر: لجنة الأعمال الخيرية والإسعاف الطبي حيث توظف أموال التطوع للقيام برعاية الأيتام وتشغيل العاطلين وعلاج المرضى.

ـالجهاز الحادي عشر: صندوق الزواج والحج.

ـالجهاز الثاني عشر: لجنة المسجد وظيفتها التشجيع على بناء المساجد وتعميمها(50).

ثانيا: مجالس النقباء

مجالس النقباء هي مجالس إرشادية تربوية تنفيذية، ما تتلقاه من الهيئات «التربوية» تناقشه وترفعه الى مجلس التنفيذ القطري، وما يأتيها من فوقها تنفذه بانضباط(51).

ـالمستوى الثالث: الهيئات «التربوية»

تتألف الهيئات التربوية من أربع: الأسرة والشعبة والجهة والإقليم.

أولا: الأسرة

الأسرة خلية مفتوحة يلتحق بها العضو بعد تشاور بين نقيبها المربي وتزكية أعضائها المعترف بعضويتهم، وخلال مدة سنة إذا برهن العضو على حسن بلائه، يضفي عليه مجلس الجهة بأغلبية سبعة أصوات مرتبة نصير ثم بعد ذلك مرتبة مهاجر وبعد ذلك مرتبة نقيب(52).

تجتمع الأسرة ثلاث مرات في الأسبوع وهي مخصصة للذكر والعلم وإفطار جماعي وليلة

50ـنفس المرجع. ص: 74-77

51 ـنفس المرجع. ص: 66

52 ـراجع ما كتبناه عن مراتب جند الله في المبحث الأول من الفصل الثاني من القسم الثالث من هذه الدراسة.

للقيام(53).

ثانيا : الشعبة

تتشكل الشعبة من عشرة أسر، ونقباء هذه الأسر يكونون مجلس الشعبة حيث يختارون واحدا منهم بأغلبية سبعة أصوات ليكون «نقيبا» للشعبة بعد موافقة المرشد العام أو نائبه(54)، ويجتمع مجلس الشعبة مرة في الأسبوع بدعوة من نقيب الشعبة(55).

ثالثا : الجهة

تتكون الجهة من عشرة شعب أو أكثر، ويقوم نقباء الشعباء باختيار أعضاء مجالس الجهة (سبعة أعضاء) بأغلبية الثلثين، ومجلس الجهة بأغلبية أربعة من أعضائه يختار نقيبا للجهة بعد موافقة المرشد العام أو نائبه(56)، ويجتمع مجلس الجهة مرة في الشهر على الأقل بدعوة من نقيبه(57).

رابعا : الإقليم

يتكون الإقليم من عشرة جهات أو أكثر، ويقوم نقباء الجهات باختيار مجلس للإقليم يتشكل من سبعة أعضاء، والسبعة يختارون واحدا بأغلبية أربعة أصوات كنقيب للإقليم بعد موافقة المرشد العام أو نائبه(58)، ويجتمع مجلس الإقليم مرة في الشهر على الأقل بدعوة من نقيبه(59).

ب ـ الهيكلة القطاعية : القطاع الطلابي نموذجا

تولي «جماعة العدل والاحسان» اهتماما خاصا لقطاع التعليم، فمؤسسات التعليم تشكل «هدف الدعوة الأول ويوجه المؤمنون لوظائف التعليم»(60). وداخل هذا القطاع يتم التركيز

53ـ عبد السلام : المنهاج النبوي . . . م.س. ص 61 ص : 71.

54 ـ نفس المرجع. ص: 61

55 ـ نفس المرجع. ص : 71

راجع كذلك :

ـ جماعة العدل والاحسان : البرنامج التربوي المرحلي وارد في :

محمد ضريف : الاسلام السياسي بالمغرب. . . م.س. ص : 354-369

56ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . م.س. ص: 61-62

57 ـ نفس المرجع. ص : 71

58ـ المرجع السابق. ص: 62

59ـ المرجع السابق. ص : 71

60ـ المرجع السابق. ص: 72

بشكل خاص على هيكلة القطاع الطلابي(61).

استطاعت «جماعة العدل والاحسان» أن تشكل فصيلا تابعا لها في الوسط الطلابي أصبح فاعلا في الساحة الجامعية انطلاقا من مرجعية فكرية محددة في ميثاقه(62)، وتسعى الجماعة بواسطة فصيلها الى تأطير القطاع الطلابي وذلك بالعمل أولا من داخل «الاتحاد الوطني لطلبة المغرب»، انطلاقا من مقررات مؤتمره السادس عشر، وثانيا من خلال برامج سنوية على مستوى الفروع. وسنورد هنا على سبيل المثال البرنامج السنوي للسنة الجامعية 1994-1993 لفرع الدار البيضاء.

ينبني البرنامج السنوي على ثلاثة مستويات: مستوى التربية ومستوى التنظيم وأخيرا مستوى الزحف.

المستوى الأول: تربية.

التربية النضالية للجماهير الطلابية على المشاركة المهتمة والفعالة وتحمل المسؤولية عن طريق:

أ-تنمية الأنشطة الثقافية الجادة والمسؤولة وتتمثل في:

- مجلات حائطية.
- تنظيم حلقات نقاش، محاضرات، ندوات، وأمسيات.
- تنظيم مسابقات ثقافية ورياضية.
- تنظيم رحلات.
- نادي الكتاب والأشرطة.
- إنشاء مجلة طلابية جامعية.
- إقامة أيام الطالب الجديد وأسابيع ثقافية.
- تخليد الأيام الثقافية الجامعية.

61- كانت مجلة الجماعة تخصص ركنا خاصا للطلبة باسم «ندي الطلبة».
وخصصت عددا خاصا من المجلة لهم أسمته دليل الطالب المغربي، أنظر:
ر مجلة الجماعة العدد 14 السنة الرابعة شهر ذي الحجة 1403.
ومن ضمن الأجهزة التابعة لمجلس التنفيذ لجد لجنة التعليم

62- راجع ميثاق طلبة العدل والاحسان في كتابنا الاسلام السياسي بالمغرب.

- القيام بمعارض ومهرجانات .

ب - دعم المشاركة النضالية والثقافية للطالبات :

- تنظيم منتدى الطالب

- أروقة خاصة بابداعات الطالبات .

- تنظيم يوم دراسي جامعي لترشيد العمل النضالي والثقافي للطالبات .

المستوى الثاني : تنظيما .

1 - إعادة بناء مكاتب التعاضديات ومجلس القاطنين ومكاتب الفروع وفق مقررات المؤتمر 16 مع مراعاة التغيير الكمي والنوعي للطلبة .

2 - مد جسور الحوار مع مكونات الحركة الطلابية قصد صياغة ميثاق طلابي يوحد الفعل النضالي .

3 - تفعيل الهياكل وذلك عبر :

أ - الترشيح في اللوائح الانتخابية للوضوح وتحمل المسؤولية .

ب - توجيه عمل الهياكل على ضوء برامج سنوية .

ج - دعم فكرة لجنة الطالبات انطلاقا من مجلس الطلبة .

د - إنشاء مدرسة لتكوين الناضلين تستوعب مجالس الهياكل في برنامجها

هـ - المتابعة الصارمة لسير عمل الهياكل وفق المقرر التنظيمي للمؤتمر 16

و - إيجاد مقرات للتعاضديات .

4 - العمل على إيجاد جو المتواصل والاحترام المتبادل بين الطلبة والأساتذة وذلك عبر :

أ - التنسيق بين الطلبة والأساتذة قصد إيجاد جو للتحصيل العلمي

ب - تنظيم أنشطة ثقافية علمية مشتركة بين الطلبة والأساتذة كالأيام العلمية . . الخ .

المستوى الثالث : زحفا

أولا : مجال الحرية

العمل على رفع الحظر العملي عن أو ط م وذلك باستعمال الأشكال النضالية عبر

أ - فتح باب الحوار الجاد والمسؤول من طرف الادارة

ب ـ ضمان حق الطلبة في حرية الممارسة النقابية (التجمع ـ التظاهر) تنظيم الأنشطة الثقافية والترفيهية) .

ج ـ انتزاع مقرات لأو ط م بالكليات والحي الجامعي .

د ـ إصدار جريدة جامعية تعبر عن صوت الطلبة .

ثانيا : مجال العدل

التصدي للمخططات الجائرة (الاصلاح الجامعي ، الاصلاح الشامل ـ منشور رقم 86) من أجل تحقيق عدالة اجتماعية تضمن للطالب :

أ ـ حق التعليم من خلال :

ـ تسجيل الطلبة المطرودين

ـ حق الطلبة في التسجيل في أي شعبة ، بدون قصد ولا شرط خصوصا شعبة الدراسات الاسلامية ضدا على المخطط الرامي الى القضاء عليها وكذا الشعب المستحدثة في كليات العلوم والحقوق .

ب ـ الحق في المنحة وذلك بالعمل على :

ـ فرض مبدأ تعميم المنح في أفق الزيادة فيها وإضافة منح رابعة تماشيا مع غلاء المعيشة .

ج ـ **تحسين الوضعية المادية** بحل المشاكل اليومية التي تحول دون السير العادي للعملية التربوية والتعليمية من خلال النضال حول ملفات مطلبية (مشكل النقل ـ مشكل السكن) .

* مساندة نضالات النقابة الوطنية للتعليم العالي .

* ربط الطالب بهموم الشعب المغربي المستضعف خاصة والأمة العربية والاسلامية عامة من خلال فضح مخططات للاستكبار العالمي والمحلي .

ثالثا : مجال الكرامة

أ ـ تثبيت مكتسبات الجماهير الطلابية وفاء للقابعين في السجون وأرواح الشهداء تحت شعار «لا خضوع لا رجوع لا رحيل بعد استشهاد فخيش عبد الجليل» .

ب ـ تجميد جهاز «الحرس الجامعي» في أفق إجلائه .

ج ـ مواجهة كل محاولة للنيل من كرامة الطالب وحرمة الجامعة .

د ـ فضح كل الأنشطة المشبوهة الرامية لضرب هوية الأمة العربية والاسلامية(63) .

63 ـ طلبة العدل والاحسان : نص البرنامج السنوي لسنة 1994/1993 فرع الدار البيضاء .

2 ـ الآثار : حظر الجماعة / 10 يناير 1990.

كان من آثار لحظة التحول التي رفعت خلالها الجماعة شعار «العدل والاحسان» أن قامت السلطة بإصدار قرار بحظر الجماعة بتاريخ 10 يناير 1990 ، وقد تم التمهيد لهذا القرار كما كانت له امتدادات.

أ ـ التمهيد : حصار المرشد العام / 30 دجنبر 1989.

ولد الشيخ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والاحسان يوم الاثنين 4 ربيع الثاني عام 1347 هـ الموافق لسنة 1928 ، وتلقى دروسه التعليمية الأولى في مدرسة أسسها المجاهد محمد المختار السوسي، وفي سن الخامسة عشرة، انخرط في معهد ابن يوسف وقضى به أربع سنوات.

في سنة 1947 ، التحق بمدرسة تكوين المعلمين بالرباط ، وبعد سنة من ذلك عين بمدرسة أبناء الأعيان بالجديدة، ثم بعد سنتين من ذلك، التحق بمدرسة القصبة حيث قضى سنتين بها ، وفي أكتوبر 1951 ، عين بمدرسة ابتدائية تابعة لثانوية محمد الخامس بمراكش، ثم سنة بعد ذلك ، استاذا للغة العربية بثانوية محمد الخامس.

بعد نجاحه في مباراة المفتشين، عين في أكتوبر 1955 مفتشا للتعليم الابتدائي العربي بالدار البيضاء، ثم بعد سنتين، عين مديرا لقسم المعلمين، وفي مايو 1958 ، عين مفتشا إقليميا للتعليم الابتدائي ببني ملال، ثم في أكتوبر 1959 مديرا لمدرسة المعلمين بمراكش.

في صيف 1959 شارك في تدريب تربوي بالمعهد البيداغوجي الدولي بـ «سيفر» بفرنسا مدته 45 يوما ضمن وفد يضم مجموعة من المفتشين المغاربة، وفي نفس السنة شارك في تدريب بيداغوجي آخر بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة 45 يوما، ثم أجرى في يناير 1961 تدريبا بمعهد الطفولة بـ «بولوني» ضاحية باريس مدته 45 يوما، وتم بعثه في أكتوبر 1961 الى مركز جهوي للتخطيط التربوي ببيروت تابع لمنظمة اليونسكو، وبعد سبعة أشهر حصل على دبلوم التخطيط التربوي بامتياز.

عين في يناير 1963 رئيسا للمكتب التربوي بنيابة التعليم بمراكش، ثم مفتشا للتعليم الثانوي بالدار البيضاء في أكتوبر من نفس السنة وعين في أكتوبر 1965 مديرا لمركز تكوين المفتشين بالرباط الى غاية مارس 1967 ، وفي مايو من نفس السنة ، أسندت اليه مسؤولية في المصالح المركزية لوزراة التعليم، لكنه بسبب المرض، انقطع عن العمل.

في سنة 1968 شارك في لقاء تربوي بتونس وفي تدريب تربوي بالجزائر اضافة الى المشاركة في بعثة حكومية دراسية بالقطر النيجيري(64).

64ـ محمد ضريف : الاسلام السياسي بالمغرب . . . م.س. ص: 313-314

يقول عبد السلام ياسين ملخصا هذه الفترة من حياته : «أنا عبد الله المذنب ابن فلاح بربري نشأ في القلة والحرمان المادي، ثم قرأت القرآن، فهو كان بحمد الله ولا يزال قراءتي الحقيقية الوحيدة، ودرست تلميذا لعلمائنا في المعهد الديني، ولم ألبث أن طلبت معرفة أوسع من النقول التي تعيش عليها معاهدنا الدينية، فدخلت الى الثقافة الأجنبية من المدخل الصعب من المجهود الفردي حتى نلت منها ما جعل أقراني يضعونني موضع الشاب النابغ، وجاء الاستقلال فوجدني في منصب مسؤولية إقليمية في التعليم، فعاصرت الأقدمين يافعا، وعاصرت نشأة الفساد الاداري في مراحله كلها منذ الاستقلال، فإن تحدثت عن العلماء فعن معرفة ومخالطة ومشاركة، وإن تحدثت عن المغرب وشبابه ورجاله وإدارته فعن خبرة سبع وعشرين سنة كنت فيها معلما وإداريا وخبيرا»(65).

في سنة 1965، اعتنق عبد السلام ياسين مبادئ الطريقة «البودشيشية»، ولازم شيخها الحاج العباس القادري الى وفاته سنة 1972، يقول عن هذه الفترة : «ولما أذن الله جل شأنه بعتق رقبتي من الجهل والاسلام الموروث المجهول الى طريق الحق والحياة، أنهضني لطلب معرفته، وكانت أزمة روحية لم يستطع من يعرفني أن يميزوا بينها وبين الأزمات النفسية المرضية، ولما قيض الله لي شيخا صوفيا لزمته وأحببته، شاع في جملة الكلام التافه أن فلانا حمق وتصوف، وإنها لمحنة قاسية، خاصة في زماننا بعدما جرى فيه محترفو الدين من معممي الصوفية قبل الاستقلال أن يقال عن المرء كلمة هي الوصمة الكبرى والحجة الدامغة في أعين أهل السطوح صغار الأحلام. ووجدت الحق مع الصوفية كما وجده الغزالي، ولا أقول لأعتذرو «أتواضع». وإنما أذكر نعمة الله علي وما وهبني من رحمة وما علمني من علم بصحبة أهل الله، فله الحمد والشكر شكرا يزيدني به علما ورحمة، وأذكر نعمة الله علي في الملأ لأنه وهبني بعد وفاة شيخي منذ ثلاث سنوات ما يقصده المريدون من الصحبة، وكان رحمه الله أوصاني قبل وفاته أن ألزم ابنه وخلفه من بعده(66).

توفي الشيخ العباس القادري وحل محله على رأس الطريقة البودشيشية ابنه حمزة سنة 1972، غير أن عبد السلام ياسين سرعان ما سيغادر هذه الطريقة ليبدأ مسار تجربة جديدة، يقول عن ملابسات قطعه مع تلك الطريقة : «لزمت وعاصرت منذ تسع سنوات نشأة الانحراف عند الصوفية الصادقين إخواني، وعرفت بذلك كيف يدخل الى أصحاب الزوايا حب الدنيا وكراهية الموت، ومن ثم كيف تتحول دعوة صادقة الى أحبولة مشبوهة رغم صدق الشيخ وفضله، وإن خلف شيخي لرجل الخير - فيما أعلم - والفضل لا أزكي على الله أحدا، بل الله يزكي من يشاء، ولكن عناصر من الأتباع يستميلون الشيخ وهو بشر ضعيف حتى يحولوه الى رمز يلوحون به، وحتى يحولوا الزاوية الى مركز استهلاك بعدأن كانت مأوى للمساكين، ولقد رأيت كيف دخل الأثاث الزاوية وكيف غزتها الهدايا، ونصحت وما

66 - نفس المرجع.

آلوت علم الله، وتمزق فؤادي شفقة على أهل بيت عرفوني الله وعلموني المحبة والتقوى وعادوني وآذوني، وانتهى العداء الى مداه لما نصحت لهم بالجهاد والنهوض للدفاع عن الاسلام الذي أصبح في ديارنا لعبة يدبر مسرحها ديدان القراء»(67).

ولتأكيد السبب الحقيقي للقطيعة مع الطريقة البودشيشية، يقول عبد السلام ياسين: «عشت ثمان سنوات مع الصوفية، وأشهد بما شهد به الغزالي إني وجدت الحق معهم، حق علو الهمة والصدق في طلب وجه الله، ووجدت عندهم عادات وقعودا عن الجهاد الميداني ففارقتهم»(68).

القعود عن الجهاد الميداني هو سبب القطيعة، وقد بدأت معالم هذا الجهادالميداني تلوح في كتابي عبد السلام ياسين: «الاسلام بين الدعوة والدولة» و«الاسلام غدا»، وبلغت ذروتها برسالة «الاسلام أو الطوفان» الموجهة الى ملك البلاد سنة 1974 فقضى على إثرها ثلاث سنوات وستة أشهر في المعتقل دون محاكمة حيث أفرج عنه في مارس 1978، ومنع من إعطاء الدروس في المسجد ابتداء من مايو من نفس السنة.

اعتقل عبد السلام ياسين مرة ثانية في دجنبر 1983 بسبب ما تضمنه العدد الأول من جريدة (الصبح)، وصدر في حقه حكم بسنتين سجنا نافذتين وغرامة مالية قدرها خمسة آلاف درهم حيث غادر السجن في دجنبر 1985.

وفي 30 دجنبر 1989 وضع المرشد العام لجماعة العدل والاحسان تحت الاقامة الإجبارية(69) وكان ذلك تمهيدا لحظر الجماعة بتاريخ 10 يناير 1990.

ب ـ الامتداد: اعتقال مجلس الإرشاد / 13 يناير 1990

طوال تاريخها، تعرض العديد من أعضاء جماعة العدل والاحسان للاعتقال، وقد لوحظ أن وتيرة الاعتقالات قد ارتفعت منذ فرض الحصار على المرشد العام للجماعة بتاريخ 30 دجنبر 1989 (70)، وتم تتويجها باعتقال أعضاء مجلس ارشاد الجماعة بتاريخ 13 يناير 1990 وهم:

- محمد العلوي السليماني
- فتح الله أرسلان

67ـ نفس المرجع.

68ـ مجلة الجماعة. العدد 2 السنة الأولى 1979/1399. ص 124

69ـ محمد ضريف: الاسلام السياسي بالمغرب... م.س. ص: 314

70ـ نفس المرجع.

- عبد الواحد المتوكل
- محمد بشيري
- محمد العبادي
- عبد الله الشيباني(71).

بتاريخ 16 مارس 1990 صدر حكم ابتدائي يقضي بسنتين سجنا نافذتين وغرامة عشرة آلاف درهم ضد كل عضو من أعضاء مجلس الإرشاد، هؤلاء الأعضاء الذين سبق لهم في بداية المحاكمة وأمام التجاوزات التي طالتها، أن طلبوا من محاميهم الامتناع عن الدفاع عنهم، وقد استجاب المحامون لهذا الطلب وأصدروا «بيانا» يقول:

«جرت بالمحكمة الابتدائية بسلا محاكمة ستة من أعضاء مجلس إرشاد الجمعية الخيرية التي شعارها العدل والاحسان وهم في حالة اعتقال. ويتعلق الأمر بالسادة: أرسلان: فتح الله، والمتوكل عبد الواحد والبشيري محمد والعبادي محمد والعلوي السليماني محمد الذين آزرهم عدد كبير من المحامين...

وبعد عدة جلسات قدم خلالها الدفاع عدة طلبات أولية جوهرية كانت تجيب عنها المحكمة بالرفض أو بالضم الى الجوهر، وصلت القضية الى طريق مسدود أصبح معه استنطاق المتهمين حول جوهر القضية غير ممكن من الناحية القانونية نظرا لكون محاضر الشرطة القضائية التي ستعتمد عليها المحكمة في الاستجواب مطعون فيها بالبطلان وبالزور، وأن هذا الطعن لم يفصّل فيه بعد، كما أن محاضر النيابة العامة التي قد تعتمد عليها المحكمة في الاستنطاق مستمدة من محاضر الشرطة المطعون فيها، وتبعا لذلك، وبناء عليه ذلك فقد امتنع المتهمون من الجواب على أسئلة المحكمة طالبين من دفاعهم الإمساك عن الموافقة في الجوهر الأمر الذي تفهمه الدفاع واستجاب له.

ويرى الدفاع من واجبه أن يوضح للرأي العام، وبإيجاز، الخروقات التي واكبت المحاكمة والتي من بينها:

أولا: طلب الدفاع محاكمة المتابعين وهم في حالة سراح نظرا لعدم وجود إحدى حالات التلبس، ولتوفرهم على ضمانات كافية للحضور (الفصل 76م.ج)، فرفضت المحكمة الاستجابة للطلب.

ثانيا: طلب الدفاع من المحكمة معاينة عدم علنية الجلسات بسبب عملية الانتقاء في الدخول للمحكمة وللقاعة التي كانت تقوم بها قوات الأمن وهي تطوق المحكمة مانعة الجمهور، بواسطة التهديد والعنف، من الاقتراب منها، فرفضت المحكمة الاستجابة

71- راجع تواريخ هذه الاعتقالات في كرنولوجيا الجماعة في كتابنا الاسلام السياسي بالمغرب.

للطلب .

ثالثا : طلب الدفاع من المحكمة إبطال جميع المحاضر التي حررتها الشرطة القضائية على اعتبار أنها منجزة في ظل اعتقال تحكمي غير شرعي لتجاوزه للأمد القانوني المنصوص عليه في الفصلين 68 و82 . م . ج مثيرا انتباه المحكمة الى أنه في حالة رفضها للطلب فانه يتعين عليها إيقاف البث في القضية الى أن يفصل في دعوى الزور التي رفعها الدفاع ضد محاضر الشرطة أمام محكمة الاستئناف بالرباط . لكن المحكمة أجابت عن الطلب الأول (الابطال) بالضم للجوهر مع أن الفصل 318 م . ج الفصل فيه فورا قبل الانتقال لمناقشة الجوهر ، وعن الطلب الثاني (الايقاف) قررت المحكمة رفضه .

رابعا : لقد طلب الدفاع من المحكمة التراجع عن قرارها القاضي بضم طلب إبطال محاضر الشرطة الى الجوهر وبرفض إيقاف البث في القضية الى حين الفصل في دعوى الزور وذلك من أجل تفادي الوقوع في منغلق قانوني سيظهر بالملموس عند الشروع في استنطاق المتهمين، لكن المحكمة تمسكت بقرارها المذكور الأمر الذي أدى فعلا الى الطريق المسدود المشار إليه أعلاه .

خامسا : طلب الدفاع من النيابة العامة تطبيق الفقرة الأولى من الفصل 622م . ج التي توجب على ماسك الوثيقة المطعون فيها بالزور أن يسلمها الى السلطة القضائية بناء على ملتمسات النيابة العامة ، لكن هذه الأخيرة رفضت الاستجابة للطلب .

سادسا : لقد سجل الدفاع بأن الشكاية المرفوعة من قبله بتاريخ 19-2-1990 الى محكمة الاستئناف بالرباط ضد الشرطة القضائية التي حررت المحاضر والمتعلقة بالاخلالات بالواجبات الوظيفية وبالزور وبالاعتقال التحكمي لم يشرع ، حتى تاريخ كتابة هذا البيان ، في التحقيق بشأنها بالرغم من طابعها الاستعجالي الناتج عن ارتباطها بدعوى جنائية رائجة ومتابع فيها متهمون معتقلون .

سابعا : طلب الدفاع في نطاق الطلبات الأولية التي يجب الفصل فيها فورا قبل الانتقال الى مناقشة الجوهر ، إبطال محاضر التفتيش والحجز مرتكزا في ذلك على عدة مقتضيات قانونية وفقهية ، وفي معرض ردها صرحت النيابة العامة في الجلسة بأن محاضر التفتيش والحجر حررت من قبل الشرطة الادارية فتدخل الدفاع وطلب إبعاد تلك المحاضر ، ولهذا السبب أيضا أي لأنها محررة من جهة غير مختصة ومع ذلك قررت المحكمة ضم الطلب للجوهر .

ثامنا : طلب الدفاع الامتناع عن تطبيق ظهير 1935/6/29 المعروف بظهير «كل ما من شأنه . . . » اعتمادا على عدة مقتضيات منها ما هو قانوني (أصبح الظهير ملغى ضمنيا بسبب اعادة تنظيم موضوعه بقانون لاحق له هو قانون الحريات العامة الصادر في 1958 وذلك في

جوانبه المتعلقة بالاجتماعات والتجمعات العمومية والمظاهرات ولعدم اتصاف أفعاله المجرمة بالتحديد الضروري المانع للبس والغموض والعمومية وهي أمور يرفضها علم صياغة القوانين الجنائية . . الخ ومنها (المقتضيات) ما هو قضائي (بعض المحاكم قضت باعتبار الظهير ملغى ضمنيا) ، ومنها ما هو سياسي (تغير الظروف السياسية التي أوجدت الظهير كأداة من أدوات قمع الوطنيين الذين كانوا يكافحون ضد الحماية الفرنسية . . .) إلا أن المحكمة قررت ضم الطلب الى الجوهر .

تاسعا : طلب الدفاع في نطاق الفصلين 319 م . ج و69م . ج استدعاء شهوده وإحضار السجل الذي تضمن به الشرطة تواريخ وساعات الاعتقال وتواريخ وساعات إطلاق السراح أو الاحالة على النيابة العامة وذلك كله من أجل التأكد من حقيقة تاريخ اعتقال المتابعين ، لكن المحكمة مع ذلك رفضت الطلب .

إن الدفاع إذ سجل كل تلك الخروقات التي واكبت هذه القضية فإنه يعتبرها مسا بسيادة القانون وتعطيلا له وعرقلة لنفاذه ، ويعلن عدم ترافعه في الجوهر استجابة لطلب موكليه . كما يعلن في نفس الوقت بأنه سيبقى ، وكما كان دائما مخلصا لمبادئ وتقاليد المهنة النبيلة التي تفرض عليه بأن يدافع دائما عن الحق والعدالة والانصاف والمشروعية ، وبأن يقف باستمرار بجانب ضحايا حرية الرأي والتعبير»(72) .

وقد أكدت محكمة الاستئناف بالرباط الحكم الابتدائي بتاريخ 31 يوليوز (73) .

---

72 ـ جدير بالتذكير أن أعضاء مجلس الارشاد اعتقلوا وهم يهمون بزيارة بيت عبد السلام ياسين باستثناد عبد الله الشيباني الذي اعتقل بعد ذلك .

73 ـ بيان هيئة الدفاع عن مجلس جماعة العدل والاحسان صادر بسلا بتاريخ 7 مارس 1990

القسم الثاني
مسار تشكل الخطاب

تعتبر «جماعة العدل والإحسان» من الجماعات الإسلامية القليلة في الوطن العربي التي تمتلك خطابا سياسيا «واضحا» و«منسجما»، هذا الخطاب وإن ارتكز في منطلقاته على ثوابت الشرع، فإنه في تفاعلاته استحضر الخصوصية «القطرية» للمغرب.

وسنحاول مقاربة مسار تشكل الخطاب السياسي للجماعة من خلال مستويين:

- خطاب محددات النشأة (الفصل الأول)
- خطاب محددات الصيرورة (الفصل الثاني).

الفصل الأول
خطاب محددات النشأة

كثيرة هي الخطابات التي تسعى إلى تبيان الملابسات والظروف العامة المفضية إلى انبثاق جماعة من الجماعات الإسلامية، ولكل خطاب مستوياته، و في خطابها حول محددات النشأة، تعمل «جماعة العدل والإحسان» على تأكيد شرطين:

- شرط موضوعي.
- شرط ذاتي.

I ـ الشرط الموضوعي : «الفتنة»

يختزل الباحثون الشرط الموضوعي لنشأة الجماعات الإسلامية في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وسوء الأحوال السياسية وفساد القيم الأخلاقية، إنهاعوامل تنصب على البيئة التي تتواجد داخلها هذه الجماعات، تصور حاضر لدى عبد السلام ياسين يعبر عنه بالمصطلح القرآني : «فتنة»(1). وهذه الفتنة لها «دعائم» كما أن لها «تجليات».

ا ـ دعائم الفتنة

ترتكز الفتنة على دعامتين :

ـ دعامة اجتماعية.

ـ دعامة سياسية.

أ ـ الدعامة الاجتماعية : «الترف»

ما هو الترف؟

إنه «ذهاب الإنسان مع المعطى المادي والاجتماعي»(2) وإغراق في «لذائذ الحس أو حبائل العقلانية والاستكبار»(3)، وبتعبير أكثر وضوحا؛ الترف ذوبان في الفتنة(4)، ومجتمعات الفتنة تقوم على فئة المترفين، هذه الفئة التي يتسم سلوكها بخاصيتين : ماديا تعيش على «التبذير» وفكريا تؤمن إيمانا مطلقا بالعقل «المعاشي».

المستوى الأول : «التبذير»

إن الترف على المستوى المادي يتبلور من خلال ما يسمى الآن في المجتمعات المفتونة وفي المجتمعات الجاهلية أيضا بالاستهلاك التظاهري»(5) والترف على هذا المستوى ليس وليد تجربة الجاهلية المعاصرة، شرقية (المجتمعات الاشتراكية) كانت أم غربية (المجتمعات الرأسمالية)، بل هي «واقع ثابت في عالم الله، وفي كتاب الله الموحى به وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى»(6).

---

1 ـ راجع ما كتبناه حول هذا المعطى في المبحث الأول من الفصل الأول من القسم الأول من هذه الدراسة.

2ـ عبد السلام ياسين : الإسلام غدا. . . م. س. ص : 29

3ـ نفس المرجع. ص : 31

4 ـ نفس المرجع. ص : 29، و ص : 35.

5 ـ ما يسمى حاليا بالمجتمعات الاستهلاكية، هي حسب التعبير القرآني : مجتمعات «مترفة»

6 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي. . . م. س. ص : 320.

الترف المادي إخلال بقسمة الأرزاق، فهو طرف مذموم(7)، يفضي إلى خلق نقيضه: الفقر(8)، وبين «الترف» و«الفقر» تضيع أهداف الأمة وتتبدد مقدراتها، فـ «في مجتمعاتنا المفتونة تتزاحم المغريات والمثبطات، الحضارة المادية صنعت صنيعها وغزت العقول والنفوس والأسواق وقتلت روح الأخوة، وفصلت الأمة طبقات، إسراف وتبذير من جانب، وفقر وجهل و مرض من جانب آخر، فكيف تستطيع أمة قواعدها الشعبية مجمدة بمثبطات الجهل والفقر والمرض أن تحدد هدفا عاما أو تستطيع التحرك نحو تحقيقه؟ أم كيف تستطيع ذلك والمحرومون يسري بينهم روح الحقد الطبقي ينفخه اليساريون (من يسار الجاهلية)؟»(9).

وبين الفقر المفضي إلى الكفر والترف المودي إلى الفتنة، تأتي الحاجة إلى ردم الهوة. وذلك بعدم الاكتفاء فقط بالتأكيد بأن «الإسلام هو العدل، وهو الحضارة، بل لابد أن نشرح أن بين الطرفين الذميمين في حياتنا، طرفي الفقر والترف، تتمثل الجادة، بتمثل الصراط المستقيم اجتماعيا واقتصاديا: المؤدي بالأمة إلى أهدافها وبالفرد إلى غايته»(10).

المستوى الثاني: الإيمان المطلق بالعقل «المعاشي»

إذا كان الترف المادي تبذيرا سفيها لمقدرات الأمة، فإن الترف الفكري إيمان مطلق بالعقل «المعاشي» الذي يتناقض تمام التناقض مع العقل «المؤمن»(11)، والتمييز بينهما ليس «اصطلاحا يفرز العقل المؤمن الآخذ عن الله على حدة، والعقل المعاشي على حدة، بل هو تمييز جوهري، ليس الأمر ترتيبا في درجات يكون العقل المعاشي الفلسفي أكثر أو أقل حكمة

7 ـ «في حديث الشيخين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم أبو عبيدة بمال من البحرين قال لأصحابه: «فأبشروا وأملوا ما يسركم! فوالله ما الفقر أخشى عليكم! ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم».

ـ المرجع السابق. ص: 320-319.

8 ـ «لمجد في الأثر المنسوب الى الإمام علي كرم الله وجهه: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

ـ المرجع السابق. ص: 320.

9 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

10 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

11 ـ هذه الفكرة تجسد الإشكالية المركزية لكتاب عبد السلام ياسين الصادر سنة 1994 بعنوان: «محنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى»، ويتكون من 128 صفحة موزعة بين مقدمة و37 موضوعا وهي:

ـ مجاز وحقيقة ـ من المسجد وإليه ـ ميلاد وميلاد ـ سيادة الوحي وسيادة الساحة ـ ما هو الوحي؟ ـ التزكية والتعليم ـ يا أيها الانسان ـ أية تربية؟ ـ ليل التبتل ونهار السبح ـ الطهارة ـ الصلاة ـ طعم الإيمان ـ كنف الاسلام ـ طب الوحي وصيدلية النبوة ـ فلك ومدار ـ الاسلام دين جماعة ـ مراتب وسباق ـ محاذر الانكفاء ـ تدريب ـ الدعاة ـ مهنة التمريض ـ تجارة الدنيا والآخرة ـ باعثان: واجب وحق ـ

وذكاء من العقل المؤمن، بل هو اختلاف نوعي»(12).

الفئة المترفة على الصعيد الفكري لا تؤمن إلا بالعقلانية المطلقة، أو بتعبير عبد السلام ياسين لا تؤمن إلا بالعقل المعاشي الذي لا يؤمن بالغيب ويستخرف به من آمن به، وهو بذلك يدور في منطق مغلق لما انسدت مسالكه وانحبست قنواته وعميت عينه وصممت أذنه عن السماع من الوحي»(13)، العقل «المعاشي» وليد الساحة العامة بأثينا وبروما على خلاف العقل «المؤمن» الذي ولد من المسجد بمكة(14)، و«عندما نتحدث عن الاختيار بين عقلين وعقليتين: فإنما نختار إما سيادة الوحي خالصا مخلصا يستقي من نبعه المحفوظ في كتاب اللّه وسنة رسوله، وإما سيادة الساحة التي سكنت العقل الآخر واحتلته بماديتها وعنصريتها وضبابية أهدافها»(15).

للترف وجهان: وجه مادي يتمثل في الإغراق في لذائذ الحياة، ووجه فكري يتأسس على الإيمان المطلق بالعقل «المعاشي»، والترف بوجهيه يفضي اجتماعيا إلى الفساد وسياسيا إلى الاضطراب وزوال النعمة(16)، الترف إذن رجس ورجز.

ب ـ الدعامة السياسية: الحكم «الجبري»

الترف دعامة اجتماعية للفتنة، والحكم الجبري دعامتها السياسية، تصنيف أنواع الحكم عند من يعتمد أطروحة جاهلية المجتمع(17) يختلف عن تصنيف من يعتمد أطروحة الفتنة،

انطلاقة الفضائل ـ الكرامة الانسانية ـ تاريخ وسجل ـ صدامان ـ دعوة الكريمة الى بيت أهلها ـ ركام وركام ـ قياس وقياس ـ من مزاياهم ـ مرآة معايبنا ـ نكوص عن المهنة ـ حضارة منخورة ـ سنة الله في التاريخ ـ لب التاريخ ـ المفتاح القرآني ـ تحرير العقل المسلم.

12 ـ عبد السلام ياسين: محنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى. مؤسسة التغليف للطباعة والتوزيع للشمال. الرباط ـ الطبعة الأولى. 1994. ص: 4- 5.

13 ـ نفس المرجع. ص: 6

14 ـ نفس المرجع. ص: 16

15 ـ نفس المرجع. ص: 18

16 ـ يربط الخطاب القرآني بين الترف من جهة والفسق وزوال النعمة من جهة أخرى.

يقول تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا».

17 ـ نشير هنا الى نموذجين:

النموذج الأول يذهب إلى أن الاسلام قسم الحكام الى ثلاثة أقسام:

أ ـ حاكم مسلم عادل يحكم بكتاب الله تجب له الطاعة

ب ـ حاكم ظالم أو فاسق، أصل الحكم عنده كتاب الله، ولكنه ملابس ببضع الظلم أو الفسق بشبهة

يحدد عبد السلام ياسين نوعية الحكم الحالي انطلاقا من الموعود النبوي : نبوة، فخلافة على

أو شهوة، ذهب الجمهور الى عدم جواز الخروج عليه اجتنابا للفتنة، وقال البعض بجواز الخروج، واشترط آخرون أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة.

ج - حاكم كافر أو طرأ عليه الكفر وهو الذي لا يحكم بما أنزل الله المستبدل للشرائع، وقد أجمع الجمهور على ضرورة الخروج عليه. أنظر :

- عبود الزمر : منهج جماعة الجهاد الاسلامي. وثيقة. القاهرة 1986.

النموذج الثاني يشير الى ستة أصناف من الحكام.

الصنف الأول : الحاكم المسلم العادل وحكمه وجوب الطاعة والسمع على الأمة.

الصنف الثاني : الحاكم الظالم أو الفاسق وتسري في حقه الأحكام التالية :

أولا : لا يجوز عقد الولاية لفاسق.

ثانيا : إذا طرأ الجور أو الفسق عليه بعد توليته، فمن العلماء من قال باستدامة ولايته ومنهم من قال بانفساخها.

ثالثا : هناك ثلاثة أقوال في الخروج عليه : عدم جوازه اتقاء الفتنة وهو رأي الجمهور، بل ذهب أبو بكر بن مجاهد الى إجماع الأمة عليه، وهذا قول أول، والقول الثاني يجيزه، أما القول الثالث فيدعو الى قياس المفسدتين.

رابعا : إذا خرج على الوالي الجائر من هو أعدل منه، لم يعتبر الخروج بغيا.

خامسا : أجمع العلماء على أن الوالي تستوفى منه حقوق العباد كالقصاص.

الصنف الثالث : الحاكم المبتدع وحكمه :

أولا : لا تنعقد الولاية لمبتدع، وإذا طرأت عليه بدعة انعزل وهو رأي الجمهور.

ثانيا : الإمام أحمد لا يجيز نزع اليد من طاعته.

ثالثا : يذهب كثير من علماء البصرة الى أن البدعة لا تحول دون انعقاد الولاية أو استدامتها.

رابعا : هناك إجماع على جواز الخروج على الحاكم في حالة البدعة المؤدية الى صريح الكفر.

الصنف الرابع : الحاكم الكافر، وقد أجمعت الأمة على عدم انعقاد الولاية له ابتداء، أو حالة طروء الكفر عليه بعد انعقادها.

الصنف الخامس : الحاكم المستبدل ومن مظاهره استبدال مصادر الشرائع والأحكام وحكمه حكم الحاكم الكافر.

الصنف السادس : الحاكم الذي يترك الحكم بما أنزل الله في واقعة معينة، فهو مسلم عاص ليس بكافر وحكمه حكم الحاكم الظالم أو الفاسق.

- وثيقة ملخصة لكتاب عمر عبد الرحمان : أصناف الحكام وأحكامهم. القاهرة 1988 مخطوط. وارد في :

منهاج النبوة، فحكم عاض، فحكم جبري، فعودة الخلافة على منهاج النبوة(18).

الحكم العاض كان دعامة الفتنة في ماضي الأمة، أما الحكم الجبري فهو دعامتها في حاضرها، لكن لماذا سمي حكما جبريا؟: «ما سمي الحكم الجبري جبريا إلا لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، فيظلم الظلم الأكبر وهو الإشتراك مع الله عز وجل في حاكميته، ومن هذا الظلم يتفرع ظلم القضاء وفساد المحاكم وتفشي الرشوة والإدلاء بالأموال في الباطل»(19).

ينبني الحكم الجبري على أساسين:

الأساس الأول: اعتماد القانون الوضعي، فـ«القوانين الوضعية هي أساس الحكم تحت السلطان الجبري»(20)

ـ رفعت سيد أحمد: النبي المسلح. الجزء الثاني / الثائرون. رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى يناير 1991. ص: 290-291

18 ـ راجع ما سنكتبه حول هذا المعطى في الفصل الثاني من القسم الثالث من هذه الدراسة.

19 ـ عبدالسلام ياسين: المنهاج النبوي... م. س: 250،

20 ـ نفس المرجع: ص: 302.

لا حاجة للتذكير بأن عبد السلام ياسين يعتبر اعتماد القوانين الوضعية من مظاهر الفتنة، في حين أن الذين يؤمنون بجاهلية المجتمع، فيعتبرون اعتماد القانون الوضعي كفرا بواحا، أنظر:

ـ عمر عبد الرحمان: أصناف الحكام وأحكامهم... م. س. ص: 58.

ومنطلق هذا الحكم «أن الله تعالى الذي وضع لهذه «الأمة التي كانت» أسس تصورها العقيدي، هو الذي وضع لها أسس نظامها القانوني، ذلك أنه تعالى أراد لها أن تكون أمة ربانية، تسلم قيادها لربها، تتلقى عنه النواميس والأحكام، مثلما تتلقى عنه قواعد السلوك، وضوابط الأخلاق، وكل أولئك في وحدة واحدة متناسقة متناغمة، يؤدي بعضها الى بعض، ويقوم بعضها على بعض، فالاحتكام الى الله جزء من عقيدة الإسلام وشرط من شروط الإيمان، يقول تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما».

وقد جاءت هذه الشريعة للأمة التي كانت ولكل أمة بعدها تكون، بنوعين من الأحكام:

فأما النوع الأول: فهو الأحكام العامة، وهي تلك التي تتضمن المبادئ الكلية والأسس الاجمالية للحياة والتشريع في المجتمع الإسلامي، وهي أحكام عليا، تتمتع بدرجة عالية من العمومية والمرونة... وأما النوع الثاني: فهو الأحكام التفصيلية، وهي أحكام توقيفية قدر الله تعالى ـ وهو العليم الخبير ـ أنها من الأهمية والحساسية والخطورة في حياة الأمة بحيث يجب النص عليها بذاتها تحديدا وعلى وجه تفصيلي دقيق...

ومن هذين النوعين: المبادئ العامة والأحكام التفصيلية، تتكون الخطوط العريضة للشريعة، وتتشكل حدود الدائرة الواسعة التي يحق للجهد البشري أن يجول خلالها مجتهدا بعقله، مبتغيا رضا ربه، متوخيا مصلحة العباد»

الأساس الثاني : الاستناد إلى الإسلام «الرسمي» بمؤسساته ورجاله(21) فالحكم الجبري ليمنح نفسه المشروعية الدينية يقوم بعمليتين :

- الأولى تتمثل في اعتبار الإسلام دينا للدولة، ولكن أي إسلام؟ فـ«الإسلام المذكور في الدستور إزاء ذكر الرموز الوضعية هو الإسلام الرسمي الذي يحكم الواقع بغير ما أنزل الله»(22).

- الثانية تتلخص في الاتكاء على «ديدان القراء»(23)، وهم نواة الإسلام الرسمي، ومن أعمالهم أنهم «يغرقون المصلين بالشكوى والتأوهات، ثم لا يحومون - حتى الحومان - حول المسؤولين عن الفساد، يملأون صدور المؤمنين حسرة بوصف الخمر والفجور والثبور ثم يوجهون أصبع الاتهام للجالسين أمامهم من الشيوخ العجزة والشباب الطاهر، والذئاب تعيث في حظيرة الأمة فسادا. إنه الإسلام الرسمي المهادن المتملق»(24).

الحكم الجبري دعامة سياسية للفتنة كما أن الترف دعامتها الاجتماعية، فما هي تجلياتها؟.

2 - تجليات الفتنة

يجمع الإسلاميون على كون «القومية»، و«العلمانية» و«الديموقراطية» ثلاثة مفاهيم أو تجليات لا صلة لها بتاريخية تجربة الأمة الإسلامية، وإذا كان أبو الأعلى المودودي يعتبرها

أنظر :

- عبد الجواد يسن : مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة. الزهراء للإعلام العربي. الطبعة الأولى. 1986. ص : 155- 159.

21 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 411.

22 - عبد السلام ياسين : رسالة القرن في ميزان الاسلام. . . . . م. س. ص : 17

23 - عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يكون في آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك الزمان، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهم الأنتنون، ثم تظهر قلانس البرد، فلا يستحيي يومئذ من الزنا، والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على جمرة، والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين»، قالوا : منا أو منهم؟ قال : «بل منكم». راجع :

- عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة. . . م. س. ص : 51.

24 - عبد السلام ياسين : رسالة القرن في ميزان الاسلام. . . م. س. ص : 19.

يطلق أحد علماء الدعوة بالمغرب على ديدان القراء وصف شرار العلماء «الذين استبد بهم النفاق وحب التقرب الى الحاكمين على حساب الدين الى درجة تشجيع الحكم بغير ما أنزل الله، ونشر كل باطل وتدجيل في محاولة تشويه الصورة المتكاملة لهذا الدين الخالد». أنظر :

- عبد اللطيف بن عبد الغني جسوس : في الحكم بما أنزل الله. الطبعة الأولى. مطبعة النجاح الجديدة. 1990. ص : 106 - 107.

مظاهر للجاهلية المعاصرة(25)، فإن عبد السلام ياسين يحصرها في تجليات الفتنة، ونظرا لتداخل هذه التجليات، فإنه يعتبر القومية والعلمانية تجليا واحدا والديمقراطية تجليا ثانيا.

أ- القومية العلمانية: «الإسلام والقومية العلمانية» / 1989

أتى كتاب «الاسلام والقومية العلمانية»(26) الصادر سنة 1989 ليلقي الأضواء على جوانب من «تاريخ الايديولوجية القومية (والعلمانية أيضا) التي نبعت في أرض غير أرضنا، فاستوردها المثقفون المغربون من ذرارينا ليركبوا في متنها كراتهم التي تحمل شعارات الإلحاد المفلسف تارة والردة والزندقة مرة والإلحاد العلمي أحيانا والأصالة التراثية أحيانا أخرى»(27)

---

25 - «أقول للمسلمين بصراحة إن الديمقراطية القومية العلمانية تعارض ما تعتنقوه من دين وعقيدة.. إن الاسلام الذي تؤمنون به وتسمون أنفسكم «مسلمين» على أساسه. يختلف عن هذا النظام المقوت اختلافا بينا، ويقاوم روحه ويحارب مباده الأساسية، بل يحارب كل جزء من أجزائه ولا انسجام بينهما في أمر مهما كان تافها، لأنهما على طرفي نقيض».

- المودودي: الاسلام والمدنية الحديثة. ص: 41 - 42.

26 - يتكون هذا الكتاب من 178 صفحة، ويحتوي اضافة الى المقدمة على أربعة فصول:

- الفصل الأول: اللسان العربي ويتطرق الى:

- الولاء للغة - العروبة والاسلام. «جزء ماهيته» - إعجاز القرآن - مناط الاعجاز - لغة القلب

- الفصل الثاني: التراث والأصالة والتحديث ويعالج:

- صدمتان قاسيتان - التفوق الهائل - التراث المجيد - إطراء الذات - التراث الحي - القانون التراثي الواقعي - القومية والدين.

- الفصل الثالث: جذور العلمانية ويشتمل على:

- الفصام النكد - الفاسقون - الوصال الأنكد - من هم النصارى - البابوية والتجارة في الدين - أرض الجنة في المزاد العلني - اضطهاد رجال العلم - الاصلاح والتجديد - حرب بين العلم والدين - حضارة لا تعرف الله - جاهلية - الأصالة الجاهلية - شبح الحروب الصليبية - اليوم - كونوا مع الصادقين - تاريخ الحروب الصليبية - التفتت التاريخي - الملك الصالح - تحرير القدس - الالحاد المفلسف - الردة والزندقة - الالحاد العلمي - الدين. - عاهة وعيب - النصارى العرب - الدين للآخرة فقط - تموجات وتيارات - الاشتراكية القومية - الحل التلفيقي - ركيزة الانحطاط - الثورة الثقافية /

الفصل الرابع: القومية ويتناول:

- الايديولوجية القومية - ميلاد القومية العربية - الانتساب لله عز وجل

- العالمية والقومية - حسن الصحبة - النسبة الجاهلية

- عبية الجاهلية - عرب قبل كل دين - أفحكم الجاهلية يبغون - «إنه لذكر لك ولقومك» - «الله ابتعثنا» - الى قيادة العالم يا عرب.

27 - عبد السلام ياسين: الإسلام والقومية العلمانية. مطبعة فضالة. الطبعة الأولى. المحمدية 1989. ص: 5.

. لا يفيد كثيرا الوقوف عند تاريخ القومية العلمانية في المجتمعات «الغربية» المندرجة في خانة المجتمعات «الجاهلية» وتحديد ما تعنيه، بقدر ما يفيد الوقوف عند القومية العلمانية بمختلف تلاوينها التي تخترق المجتمعات العربية/ الإسلامية التي تنحشر في دائرة مجتمعات الفتنة.

هناك علاقة جدلية بين القومية والعلمانية، هذه العلاقة يتباين ترتيبها بين مجتمع «جاهلي» وآخر «مفتون»، في المجتمع «الغربي» الجاهلي، «العلمانية» هي التي أفضت إلى «القومية»(28) في حين كانت العلاقة معكوسة في المجتمع العربي الإسلامي المفتون حيث «القومية» هي التي أدت إلى «العلمانية»(29).

يرسم عبد السلام ياسين ملابسات ميلاد هذه القومية، فـ«القومية العربية في ميلادها كانت تطلب بديلا بالخلافة العثمانية، كانت تطلب نظاما شبيها بالنظام العثماني، مسلما، على رأسه شريف محترم، من العشرة النبوية، من أقدس بقعة في الأرض: مكة، كانت إسلاما قوميا، عروبة لا تتنكر لدينها، فجاءت خيبة الأمل لما خانت انكلترا وفرنسا وعدهما، و«بلقنتا» بلاد الهلال الخصيب بمعاهدة سايكس ـ بيكو، وبعد خيبة الأمل الهزيمة النهائية لمعنى الخلافة واسمها ورسمها، فمن هذا المركب المرضي، خيبة الأمل والهزيمة التاريخية، غشيت أجواء العرب والمسلمين غيوم نكراء، وتبدلت في عين المؤمنين من ذلك الأرض غير الأرض، واستحال الوضوح، وانغلقت الهوية وتوقح الكفر وادلهمت الخطوب»(30).

القومية العربية كما نظر لها الرواد الأوائل ابتداء من القرن التاسع عشر لم تكن إلا قومية مستوحاة من تجربة الدولة الأموية، حيث التعصب للجنس العربي دون تفريط في الإسلام كعقيدة وشريعة باعتباره جزء من ماهية «العروبة»(31).

إذا كانت القومية العربية قد نحت في الأساس منحى سياسيا كرد فعل ضد تجاوزات

---

28 ـ «الانتماء القومي الذي انه ند دولا قومية في أوربا حادث لا يتجاوز عمره قرنا ونيفا».

ـ المرجع السابق. ص: 70. في حين أن شعار «اعط لله ما لله ولقيصر ما لقيصر» المجسد للعلمانية، له عمق في تاريخ الغرب النصراني.

ـ المرجع السابق. ص: 48.

29 ـ يتساءل عبد السلام ياسين: «هل ولدت العلمانية (والدين المدني) القومية في تاريخ أوربا؟ هل كان العكس على هامش تاريخ المسلمين منذ قرن، فولدت العلمانية؟ أيهما في عقلية المثقفين شرط للآخر؟ وأيهما المشروط؟

ـ المرجع السابق. ص: 164.

30 ـ المرجع السابق. ص: 136.

31 ـ نشير هنا الى عبد الرحمان الكواكبي وكتاباته.

الأتراك العثمانيين، فإن نصارى العرب سيدفعون بها الى نتيجتها المنطقية، حيث «لما اتصلوا أواسط القرن الماضي بالفكر الغربي بواسطة مدارس التنصير توسموا ملامح مستقبل يضمن لهم الحرية ويخرجهم من مرتبة التبعية والغربة، جاءهم الفكر الليبرالي بمفهوم الحرية فتلقفوه بديلا مرجوا لمفهوم الذمية، جاءهم بوعد النجاح الاقتصادي المدني الذي يكافئ الجهد فأحبوه عوضا عن الحظ المحتوم لجهود محلية عقيمة، جاءهم بصورة متكاملة لحضارة متقدمة مخالفة ومنافسة لحضارة المسلمين الرائحة للأفوال، فكان الإغراء عليهم أقوى منه على أبناء الأغلبية المسلمين الذين كان لهم في مجتمعهم المكان الأروح. حمل إليهم الفكر الليبرالي والماركسي من بعده، بذور التحرر من الدين، ومن العقائد الغيبية، وبذور التمرد العقلاني على كل موروث، ونبغ من النصارى العرب، من رهبانهم ومن عامتهم، صحافيون وناشرون وبحاثون عملوا على بث تلك الأفكار والترويج لها، فكانوا الرعيل الأول في ركب العلمانية»(32).

وهكذا، أفرزت «القومية» برنامجها: «العلمانية»(33) وهي بذلك لا يمكن أن تكون من الإسلام في شيء(34)، أليست هي «عبية الجاهلية»؟!(35).

ب ـ الديمقراطية: «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين»/ 1994

إذا كان كتاب «الإسلام والقومية العلمانية» الصادر سنة 1989 أتى ليبرز العلاقة التداخلية بين «القومية» و«العلمانية»، فإن كتاب «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين»(36) الصادر سنة 1994 سعى إلى إبراز العلاقة التكاملية بين الديمقراطية واللائكية.

يطرح الكتاب إشكالية الديمقراطية على مستويين:

ـ **المستوى الأول**: ضرورة التمييز بين ممارسة الديمقراطية في بلاد الغرب وممارستها في بلاد المسلمين، فـ.. «الديمقراطيون الأصليون في بلاد الغرب أحزاب متعددة، يمتد طيف

32ـ عبد السلام ياسين: «الاسلام والقومية العلمانية... م.س. ص: 112.

33ـ المرجع السابق. ص: 158.

34 ـ «إن مبادئ القومية تتناقض تماما مع مبادئ الإسلام، وهي في ذاتها تخالف الشرائع الإلهية... إنها ينبوع للفساد والذعر والشر في هذه الدنيا، إنها لعنة الله الكبرى... إنها أمضى سلاح في يد الشيطان يصيب به من ناصبوه وناصبهم العداء منذ الأزل... إن اجتماع كلمتي «مسلم» و«قومي» أمر عجيب جدا، إن مصطلح المسلم القومي مصطلح متناقض، إن القومية حيث تدخل الى عقول وقلوب المسلمين من طريق، فإن الاسلام، يخرج من طريق آخر».

ـ أنظر أبو الأعلى المودودي: الأمة الاسلامية وقضية القومية. ص: 153 وما يليها.

35ـ عبد السلام ياسين: الاسلام والقومية العلمانية... م.س. ص: 152.

36ـ يتكون الكتاب من 242 صفحة موزعة على سبعة محاور، إضافة الى تقديم.

مذهبيتها من يسار الاشتراكية الديمقراطية بعد أن أفل نجم الاشتراكية الى يمين الليبرالية الجديدة عبورا بوسط الديمقراطية النصرانية»(37).

في بلاد الغرب هناك ضوابط لممارسة الديمقراطية تتمثل في «تعايش بين الأحزاب، وتهارش ونقد متبادل ومعارضة ترصد أغلبية في الحكم، وفريق متحالف ينتظر ساعته ليسقط الحكومة، وتداول على السلطة، وحرية للصحافة مضمونة، وحقوق مقننة دستورية مضمونة، ودستور قعدته الأيام بتجاربها المزة الطويلة، يصبح الإحتكام إليه وتحكيمه وتأويله واحترام القانون بديلا حضاريا متحضرا سلميا للحرب الأهلية والقلاقل والاضطراب»(38).

ورغم هذه الضوابط، فهناك علل، و«علل الديمقراطية في بلاد الديمقراطية الأصلية أمراض شيخوخة لا أمراض طفولة، تتعايش هنالك تلك العجوز مع الرشوة والكذب وإعلان الشيء ونقيضه، وتعيش في كنف رأس المال وتحت جناحه وفي كفالته»(39).

وجود هذه العلل لا ينقص من قيمة التجربة، فـ «مجموع مؤسساتها وما تعطيه من موازنة السلطة بالسلطة، ومقارعة النقيض بالنقيض، ومنازلة الخصم للخصم يؤمن سير تلك القافلة متأرجحة نازلة طالعة، لها من المرونة رغم شيخوختها ما يقويها على تجاوز الأزمات السياسية وقلب الصفحة واستبدال الوجوه كلما استفحلت الأزمة الاقتصادية، أو افتضح حاكم تلجئه الصحافة الحرة إلى الاستقالة أو تجاوزت حكومة برمتها حدود الستر والمسؤولية فيفزع الناس إلى صناديق الإقتراع»(40).

أما في بلاد المسلمين، فـ «المعبودة الديمقراطية يحليها بكل زينة وفضيلة أنصارها و الدعاة

- المحور الأول : الاسلاميون والصراع السياسي.
- المحور الثاني : أرضية للحوار.
- المحور الثالث : الديمقراطية والشورى.
- المحور الرابع : تعبئة وتغيير.
- المحور الخامس : تعليم يحررنا.
- المحور السادس : تنمية تفك رقابنا.
- المحور السابع : حقوق الانسان.

37- عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء الديمقراطيين. مطبوعات الأفق. الطبعة الأولى. الدار البيضاء. 1994. ص : 59.

38- نفس المرجع. نفس الصفحة.

39 - نفس المرجع. ص: 60.

40- نفس المرجع. نفس الصفحة.

المتعطشون إليها، المستجيرون بها من الإستبداد التقليدي العتيق أو الانقلابي الطارئ. عندنا الديمقراطية هي النجاة وبيت القصيد في أنشودة الحياة. كما يهفو قلب المؤمن إلى الجنة ويتركز طموحه على نعيمها كذلك تهفو أفئدة السياسيين، المحترفين منهم والمناضلين اللاييكيين، إلى الديمقراطية بما هي حرية وحقوق إنسان وتعددية وتداول على السلطة وباب مفتوح على الرئاسة، وينحشر مع الجوقة الديمقراطية المرتزقة الانتهازيون الطفيليون الذين يجدون في أنظمة الصنائع المناخ المناسب»(41).

تنحاز النخبة المثقفة عن سابق وعي الى الديمقراطية سبيلا إلى الخلاص من الاستبداد، ويتطلع عامة المناضلين «إلى نصيب مما تنشره الديمقراطية على أتباعها من إمكانيات لتسلق السلم الاجتماعي وتوفير الفرص وقضاء الأغراض»(42)، انحياز النخبة المثقفة للديمقراطية شيء مقبول، لكن من غير المقبول أن لا تقوم هذه النخبة بتحديد جوهر الديمقراطية التي تقدمها للشعب سبيلا للخلاص(43).

ـ المستوى الثاني : تحديد جوهر الديمقراطية :

ينقسم الإسلاميون حول الديمقراطية إلى معسكرين :

يذهب المعسكر الأول إلى القول بأن «الديمقراطية غنيمة ومكسب للإنسان، هي المخرج لا غيره، وهي أخت الشورى الاسلامية ورديفتها وجنسها، وقد تكون الشورى مكملة للديمقراطية، نتمم تلك بهذه ونكملها ولا ضير»(44).

يصرح المعسكر الثاني بأن «الديمقراطية كفر، وفي ساحة الجدل يصرخ بذلك ويصر عليه ويغضب له، وقد يتنازل إلى قبول أن الديمقراطية إن لم تكن كفرا فهي أخت الكفر، وهي النبتة السوء التي نتحاشاها كما نتحاشى الأوبئة الفتاكة»(45).

يرفض عبد السلام ياسين ما يذهب إليه المعسكر الأول(46) كما ينتقد ما يذهب إليه المعسكر الثاني(47)، «ليس لنا مع الديمقراطية نزاع إن نحن عرفنا حقيقة ظواهرها وبواطنها،

41ـ نفس المرجع. ص : 61.

42ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

43ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

44 ـ نفس المرجع. ص: 57.

45ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

46ـ يقول عبد السلام ياسين: «أي تناقض هذا: «ديمقراطية إسلامية» أو «إسلام ديمقراطي»، نحن نسميها شورى لا نخلط في اللفظ، لأننا لا نخلط بين الحقائق.

ـ المرجع السابق. ص : 21. .

47ـ «إذا وضعنا معادلة : ديمقراطية = كفر فقد اخترنا حليفنا أو على الأقل ساوينا ما لا يتساوى شرعا

وإن نحن شرحنا لأنفسنا ولغيرنا لوازمها كيف تتلاقى مع المطالب الإسلامية أو تتنافى»(48).

إذا كانت الديمقراطية تفيد الرجوع الى الشعب والإحتكام إليه، فـ «هذا أمر ندعو إليه ولا نرضى بغيره، على يقين نحن من أن الشعب المسلم العميق الاسلام لن يختار إلا الحكم بما أنزل الله، وهو الحكم الاسلامي، وهو برنامجنا العام وأفق مشروعنا للتغيير»(49)، أما إذا كانت الديمقراطية تفيد التحرر من الدين والتخلص منه، فهذا شيء مرفوض.

وهنا نتساءل: هل يمكن الفصل بين «الديمقراطية» و«اللائكية»؟

الجواب بالنفي، يقول عبد السلام ياسين: «لا ديمقراطية إلا لاييكية، أكررها لترسخ في الأذهان»(50)، و«اللاييكية لصيقة الديمقراطية وضجيعتها ووجهها وقفاها ولازمتها»(51).

تستمد الديمقراطية روحها من «اللائكية»، ويجسد المجتمع المدني فضاءها(52)، وهي بهذا التحديد إحدى تجليات الفتنة.

ولا سياسة ولا حكمة، نكون سواء بين الاستبداد المنافق وبين من يحارب الاستبداد بإخلاص».

- المرجع السابق. ص: 58.

48- نفس المرجع. نفس الصفحة.

49- نفس المرجع. نفس الصفحة.

50- المرجع السابق. ص: 73.

51- المرجع السابق. ص: 19.

52- البديل الاسلامي هو الشوري التي تستمد روحها من حاكمية الله وتجسد «جماعة المسلمين» فضاءها.

حول «جماعة المسلمين» كبديل للمجتمع المدني، أنظر:

- المرجع السابق. ص: 81-85.

II - الشرط الذاتي : إرادة «اقتحام العقبة»

خطاب محددات النشأة لا ينصب فقط على تبيان مكونات الشرط «الموضوعي»، بل يمنح أهمية قصوى للشرط «الذاتي»(53) المتمثل في إرادة «اقتحام العقبة» بإطاره وقناته.

ا - إطار إرادة الاقتحام : «مقدمات في المنهاج» /1989

يرسم كتاب «مقدمات في المنهاج»(54) الصادر سنة 1989 إطار اقتحام العقبة باعتباره تحركا إراديا «تتعرض له العقبة، فتمانعه ويغالبها حتى يتم الاقتحام، حركة الفرد المؤمن في سلوكه الى الله عز وجل، وحركة الجماعة المجاهدة في حركتها التغييرية، وحركة الأمة في مسيرتها التاريخية»(55).

إن إطار إرادة «اقتحام العقبة» ينبني على تأصيل قرآني وتبيان للجسر الحركي.

أ- التأصيل القرآني : سورة «البلد»

يتأسس إطار الشرط الذاتي قرآنيا على مفهوم «اقتحام العقبة»(56) الوارد في سورة البلد، يقول تعالى: «لقد خلقنا الانسان في كبد، أيحسب أن لن يقدر عليه أحد، يقول أهلكت مالا

53- «يقتضي توزين العامل الذاتي وترجيح جانبه أن نعطي الأهمية القصوى لفحص ذاتنا، للنظر في عيوبنا، لتمحيص صفنا، لتربية نفوسنا وصقل قلوبنا وتهييء المحل الذي يتنزل فيه نصر الله، لا نهضم هذا الجانب مثلما يهضمه الغافلون عن الله».

- عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء الديمقراطيين... م.س. ص: 10

54- يتكون هذا الكتاب من 88 صفحة، ويتألف من ثلاثة فصول:

- الفصل الأول يضم:

- كلمة مفهوم - معرفة الحق - جسور من أجل الحوار - اقتحام العقبة - الرحمة والحكمة - النداء والاستجابة - مفاهيم.

- الفصل الثاني يحتوي على :

- المنهاج - كلمة منهاج - الايديولوجية - الناحية العملية - وظيفة المنهاج - مطالب المنهاج - الاخلاص لله عز وجل أولا

- الفصل الثالث ويتناول :

- اقتحام العقبة الى الله عز وجل - السلوك - النداء والاستجابة - فك رقبة - أية حرية - المصير - الشيطان والانسان والسلطان - الاستسلام - صور الاسلام وشعب الايمان - الخصال العشر.

55 - عبد السلام ياسين : مقدمات في المنهاج : الطبعة الأولى 1989. ص: 16.

56- «رأس هذه المفاهيم العبارة المقتبسة من سورة البلد: «اقتحام العقبة»، الى الله عز وجل، هذه العبارة لم آخذها صدفة، إنما توفيق الله عز وجل سبق، فإذا بالعبارة حبلى بكثير من العلم».

- المرجع السابق. ص: 15.

لبدا، أيحسب أن لم يره أحد، ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين، فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذات مقربة أو مسكينا ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة، والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار موصدة»(57).

يقول عبد السلام ياسين في توضيحه للآيات الواردة في سورة البلد: «ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان في سورة البلد المكية، وذكر تعبه في الدنيا مادام بعيدا عن ربه، وذكر نعمه عليه وما أودعه من طاقات، وما بعث إليه من رسل يهدونه، وما فطره عليه من استعداد، ثم خاطبه مخبرا محرضا: «فلا اقتحم العقبة!»، لا هنا للنفي والاستنكار، فيكون المعنى: مع كل تلك النعم، ومع الهداية التي تخيره بين نجدي السعادة والشقاء لم يقتحم العقبة المؤدية لسعادته، أو تكون لا للعرض والتحضيض، فيكون المعنى: هلا اقتحم العقبة؟»(58)، وكيفما كان المعنى المعتمد، فهو «نداء مؤكد من الله عز وجل للانسان أن يسلك إلى ربه السبيل»(59).

ويضيف «ياسين» موضحا: «إن النجدين اللذين هدى الله تعالى إليهما الانسان عقبتان؛ إحداهما تؤدي بعد الكدح والكبد والتعب في دنياه الى الشقاء الأبدي في الدار الآخرة، والأخرى، وهي التي عظم الله شأنها وشوق الى معرفتها في قوله: «وما أدراك ما العقبة» هي التي يقتحمها المؤمن اقتحاما، فينال بعمله الصالح ذاك سعادة الدارين»(60).

اقتحام العقبة «نداء خالد من الله عز وجل للإنسان، والإنسان مخير ذو إرادة، الإنسان حر في أن يسارع لرضى ربه ويتجشم في سبيله المشاق أو يختار النجد الآخر، فأية حرية تفتح له الطريق؟ وأي رق يعوقه عن الاقتحام؟ ما هي العقبة؟، وما قوائمها؟، أخبرنا العليم الحكيم بثلاثة أبعاد هي مجاري العقبة وآفاقها:

1 ـ «الرق الذي يستعبد الانسان، فإذا هو رهين بإرادة غير إرادته.

2 ـ «العوز الذي يقعد بالمسكين واليتيم، تمنعهم المسغبة والاهتمام بالقوت عن كل خير.

3 ـ «الانفراد عن جماعة المؤمنين الذين يتأتى السفر والاقتحام في كنفهم» (61).

تحدد سورة البلد ثلاثة مجالات لاقتحام العقبة:

57 ـ نفس المرجع. ص: 55.

58 ـ نفس المرجع. ص: 53.

59 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

60 ـ نفس المرجع. ص: 55.

61 ـ نفس المرجع. ص: 56.

المجال الأول : «فك الرقبة تحرير الانسان من العبودية لغير الله عز وجل»(62).

المجال الثاني : ««إطعام اليتيم والمسكين تحرير لطاقاته لينتج ما به يستطيع أن يطعم المعوزين ابتداء من إطعام نفسه»(63).

المجال الثالث : «الكينونة مع الذين آمنوا تحرير للإنسان المؤمن الفرد من العزلة والخمول والانفراد، وإدماج له في الجماعة ليتحزب لله عز وجل»(64).

وإذا كانت هناك ثلاثة مجالات لإرادة اقتحام العقبة، فإن ممارسة الاقتحام مشروطة بمقاومة الفتنة(65)، فـ «النداء الإلهي للإقتحام لن يصل إلى سمعك بثاثا أو لن تسمعه بالوضوح الكافي إذا كنت غارقا في الفتنة، ثم لن تستطيع تلبيته إن كانت الفتنة جاثمة في نفسك، في حياتك اليومية، في وضعيتك الاجتماعية السياسية الاقتصادية»(66).

الإغراق في الفتنة مرده إلى ثلاثة عوامل:

العامل الأول : الأنانيات: «كل فرد شغلته نفسه وشهواته أو أمواله أو جاهه/ الاجتماعي أو وظيفته يريد الرقي بها إلى ما شابه»(67).

العامل الثاني : الذهنيات : «وعي للواقع مجانب، خرافية، جبرية، جهل، تضليل إيديولوجي»(68).

العامل الثالث : العادات «التصاق بالمألوف الساكن، بالترف، رضى بالواقع، خنوع موروث»(69).

إن «العقبة المراد اقتحامها في حق الفرد والجماعة تتكون من واقع مرج، متحرك، معاد لإرادة السالك، مليء بالأشواك والأعداء، فإن لم يكن الفرد تربى على الجندية العنيدة، إن لم يكن مقاتلا يستهين بالموت فمادونها، وإن لم تكن الجماعة من التنظيم وصواب الرؤية

---

62 ـ نفس المرجع. ص: 57.

63 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

64 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

65 ـ راجع ما كتبناه حول هذا المعطى في الفصل الأول من القسم الأول وفي الفصل الأول من هذا القسم.

66 ـ عبد السلام ياسين: مقدمات في المنهاج... م.س. ص: 68.

67 ـ المرجع السابق. ص: 69

68 ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

69 ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

وصلاح القيادة، فلن يكون جهاد، بل تصالح مع الواقع في مرحلة من المراحل، في منعطف تاريخي ما، عند كبوة أخلاقية أو عثرة تكتيكية أو سوء تقدير أعقبه سوء تدبير»(70).

يدل الاقتحام على «دخول شجاع في شدائد، على أنه منابذة للخوف، بل هجوم على ما يخيف الجبناء، وعلى أن الطريق صاعدة لكن في وعورة، بعبارة أخرى فإن العبارة تصور لنا الخصال النفسية القلبية العقلية عند المدعوين للاقتحام، كما تصور طبيعة المسلك الموضوعية، وهي قبل كل شيء دعوة صادرة من الله عز وجل، فالاستجابة لا تتخذ معناها من خصال المقتحم ولا من وعورة المسلك، لكن من كونها تلبية لنداء الحق(71).

اقتحام العقبة إلى الله يمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: «الجماع على الله بصحبة الأخيار وذكر الله وعبادته».

المرحلة الثانية: إعداد القوة بالانضمام للجماعة المجاهدة».

المرحلة الثالثة: «بذل الثمن المعلوم: المال والنفس، الموت في سبيل الله، الفرار الى الله»(72).

وهذه المراحل تقتضي جسرا حركيا يتمثل في الانتقال من الاسلام «الفردي» الى الاسلام «الجماعي».

ب ـ الجسر الحركي: من الإسلام «الفردي» الى الإسلام «الجماعي».

ليس الإسلام «الفردي» مذموما لذاته(73)، ولكنه مذموم لآثاره ومنها:

أولا: كونه عائقا من عوائق اقتحام العقبة، فلا اقتحام إلا بجماعة(74) فالمؤمن الذي «يتسربل بأنانيته الايمانية ويبخل بإيمانه أن تمسه نار الفتنة، ويخشى على أذياله الطاهرة أن توسخها عفونات الجاهلية، وعلى صلاح عمله أن يفسد إن خالط المجتمع الفاسد، يهرب

70 ـ المرجع السابق. ص: 74-75.

71 ـ المرجع السابق. ص: 54.

72 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 377

73 ـ «عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من خير معاش الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي القتل أو الموت مظانه، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويوتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير». رواه مسلم. مذكور في:

ـ عبد السلام ياسين: الاسلام غدا... م.س. ص: 41.

74 ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

وينعزل في صومعة التصوف أو ركن العبادة بالمسجد، يرى أن حريته مصونة إن غاب عما فيه الناس، ذاك يفوته فك الرقبة لأنه لا يسعى في تحرير الانسان، ويفوته الإطعام بالمعنى القوي الكامل لأنه لا يشارك في الانتاج، ويفوته التحزب لله عز وجل فيفوته الجهاد، وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجات(75).

ثانيا : كونه لا يفضي إلى قيام دولة(76).

ثالثا : كونه يحول دون اكتمال الإيمان، فـ «المؤمن الكامل الايمان هو ذاك الذي لا يهرب من الميدان مخافة التلوث، لا يدع العالم وصراعاته ليتفرغ للتقوى والعبادة، لا يفصل مصيره في الآخرة عن مصير أمته التاريخي. وها هنا مظهر من أهم مظاهر تفتت المجتمع الإسلامي ووهنه: الانفصال في وعي المومن بين مصيره الشخصي في الآخرة وبين مصير أمته في التاريخ، والربط بين المصير في وعي المومن وعمله من أهم أهداف التربية إن لم يكن أهمها»(77)، الإسلام الفردي إذن «حالة تتلاءم مع تشتت المسلمين وتنتج عنه وتغذيه»(78) وإرادة اقتحام العقبة تستلزم عبور جسر حركي تنقل المؤمن من الإسلام «الفردي» الى الاسلام «الجماعي»، اقتحام العقبة هو اقتحام للفتنة(79)، اقتحام لا يتم إلا بعمل جماعي منظم(80).

75- عبد السلام ياسين: مقدمات في المنهاج... م. س. ص: 65.

76- «لو كانت مهمة الدعوة تقتصر على تبليغ الناس رسالة ربهم فرادى وتربيتهم على الاسلام الفردي لكان أسلوب وحدود.. رجال التبليغ.. أمثل، ولو كان لجماعة المسلمين أن تقتصر على ذلك، لكانت جماعة التبليغ نواة صالحة، لكن «جماعة المسلمين» جماعة دعوة مسؤولة أن تقيم دولة الاسلام في الأرض..

«لو كانت الدعوة الاسلامية دينا بلا دولة - وهذا مفهوم ورد علينا من الغرب واستقر في أذهان الناس كمرادف لكلمة رلجيون عندهم - لكان توحيد المسلمين نزهة عاطفية فاكهتها المحبة وطعامها الأخوة - لكن الأمر جهاد وصبر ومغالبة للطاغوت».

- عبد السلام ياسين: الجهاد، مجلة الجماعة، العدد السادس. م. س. ص: 20-21.

77- عبد السلام ياسين: مقدمات في المنهاج... م. س. ص: 64-65.

78- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م. س. ص: 181.

79- العقبة هي الفتنة، أنظر:

- عبد السلام ياسين، الاسلام غدا... م. س. ص: 37.

80- يسعى عبد الواحد المتوكل عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان الى تأصيل العمل الجماعي المنظم عبر خمسة مستويات:

المستوى الأول: الآيات القرآنية وهي خمس آيات:

- الآية 104 من سورة آل عمران.

2 ـ قناة إرادة الاقتحام : بناء الجماعة

تتبلور إرادة اقتحام العقبة من خلال قناة محددة : «الجماعة»، والجماعة في زمن الفتنة لا يمكن أن تكون إلا جماعة . . «قطرية»(81)، وبناؤها يتطلب أمرين اثنين : روابط ولحمة .

أ ـ روابط الجماعة : ثلاث نواظم

الانتقال من الإسلام «الفردي» الى الإسلام «الجماعي» لا يفضي الى قيام جماعة إلا إذا توفرت ثلاث نواظم : المحبة أولا والشورى والتناصح ثانيا والطاعة ثالثا(82)، وهذه النواظم

ـ الآية 146 من سورة آل عمران .

ـ الآية 3 من سورة المائدة .

ـ الآية 74 من سورة الأنفال .

ـ الآية 119 من سورة التوبة .

المستوى الثاني : الأحاديث النبوية وهي ستة أحاديث

المستوى الثالث : أدلة من أصول الفقه .

المستوى الرابع : احتجاجات ببعض أئمة العلم أمثال :

ـ ابن تيمية من خلال فتاويه

ـ ابن القيم الجوزية من خلال كتابيه : «إعلام الموقعين» و«إغاثة اللهفان»

المستوى الخامس : أدلة متفرقة مستقاة من «منطق الواقع» و«ضرورة العمل المكافئ» و«طبيعة التغيير الاسلامي المنشود» . . . الخ أنظر :

ـ عبد الواحد المتوكل : العمل الجماعي : أدلته وشواهده . مطبوعات الأفق . الطبعة الأولى . الدار البيضاء 1993 .

81 ـ «القطرية مفروضة علينا مرحليا بقهر القومية المتغلغلة في النفوس المفتونة، فكيف نتجاوز القومية قبل أن نغير ما بأنفسنا من وبائها؟

«والقطرية مفروضة علينا بقهر الدويلات المفتونة المتعددة الوجهات والأحلاف مع الجاهلية، فكيف نقتحم السدود التي ضربتها بين أطراف الأمة قبل أن نغير هذه الدويلات؟

«حدود في نفوس المسلمين من صنع الانتماء القومي الذي تنفخ فيه رياح الفتنة الفكرية والسياسية .

«وحدود بين بلاد المسلمين من صنع الانتماء القومي الذي تنفخ فيه رياح الفتنة الفكرية والسياسية .

«وحدود بين بلاد المسلمين تحجرت بداعي الضرورة الجغرافية السياسية الاقتصادية التي فرضتها يد العدو الجاهلي المتحالف مع العدو الداخلي بين ظهرانينا» .

ـ المرجع السابق . ص : 17 .

82 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م . س . ص : 78 .

عبد السلام ياسين : الاسلام غدا . . . م . س . ص : 199 .

هي التي تضفي على الجماعة طابعا عضويا(83)، وهي ليست على مستوى واحد، فالأولى عاطفية والثانية سياسية والثالثة سلوكية(84).

أولا : الناظمة العاصفية: الحب في الله

توفر الناظمة العاطفية شرط قيام الجماعة، ذلك أن «لا جماعة إلا بتحاب في الله وصحبة فيه»(85)، هذا التحاب ينقلب إلى أخوة في الله(86) تمنح الجماعة طاقة لا تقهر ولا تغلب(87).

لماذا هذه الناظمة؟ لأن جماعة لا تتأسس على الحب في الله لا يمكن أن «تؤثر في مجتمع

83- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . . م. س. ص: 77.

84- حسن البنا حدد نواظم أخرى للجماعة، يقول: «الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات، وخلاصة ذلك جملتان: إيمان وعمل ومحبة وإخاء، ماذا فعل رسول الله(ص) في تركيز دعوته في نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم الى الايمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لابد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعا» أنظر:

- حسن البنا: دعوتنا في طور جديد. في مجموعة رسائل الأمام الشهيد. م. س. ص: 141.

85- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . . م. س. . ص: 79.

86- تأسيسا على قوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة». الحجرات/ 10.

يعتبر حسن البنا «الأخوة» الركن التاسع ضمن عشرة أركان تتأسس عليها بيعة «الأخ» للجماعة. يقول:

«أريد بالأخوة:

أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخوة الايمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الايثار «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» (الحشر)، والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»، وهكذا يجب أن نكون». أنظر:

- حسن البنا: رسالة التعاليم. في مجموعة رسائل الامام الشهيد. . م. س. ص: 399

أما الأركان التسعة الأخرى فهي:

- الفهم- الاخلاص- العمل- الجهاد- التضحية- الطاعة- الثبات- التجرد- الثقة.

- المرجع السابق. ص: 390.

87- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . . م. س ص: 80.

الفتنة القائم على الحقد الطبقي والخلاف الحزبي والنعرات القومية»(88).

لناظمة الحب في الله وجهتان: وجهة التراحم بين أعضاء الجماعة، هذا التراحم المرفق باللين هو مدخل «تأليف عناصر القوة الجهادية، القادرة على دفع العدو»، ووجهة الشدة والغلظة على الكفار(89).

ثانيا: الناظمة السياسية/ الشورى.

لا ينبغي أن تفضي الناظمة العاطفية المتمثلة في التحاب في الله الى اتكال المؤمنين بعضهم على بعض في اتخاذ القرارات التي تهم الجماعة، بل لابد من الشورى التي تهدف الى اتخاذ قرار جماعي(90).

وباعتبار الشورى ناظمة سياسية للجماعة، وتجنبا للخواء اللفظي الذي لا طائل من ورائه، لابد من تحديد إجراءات تساعد على ممارستها أحسن ممارسة، وهذه الاجراءات تختزلها الخطوات السبع التالية:

الخطوة الأولى: «تحديد نوعية المشكلة الواجب التشاور حولها مع تحديد المطلوب».

الخطوة الثانية: «تحديد القوى المناهضة والمؤيدة وتحديد الصعوبات المادية والتنظمية».

الخطوة الثالثة: «استعراض الحلول الممكنة، وتقييم كل حل على حدة».

الخطوة الرابعة: «تصور آثار كل حل في حالة اتباعه».

الخطوة الخامسة: «اختيار الحل الأنسب إما بالأغلبية في القرارات الهامة أو بترجيح المرشد العام في الشؤون العادية».

الخطوة السادسة: «تعيين خطة التنفيذ ووقته وتوزيع المسؤوليات».

الخطوة السابعة: «متابعة النتائج المترتبة عن تنفيذ الحل المتفق عليه»(91).

تدخل هذه الخطوات في تسيير مجلس الشورى، ذلك أن هذا التسيير هو مكمل للشورى وينبغي أن يتسم بصرامة أخوية(92).

88- نفس المرجع. ص: 78.

89- هذا التخريج يتم انطلاقا من الآية الكريمة: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم». الفتح/ 29.

90- المرجع السابق. ص: 83.

91- نفس المرجع. نفس الصفحة

92- نفس المرجع. ص: 84.

هناك ضابطان للشورى، ضابط شرعي وهو ضابط عام لها حيث ينبغي «أن تكون دينا أي نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين»(93)، وضابط تنظيمي يقتضي «رفض الشورى المفتوحة لمناقشة بلا حدود بجدل عقيم»(94).

مجال الشورى داخل الجماعة يتضمن دائرتين: دائرة التشاور المرغوب فيه ودائرة التشاور المرغوب عنه، فالتشاور المرغوب فيه يكون في شيئين:

- الأعمال الجهادية.
- الكليات الإيمانية(95).

التشاور المرغوب عنه يشمل:

- نصا من كتاب الله وسنة رسوله «واضحا في الأذهان مقبولا في النفوس قطعي الدلالة»(96).
- «الخلافيات الفقهية الجزئية»(97).

لمن سلطة الحسم في القرار المتشاور حوله داخل الجماعة؟ «الحسم والترجيح يجب أن يكون لأمير المجلس إن كان للمجلس حق التقرير، ولأمير القطر على كل حال، بقطع النظر عن الأقلية والأغلبية، ما لم تبلغ الأغلبية ثلثي الأعضاء»(98)، وهي رؤية مؤسسة على التجربة النبوية(99).

---

93 - نفس المرجع. نفس الصفحة.

«الشورى عبادة قبل كل شيء وأمر إلهي وصفة إيمانية تتوج صفات أخرى تتكامل وتتضايف وتتساند».

- عبد السلام ياسين: حوار مع الفضلاء الديمقراطيين... م.س. ص: 65.

94 - عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س.. ص: 84.

95- نفس المرجع. ص: 85.

96- نفس المرجع. ص: 84.

97- المرجع السابق. ص: 84-85.

يقول حسن البنا: «نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين». أنظر:

- حسن البنا: دعوتنا، في رسائل الامام الشهيد... م.س. ص: 32.

98- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 85.

99- «أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيق لأمر الله بالعزم في الأمر بعد الشورى:

ثالثا : الناظمة السلوكية/ الطاعة

لا تتجلى قوة الجماعة في قدرتها على اتخاذ القرار بواسطة الشورى فقط، بل بدرجة طاعة القاعدة للقيادة(100)، والطاعة ليست خضوعا مطلقا وتبعية عمياء، الطاعة الواجبة للقيادة هي تلك الطاعة المنبعثة عن شورية القيادة، ومن هذا المنظور، يختفي التعارض بين الطاعة وواجب النصيحة والشورى(101).

تكمن قوة الجماعة في قدرتها على التنفيذ، تنفيذ قراراتها وتصوراتها، والناظمة التي تضمن لها هذه القدرة هي: الطاعة(102).

ب ـ لحمة الجماعة : «العقد الإماري»

لا تتأسس الجماعة فقط ارتكازا على النواظم الثلاث، بل هي في حاجة الى «عامل إرادي

«وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله»، العزم له ولخلفائه من بعده، فكل أعماله وأوامره الجهادية أصلها أن يعزم هو، فكان يؤمر من يشاء، ويعزل من يشاء، ويندب من يشاء من أصحابه الى المهمات، ويجهز الجيش ويقوده ويصفه. وما جاءنا من استشاراته الشريفة تشريع للشورى وتطبيق، وليس تشريعا للأقلية والأغلبية، فإنه صلى الله عليه وسلم تبع الحباب بن المنذر في بدر ولم يستشر غيره، وخص بمشورته الدائمة الخيرين أبا بكر وعمر دون غيرهما، وعمل برأي أبي بكر في أسرى بدر ولم يعمل برأي عمر، لا أقلية ولا أغلبية بل ترجيحا منه صلى الله عليه وسلم لرأي صاحبه الصديق. فالشورى في ميزان الشريعة مرحلة للتفاهم ضرورية لكنها وحدها لا تفضي الى تنفيذ إن لم يكن القرار القابل للتنفيذ والطاعة الملزمة. نعم هناك خطر استبداد الأمير، وخطر التعرض للخطأ إن لم تستفد الجماعة من آراء كل المؤمنين، وخطر أن يصبح المؤمنون إمعة وقطيعا يساق إن كانت مشاركتهم في الشورى صورية، لهذا كانت المسؤولية في التنظيم أساسية».

ـ المرجع السابق. ص : 85-86.

100 ـ المرجع السابق. ص : 90.

101 ـ نفس المرجع. ص : 91.

102 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

يقول حسن البنا معرفا الطاعة:

«أريد بالطاعة :

امتثال الأمر وإنفاذه توا في العسر واليسر والمنشط والمكره، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث:

ـ التعريف : بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة في هذه المرحلة نظام الجمعيات الادارية، ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والارشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، الى غير ذلك من الوسائل العملية، وكل شعب الاخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها «القانون الأساسي» وتشرحها وسائل الاخوان وجريدتهم، والدعوة في هذه المرحلة «عامة»، ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها، وليست الطاعة التامة لازمة في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ

يقام بعملية المبايعة»(103) التي تشكل لحمتها، لحمة الجماعة تتمثل في وجود «ميثاق» متفق عليه واضح في الأذهان يصل القاعدة بالقيادة، بين الأمير وجماعة المسلمين، هذا «الميثاق» يتخذ إسمين، فإذا قامت دولة الخلافة سمي «بيعة»(104)، أما قبل قيام دولة الخلافة، فيسمى «عقدا إماريا»(105)، وهو يكتسب حرمة البيعة دون أن يكون في مستواها(106).

لحمة الجماعة القطرية عقد إماري لابد منه باعتباره شرعا(107)، وهو بهذه الصفة محكوم بثلاثة ضوابط:

الضابط الأول: على مستوى الفاعل حيث إن من يعقده هم «جمهرة أهل القطر؛ أهل السابقة والغناء والحظ في الله، فلا يحق لأي جماعة اليوم والمؤمنون كثير أن تتبايع إلا بشروط.

الضابط الثاني: على مستوى الهدف، فهدف العقد الإماري «إقامة دولة إسلامية قطرية تساعد على قيام دولة الخلافة».

الضابط الثالث: على مستوى الخط، فخط العقد الإماري «كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد المؤمنين»(108).

العامة للجماعة.

- التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها الى بعض، ونظام الدعوة في هذه المرحلة - صوفي بحت من الناحية الروحية، عسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائما (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج، وتمثل الكتائب الاخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة... والدعوة فيها «خاصة»، لا يتصل بها إلا من استعد استعدادا حقيقيا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات...

- التنفيذ: والدعوة في هذه المرحلة جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل في سبيل الوصول الى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا «كمال الطاعة».

- حسن البنا: رسالة التعاليم... م.س.ص: 397.

103 - عبد السلام ياسين: الاسلام غدا.. م.س. ص: 55.

104 - إذا اعتمدنا تعريف ابن خلدون للبيعة بأنها العهد على الطاعة، وإذا استحضرنا الطاعة بوصفها ناظمة سلوكية للجماعة، أمكننا القول بأن العقد الإماري هو تأطير شرعي للطاعة.

105 - عبد السلام ياسين: الجهاد. مجلة الجماعة. العدد السادس... م.س.ص: 20.

106 - عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س.ص: 92.

107 - نفس المرجع. ص: 132.

108 - نفس المرجع. ص: 96.

العقد الإماري عقد «تبادلي»، وهو بهذا الاعتبار يرتب حقوق والتزامات على القيادة والقاعدة سواء بسواء.

أولا : على صعيد القاعدة

يتضمن العقد الإماري شروطا خاصة(109) تحدد التزامات الجماعة وحقوقها.

على الجماعة خمسة واجبات:

الواجب الأول : «السمع والطاعة للأمير أو نائبه مع الشورى التي لا تلزم الأمير إلا بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس الإرشاد».

الواجب الثاني : «السمع والطاعة في العسر واليسر، مع ضرورة اتسام الأمير بالواقعية حيث لا يكلف اتباعه ما لا يطيقونه».

الواجب الثالث : «السمع والطاعة في المنشط والمكره».

الواجب الرابع : «المبايعة على «الأثرة علينا»، وذلك بعدم خروج العضو على الجماعة حتى ولو استشعر حيفا لحقه منها، ذلك أن القيادة ليست معصومة.

الواجب الخامس : المبايعة على ألا ننازع الأمر أهله كسلوك سبيل الطعن في القيادة وما شابه ذلك(110).

تتمتع الجماعة بحق واحد: عزل القيادة التي ظهر كفرها بواحا أو فسقها(111).

ثانيا : على صعيد القيادة

يتمتع الأمير بثلاثة حقوق:

الحق الأول : «له السمع والطاعة في حدودهما الشرعية»(112).

الحق الثاني : «حق الفصل في الخلافات وحق ترجيح جانب على جانب فيما يصعب فيه

---

109 - هذه الشروط مستخلصة من حديث عبادة بن الصامت الذي رواه الشيخان والنسائي يقول فيه: «بايعنا رسول الله(ص) على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره. وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله»، قال رسول الله(ص): «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان».

- المرجع السابق. نفس الصفحة.

110 - نفس المرجع. ص : 97-98.

111 - نفس المرجع. ص : 98.

112 - نفس المرجع. نفس الصفحة.

الإجماع أو شبهه»(113).

الحق الثالث : حق النصرة(114).

وعلى الأمير التزام وحيد : أن يكون روح الجماعة(115).

العقد الإماري، إذن لحمة الجماعة، ورغم ما يرتبه من حقوق والتزامات صريحة، فإنه ينبني على بند ضمني يشكل جوهره : «التعاهد على الموت في سبيل الله»(116).

113 ـ نفس المرجع. ص : 99.

114 ـ نفس المرجع. ص : 101.

115 ـ نفس المرجع. ص : 98.

116 ـ نفس المرجع. ص : 173.

الفصل الثاني
خطاب محددات الصيرورة
المستوى العلائقي

إذا كانت «جماعة العدل والإحسان» تشدد في خطابها حول محددات النشأة على ضرورة تلازم شرطين: شرط «موضوعي» يتمثل في «الفتنة» وشرط «ذاتي» يتجلى في «إرادة اقتحام العقبة»، فإنها تدرك أن هذين الشرطين قد يفضيان الى النشأة ولكن لا يوفران الاستمرارية، من هنا يأتي خطاب محددات الصيرورة والذي يتشخص في تحديد المستوى العلائقي سواء على مستوى العلاقة بالآخر أو مستوى العلاقة بالذات.

أ ـ العلاقة بالآخر

تتحدد العلاقة بالآخر لدى جماعة العدل والاحسان انطلاقا من تعيين نوعية مكونات التناقض، وعليه يتم التمييز بين مكونات التناقض «الرئيسي» ومكونات التناقض «الثانوي».

ا ـ العلاقة بمكونات التناقض الرئيسي

تندرج ضمن مكونات التناقض الرئيسي بالنسبة لجماعة العدل والاحسان السلطة السياسية القائمة من جهة والأحزاب السياسية من جهة أخرى.

أ ـ العلاقة بالسلطة : «الإسلام أو الطوفان»/ 1974

بعث الشيخ عبد السلام ياسين سنة 1974 الى الملك رسالة تحمل عنوان «الإسلام أو الطوفان» تتكون من أكثر من مائة صفحة، ويمكن معالجتها ضمن إطارين: إطار «شكلي» وآخر «موضوعي».

أولا : الإطار الشكلي/ إحياء نظام النصيحة

تندرج رسالة «الإسلام أو الطوفان» في دائرة ما يجب على العلماء من واجب تقديم النصح الى الحاكم والى المسلمين عامتهم وخاصتهم(1)، لذلك فهي تنتقد بحدة خنوع العلماء وتقاعسهم وتبريرهم لواقع الفتنة(2).

وللنصيحة معا ن تحددها الرسالة في ثلاثة :

ـ **المعنى الأول** : «الوضوح على كتاب الله وسنة رسوله والصراحة».

ـ **المعنى الثاني** : «جمع أمر المسلمين على الحق، فإن النصاح هو الخيط والمنصحة هي الإبرة ومن ينصح يجمع الأمة ولا يفرقها».

ـ **المعنى الثالث** : «النصيحة بمعنى الصراحة والجمع لا تتأتى إلا بنقض الناصح والمنصوح بمعيار كتاب الله وسنة رسوله»(3).

إن إحياء نظام النصيحة تستوجبه ضرورتان:

ـ **الضرورة الأولى** : تتمثل في تقاعس علماء الاسلام الرسمي أو ديدان القراء.

ـ **الضرورة الثانية**: تتجلى في ما تعرفه البلاد من فساد وترد في الأوضاع على جميع

---

1 ـ عبد السلام ياسين : الإسلام أو الطوفان ص : 1.

2 ـ راجع ما سنكتبه في هذا الفصل حول العلاقة بالعلماء.

3 ـ عبد السلام ياسين : الاسلام أو الطوفان. ص : 75

الأصعدة، وهذه الضرورة الثانية تحيل على الإطار الثاني.

ثانيا: الإطار الموضوعي/ التوبة «العمرية»

بعدما تستعرض الرسالة ما تعرفه البلاد من سوء الأوضاع، يتساءل عبد السلام ياسين: «فما عسى يقترح رجل وحيد من حلول؟»، فيجيب: «الحلول تتلخص في كلمة واحدة هي: الإسلام»(4).

هنا تطرح إشكالية العمل؟

هل سيتم العمل بالاسلام انطلاقا من قاعدة المجتمع أم انطلاقا من هرم السلطة؟

إن الرسالة تولي أهمية قصوى للتغيير من «أعلى» على يد الحاكم القائم بأمر الأمة في حالة تبنيه اقتراحا يتم تقديمه متمثلا في نموذج سلوكي فريد جسده «عمر بن عبد العزيز»(5).

لا تحمل رسالة «الاسلام أو الطوفان» تصورا «انقلابيا» ضد السلطة القائمة، بل تطرح تصورا لتغيير الأوضاع من داخل النظام وبواسطته عبر مقولة «التوبة العمرية»، ونظرا لمركزية هذه المقولة، حاولت الرسالة أن ترسم الخطوط العريضة لسيرة عمر بن عبد العزيز الذي اعتبر خامس الخلفاء الراشدين.

تقول الرسالة:

«نشأ عمر بن عبد العزيز أميرا مترفا في قصور بني أمية مع الذين رأيناهم يرقصون ويتجردون وينقلبون ويبيتون سكارى ليصبحوا مخمورين، نشأ في ظل دولة تنكرت للاسلام واستعبدت المسلمين وسلطت عليهم طغاة فراعنة مثل الحجاج بن يوسف، يحبون الأموال ويقتلون الرجال، شب عمر في القصور بين الجواري، وكان جميل الصورة فارها، يتزين ويلبس الحلل بمآت الدنانير وكان مشهورا بمشية الخيلاء العمرية - كما كانوا يسمونها - وكان متكبرا كالأمويين بني أبيه، . . . كان في عصر فتنة ساذجة إذ بقيت عقيدة المسلمين فيها سليمة، وكان الويل مقصورا على طبقة الأمراء وأعوانهم لا يجرؤون أن يمسوا شعائر الدين مخافة غضب الأمة، فإذا تهتكوا فعلوا ذلك بينهم وندمائهم، وأظهروا للعامة وجه الصلاح. . كان لعمر بن عبد العزيز مرب من علماء الأمة الصالحين، اسمه صالح بن كيسان ضبطه مرة تأخر عن الصلاة في المسجد، فكتب لأبيه فعزره عليها، وكان لعمر أخوال من آل عمر بن الخطاب ورثوا الجد وورثوا الدين، فأثروا في حفيدهم الأمير بالقدرة الصالحة، أدرك عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فكان يتأثر خطاه ويأخذ عنه ويتمنى أن يكون مثله، عبد الله بن عمر صاحب رسول الله وأقوى المسلمين في الله بعد أبيه»(6).

4- نفس المرجع. ص: 14

5 - نفس المرجع . ص: 31

6- نفس المرجع .

تضيف الرسالة : «وكبر عمر وولي إمرة المدينة ولقي عالم التابعين وسند المسلمين سعيد بن المسيب، فكان يكلأه برعايته ويحميه ما استطاع من ظلم عبد الملك بن مروان جلاد العلماء، سفاك الدماء ما استطاع»(7).

ستبدأ ملامح التحول تطرأ على شخصية عمر بن عبد العزيز عندما «لقي وليا من أولياء الله اسمه رجاء بن حياة، كان معروفا بفضله وحكمته، وكان بنو مروان يستوزرونه ويستشيرونه، فكان رجاء، مثال المؤمن القوي الحكيم يعالج المواقف برفق لا هوادة فيه، فيكسر غلواء الملوك وينحو بهم نحو الخير ما استطاع، وهو كان صاحب سليمان في أواخر حياته، وهو الذي أوعز إليه أن يتولى بعد، عمر بن عبد العزيز، فقد كان يعرف ما يضمه قلب الأمير التياه من جوهر طاهر لا يطمئن لظلم بني أمية رغم مخالطته لهم وتأثره برفاههم، فبعثه سليمان يختبر له عمر فبات عنده أياما حتى توثقت بينهما صلات المحبة، ورغب رجاء في صحبة عمر على النسك والعبادة كما يروي ابن عبد الحكم. . . هذا بإيجاز تاريخ صحبة عمر للأفاضل قبل خلافته. . وتمادى عمر في انتقاء الأخيار بعد خلافته يجالسهم ويشاورهم ويأخذ عنهم. وسأله الناس في رجل كان يصحبه قبل خلافته، فمال وليها هجره، فأجاب: تركناه كما تركنا الخز والوشي، فلله دره رضي الله عنه، إذ عبر عن فتنة الغافلين لمن صحبهم، كما تفتن زينة الدنيا المحرمة على المؤمنين كالخز، وجمع عمر سيرة جده عمر بن الخطاب، وطلب الى الحسن البصري يستكتبه نصيحة جامعة، فنفقت عنده سوق العلم والصلاح، وقصد العلماء بالوعظ، فمن أحسن ما قيل أدبه موعظة زياد بن أبي زياد إذ قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن رجل له خصم ألد من حاله؟ قال عمر : سيء الحال! ـ قال زياد : فإن كانا خصمين ألدين؟ ـ قال عمر : ذاك أسوأ لحاله! قال زياد: فإن كانوا ثلاثة؟ قال عمر: فذاك حين لا يهينه عيش! قال زياد: فوا الله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو لك خصم! فبكى عمر حتى تمنى زياد ألا يكون قد قال له ما قال.

«وكان عمر يقول لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال: يدلني من العدل الى ما لا أهتدي إليه، ويكون لي على الخير عونا. ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندي أحدا، ويؤدي الأمانة التي حملها بيني وبين الناس، فإذا كان ذلك فحيهلا! وإلا فقد خرج من صحبتي والدخول علي. وهذا ما عبر عنه ميمون بن مهران إذ قال له: «إنك سوق، وإنما يحمل لكل سوق ما ينفق فيها»(8).

عمر بن عبد العزيز نموذج سلوكي فريد «شمر على ساعديه يحارب نفسه ويضرب مثلا خالدا في الصالحين يدخل عليه محمد بن كعب القرضي واعظ المدينة بعد أن أصبح خليفة وبعد أن طلق ماضيه الجاهلي فيخاطبه قائلا: «إن فيك عقلا وإن فيك جهلا، فداو بعض ما

7ـ نفس المرجع .

8ـ نفس المرجع

فيك ببعض، وآخ من الإخوان من كان ذا معلاة في الدين ونية في الحق، ولا تؤاخ منهم من تكون منزلتك عنده على قدر حاجته إليك، فإذا قضى حاجته منك، ذهب ما بينك وبينه»(9).

عمر بن عبد العزيز نموذج سلوكي فريد لأنه حين «مات سليمان وأعلن للناس أن خليفتهم هو عمر بن عبد العزيز، فاجتمعوا في المسجد ينتظرون خطبة الخليفة الجديد، وعمر جالس في أخريات الناس يحوقل ويقول: والله إن هذا الأمر ما سألته قط في سر ولا علانية! وجاء شيخه رجاء يطلبه الى المنبر، فقال عمر: أناشدك الله يا رجاء، رجاء كان رضي الله عنه صنع للمسلمين، إذ اختار لهم رجلا عرف منه التوبة والصدق وقدمه على كل بني أمية وحمل سليمان على تخطي بنيه ليجعل الأمر لعمر، قال رجاء: أناشدك الله أن يضطرب بالناس حبل! فعقر عمر ولم يستطع النهوض، فأخذ رجاء بضبعه وأصعده المنبر، فجلس عمر قليلا ثم وقف والناس على لهفة لما يقول، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم صلى على نبيه وقال: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم!.

«وكاد الناس يضطربون لما سمعوا، حتى قام رجل من الأنصار فقال: يا أمير المؤمنين، ذاك والله أسرع فيما يكره، ثم دنا من المنبر فقال: أبسط يدك أبايعك، وضج الناس بعد هذه المبايعة وقالوا: قد اخترناك ورضينا بك، قد أمرنا باليمن والبركة.

«فلما تمت البيعة خطب عمر وأعلن مبادءه ووجهته: قال: أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف، فاعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت، واحسنوا له الاستعداد قبل أن ينزل بكم، وإن من لا يذكر من آبائه، فيما بينه وبين آدم، أبا حيا لمغرق في الموت! وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدا باطلا، ولا أمنع أحدا حقا، ثم رفع صوته فقال: يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله، فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم.

«ولم يكتف عمر بهذا، بل وجه الى عماله: أيها الناس والله ما سألت الله هذا الأمر قط في سر ولا علانية، فمن كان كارها لشيء مما وليته فالآن!، وهكذا. أقال كل عامل يكره التعاون معه على المبادئ التي أوضحها في خطبة المبايعة»(10).

عمر بن عبد العزيز نموذج سلوكي فريد، لأنه حين تم استخلافه، استعاض عن «البيعة»

9 ـ نفس المرجع.

10 ـ نفس المرجع.

بالمبايعة، وهجر حياة «الترف» الى حياة «الاقتصاد»(11)، فقد «خرج عمر بن عبد العزيز بعد المبايعة وجمع الناس في المسجد، وقد نبذ حلله ووشيه، ورد لبيت المال كل ما كان لديه حتى حلي نسائه، فصعد المنبر فقال: «أيها الناس، إن هؤلاء (يعني من سبقه من الملوك) أعطوا عطايا ما كان للناس أن تأخذها، وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها، وإني قد رأيت ذلك ليس علي فيه دون الله محاسب. وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي، إقرأ يا مزاحم (وكان قد جمع سجلات الاقطاع التي في يد بني أمية). فجعل مزاحم يخرج سجلا ثم يقرأه، فيأخذه عمر وبيده الجلم (المقص) فيقطعه، فجاءه هشام بن عبد الملك يكلمه عن المروانيين ليرد لهم أملاكهم، فقال له عمر: يا هشام، أرأيت إن جئت بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك بأمر واحد، فبأي السجلين آخذ؟ فقال هشام: تأخذ بالأقدم! قال عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من آتاني ممن تحت يدي وفيما سبقني! . . . وكان رضي الله عنه صارما حازما فنشر العدل وآمن الخائفين وأخاف الظالمين وجمع إليه الرجال بعد أن قمع رؤوس الفتنة وطرد المرتزقة الديدان والجواري والولدان، نصر الله فنصره وثبت على الحق فثبت الله قدميه»(12).

رسالة «الاسلام أو الطوفان» لا تطرح بشكل قطعي إرادة التغيير من خارج النظام بل تؤمن بإمكانية التغيير من داخله من خلال الإحالة على تجربة «عمر بن عبد العزيز» أو ما أصبح معروفا في أدبيات «جماعة العدل والاحسان» بـ«التوبة العمرية»، فالجماعة حين تحدد موقفها من الجهاز الحاكم تقول: «ندعو بصراحة وصدق الى تطبيق شرع الله بدون تردد أو إبطاء، لأن الأمة عاشت قرونا تحت سلطة الحكام في بلاد المسلمين، وقد غلا بعض الحكام فاستمدوا قوانين لصالحهم جاروا بها على الناس، ولكنهم لم يجرؤوا على تعطيل الحكم بالشريعة الاسلامية في المعاملات والجنايات. . . وقد حان الوقت للعودة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة من شؤون حياتنا الدنيوية والأخروية، والدستور المغربي يؤكد أن الاسلام هو الدين الرسمي، غير أن هذا النص يفقد مدلوله إذ حل القانون الوضعي المستورد محل الشريعة والفقه الاسلاميين، والدولة الاسلامية هي التي لا تتحرج من تطبيق الاسلام دينا وشريعة ونظاما، ومثال عمر بن عبد العزيز الذي تغير حاله من الانغماس في ألوان الترف والبذخ إلى تعشق حياة الزهد والتقشف والقناعة بعد توليه مقاليد الخلافة، خير ما نطرحه أمام الحكام للتأسي والاقتداء به، والشبه بين واقع عمر بن عبد العزيز وواقع حكامنا ملحوظ»(13).

ترسم رسالة «الاسلام أو الطوفان» إمكانية التغيير من داخل النظام وبواسطته عبر مقولة

11 - راجع ما سنكتبه عن خصلة الاقتصاد، ضمن الخصال العشر في المبحث الثاني من الفصل الأول من القسم الثالث من هذه الدراسة.

12 - عبد السلام ياسين: الإسلام أو الطوفان. . م. س.

13 - جماعة العدل والاحسان: توضيحات، كراس داخلي.

«التوبة العمرية»، وفي غياب تحققها، تطرح «جماعة العدل والإحسان». نفسها كجماعة معارضة للسلطة، ولكنها لا تمارس أي معارضة، فـ «خطنا السياسي الواضح هو أننا لا نعارض حكام الجبر معارضة الأحزاب على مستوى تدبير المعاش والاقتصاد. (بل) الأمر أعمق وأخطر وأشد صرامة من مجرد المعارضة السياسية»(14).

ممارسة المعارضة من قبل «جماعة العدل والإحسان» ليست من أجل المعارضة، بل من أجل التغيير، وهنا يتساءل عبد السلام ياسين: هل التغيير من فوق أو من تحت؟(15)، ويجيب: «لكلا النظرين اعتبار، إذ ترقب الأفق البعيد ضرورة واقتحام معاقل الكفر واجب»(16)، غير أن لكل أسلوب نقائصه، فـ «من ينقض على السلطة دون أن تكون له قاعدة مجاهدة تبلغ حدا أدنى من الامتداد وقاعدة معنوية خلقية قوامها ثقة الشعب واستعداده، إنما يغامر بتجربة مآلها الفشل والاجهاض، مآلها الفشل عاجلا أو آجلا، كلا أو بعضا، ومن ينظر الى الأفق البعيد يوشك مع الزمان أن يسترخي ويكل الى الأجيال غير المسماة حمل عبئ كان الأحق أن يبادر هو إليه متى فتح الله»(17).

وفي محاولة لتجاوز هذه النقائص، يقول عبد السلام ياسين: «يخطئ في نظرنا من يتخذ من أحد طرفي المعادلة مبدئية ثابتة مغمضة العين الأخرى»(18)، وعليه فإن «الجمع بين المذهبين إنما يقدره أهل الزمان والمكان، إنما يرجح هذا الانتظار أو تلك المناجزة من هو داخل المعركة، يوازن ويحكم»(19).

ب ـ العلاقة بالأحزاب السياسية: «الأعرابية» الجديدة

تميز «جماعة العدل والاحسان» في علاقتها بالأحزاب السياسية بين مرحلتين: مرحلة ما قبل القومة ومرحلة ما بعدها.

أولا: مرحلة ما قبل القومة.

تقول الجماعة: «نقبل التعدد الحزبي لأنه مظهر من مظاهر الديمقراطية المقبولة لدينا مؤقتا في انتظار الحكم الاسلامي القريب بحول الله، للأحزاب الوطنية حق إبداء رأيها في حدود عدم التعرض للعقيدة الاسلامية، وندين كل مخططاتها ومؤامراتها واحتيالها على مصالح الأمة، ونتصدى لفضح شعاراتها الجوفاء الخداعة، ولا نتجنى عليها فيما تتخذه من مواقف

14 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. م. س. ص: 25.

15 ـ عبد السلام ياسين: حوار مع الفضلاء الديمقراطيين. م. س. ص: 109.

16 ـ نفس المرجع. ص: 110.

17 ـ نفس المرجع. ص: 110 - 111.

18 ـ نفس المرجع. ص: 110.

19 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

واضحة في إيقاظ شعور المواطنين وتبصيرهم بمشاكلهم الحقيقية، وجعل مصلحة الأمة فوق مصلحة الحزب إن قدر لها أن تتخذ مثل هذه المواقف، نقف بالمرصاد لكل الوصوليين والدجالين والمتاجرين بالسياسة والدين والمزايدين على شراء ضمائر المواطنين وضمهم لحسابهم الخاص أو لحساب من سخرهم لهذا الغرض الخسيس»(20).

ثانيا : مرحلة ما بعد القومة.

يتساءل عبد السلام ياسين: ما هو مصير الأحزاب المتعددة بعد القومة؟ ، أن نسمح لكل ناعق أن يستمر في نعيقه؟ أم نصمت الغربان؟، ويجيب : «إن العقلية النافذة والتدبير البعيد الغور يقتضيان منا أن نعمل على قول الله عز وجل «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة»(الأنفال: 42)، ذلك «إننا إن أوقفنا بعد القومة كل الأحزاب من غيرنا لا نربي بذلك الشعب، بل نعطي للخصوم فرصة ذهبية ليمكروا في الخفاء، ويترقبوا وقتا يبرزون فيه معارضة من تحت»، وعليه فـ«الوسيلة لإطفاء الفتيل وسحب المبادرة منهم هي أن نفسح المجال لكل مخالف، ونسمح له أن يقترح اقتراحاته حتى يفتضح، وأظن أن ماضي الأحزاب في بلادنا وحده كاف ليفضحها ويعيبها في عين الشعب عيبا لا تلافي له يوم يكتشف تحت مجهر القومة خستها وجرائمها، نترك كل زاعم يفضح نفسه بنفسه، وسيكون كل شعار غير إسلامي بعد القومة شعارا تمجه الأسماع وتنصرف عنه العقول والقلوب»(21).

لن يمنع الحكم الاسلامي الأحزاب السياسية، بل سيتركها تموت موتتها الطبيعية(22)، وهذه الموتة الطبيعية حتمية لعاملين:

العامل الأول : أن الأحزاب السياسية (اللائكية) قد شاخت في بلاد المسلمين «وأنهك سمعتها فعلات بنيها وتعاطيها للرشوة والكذب، ترشي الشعب بالوعود فتخلف، وتكذب فلا تصدق، وتتحمل الأمانة فتخون»(23).

العامل الثاني : أن الشعب سيحكم بنفسه «بعد أن تنزال عنه غشاوة الكذب والتمويه والدعاية الرسمية والحزبية من خلال مقارنته بين أوزار الأحزاب وضيق أفقها واستقامة الاسلاميين وسعة صدورهم»(24)، وعليه «فالمقاولات السياسية التي تسمى حزبا وحيدا أو أحزابا ديمقراطية آئلة في بلاد المسلمين الى خراب، ذلك لأننا حين نقول بالصدق والخلق

20- جماعة العدل والاحسان : توضيحات . . . م.س.

21 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي. . . م.س. ص : 414.

22 - نفس المرجع. نفس الصفحة.

23 - عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء الديمقراطيين . . . م.س. ص : 78.

24 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م.س. ص : 415.

وفعل الخير تقول هي وتفعل بالزبونية والمحسوبية والرشوة»(25)، إنها «تنطق كذبا وتبعث غبارا حماسيا وتبني على أرضية النفاق»(26).

إن الأحزاب السياسية وفي محاولة منها لإخفاء حقيقتها تتهم الاسلاميين برغبتهم في احتكار الإسلام، لكن «كيف يزعم السياسيون في بلادنا أنهم مسلمون والاسلام معطلة أحكامه، والطاعة فيه للطاغوت لا لله ورسوله، وبعضنا يتخذ بعضا أربابا من دون الله؟!»(27).

لا يخرج هذا الحكم الأحزاب السياسية من دائرة الإسلام بل هي داخلها، غير أن «كل مجتمع إسلامي قائم لابد أن تكون في هوامشه أعرابية قاعدية»(28)، والأعرابية صفة للأعراب تنطبق في مدلول القرآن والسنة على هؤلاء الذين «أسلموا ولم يهاجروا الى رسول الله (ص) ولا نصروه نصرة الأوس والخزرج رضي الله عنهم، فالأعراب في القرآن والحديث هم في مقابل المهاجرين والأنصار، قوم مسلمون في أطراف جماعة المسلمين سكنا وإيمانا، جماعة المسلمين هم المهاجرون والأنصار على عهد رسول الله (ص). . . ونقرأ سورة التوبة لنعلم أن الأعراب خليط من مسلمين صادقين وآخرين منافقين وآخرين قاعدين متخلفين وآخرين يخونون عهد الله : خليط»(29).

إن الأحزاب السياسية في بلاد المسلمين تجسيد لأعرابية «جديدة».

25 ـ عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء. . . م. س. ص : 108.

26 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 176.

27 ـ عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء . . . م. س. ص : 89.

28 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 375.

29 ـ نفس المرجع. ص : 39.

يقول عبد السلام ياسين :

«كنت حاورت واحدا من هؤلاء الفضلاء المناضلين تحت راية عمية لما علمت من حسن بلائه وتدينه، أستحثه أن لا يخرج من الدنيا وهو بين قوم الله يعلم ما في قلوبهم فرادى لكنهم يعلنونها يسارية ويقذفوننا بمارج من طلقاتهم على «الظلاميين المتطرفين الإرهابيين».

«وحاجني الرجل بأنه لأن يصبر في صف أولئك عاملا على بعث الايمان في القلوب خير من أن يقاطعهم، الآن أرى رأيه، وآمل أن يثبت كل مناضل مخلص لمبادئه جامع ذلك مع خشيته لربه في سربه ليحول حزبه الي منافستنا على الاسلام وإعلان ذلك، والالتزام العملي الفردي والحزبي بذلك، والعمل على «كسر احتكار» الاسلاميين للإسلام والدعوة به، فذلك عندي كفارة لمثله إن شاء الله عن تعايشه ـ وهو المسلم الصادق ـ مع أخلاط».

ـ حوار مع الفضلاء الديمقراطيين. . م. س. ص : 31.

2 ـ العلاقة بمكونات التناقض الثانوي

تحدد «جماعة العدل والإحسان» مكونات التناقض «الثانوي» في «الجماعات الاسلامية» من جهة، و «العلماء» من جهة أخرى.

أ ـ العلاقة بالجماعات الاسلامية: من الوحدة العضوية الى وحدة العمل

يتساءل عبد السلام ياسين: هل يجوز شرعا تعدد الجماعات الاسلامية؟ وبعد ملاحظته أنه في بعض الأقطار توجد جماعات متعددة، بعضها يسعى للجمع وبعضها قبل مبدأ التعدد، يجيب: «في كتاب الله عز وجل وحدة حزب الله(30)، وفي سيرة رسول الله (ص) وحدة المؤمنين المخاطبين بالقرآن» حيث كان «الحث على لزوم الجماعة من آكد وصاياه»(31).

إذا كان هذا هو المبدأ، فلماذا تأسست «جماعة العدل والاحسان» رغم أن الساحة تعج بكثير من الجماعات الاسلامية؟، تساؤل تطرحه الجماعة وتحاول الاجابة عليه: «إذا قيل: في الميدان جماعات كثيرة تدعو الى الله مسترشدة بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن تعدو جماعتكم أن تقلد جماعة سبقتها فتتبنى ما عندها، والعمل المكرور مهجور، أو تضربها بمزاحمتها ومنافستها، والإضرار بالمسلمين يأباه شرع الله وخلق المسلم لا يرضاه؟ فجوابنا:

أولا ـ «في الميدان جماعات قليلة تدعو الى الله بصدق وإخلاص بعد فهم ومراس، وإن بدا للرأي غير المتفحص أن عددها كثير، وبعض هذه الجماعات أغرق في التجريد والمثالية، فانعزل عن المجتمع أو كاد، لأن مشاكل المجتمع لاتعنيه، وغايته حسب زعمه أن يخلص نفسه، وبعضها غاص في أوحال السياسة فسخر الشرع والدين لخدمتها، فقصر عن اللحاق بالمحترفين من السياسيين وغفل عن تربية الاسلام وتعاليمه، مكتفيا بمقولات يرددها، أو نصوص يستشهد بها كلما ألجأته الضرورة السياسية إليها، فلا هو من المعدودين في السياسيين ولا هو من الساعين الى رضى الله، وهمه تصيد الرئاسة بأي ثمن...

ثانيا: «ربما أن الخلل ـ في نظرنا ـ يعتري هذه الجماعات، ولابد أن يكون لنا نصيب منه ولو أخذنا الحيطة، فقد حرصنا معتمدين على الله، الحرص كله على أن نتجنب ما وقع فيه إخوتنا من أخطاء، وما انزلقوا إليه من مواقف، وقد يرى فينا ما نراه في الناس، ولكن شاهد اللسان العمل: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

---

30 ـ قال الله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» (الحجرات: 9)، سماها طائفتين وأمر بالاصلاح، وأمر بعد ذلك بقتال الطائفة الباغية، أي الخارجة عن الجماعة حتى تفيء الى أمر الله».

ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 415.

31 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

ثالثا : «نتجنب الخوض في الجزئيات والخلافيات التي قرحت جسم الأمة ووسعت أعماق الجدل العقيم، ولم تجن منها إلا إحنا وعداوات وأحقادا : «فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» ولا نتصور لحظة - والواقع يؤيدنا والله يشهد على صدق نياتنا - أن يضر وجودنا وعملنا بجماعة تدعو الى الله جادة يقظة، ولسنا نسخة مكررة لجماعة من الجماعات القديمة أو الحديثة، في الداخل أو في الخارج، ولسنا مسؤولين عن أخطاء إخوتنا خارج جماعتنا، وليسوا مسؤولين عن أخطائنا : «قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون»، وليسوا تحت وصايتنا، ولسنا تحت وصايتهم بأي شكل من الأشكال، ولا يتنافى هذا التصريح مع حبنا لهم، فهم إخوتنا على كل حال، ومصير كلمتنا ومآلها أن تتوحد عاجلا أو آجلا بحول الله : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»(32)، «الاختلاف في الفروع ليس مبررا للتصادم والتباغض، ولا يختلط ما اتفقنا عليه من كليات بما اختلفنا فيه من فرعيات. . والاحتكام الى كتاب الله وسنة رسوله أمر واجب : «فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»، وآراء فقهاء الفروع القدامى والمحدثين وأحكامهم لا تلزمنا، لأن الكثير من مفاهيم الدعوة وأساليبها ليست في متناولهم، ولأن واقع الدعوة يختلف من قطر الى قطر، وما يناسب هذا البلد من اجتهادات قد لا يناسب البلد الآخر، وفتوى عالم أو فقيه في مسألة دعوية حركية، حتى ولو استوعب أقوال الطرفين غير ملزمة، لأن سلطته التقديرية محدودة»(33) .

رابعا : «نتجنب التصادم في القول والعمل مع إخوتنا العاملين في مختلف الجمعيات والجماعات الاسلامية، ولا نألو جهدا في النصح لهم بما يمليه علينا واجب الأخوة في الله، ولا نتردد في قبول نصحهم لنا بعد عرضه على ميزان الشرع، ولا حق لهم في مؤازرتنا إذا والوا من جهر بالعداء للاسلام والمسلمين، أو تواطأ مع من يكيد للإسلام والمسلمين عن وعي منهم أو عن غير وعي، وإذا أجمع الدعاة العاملون في القطر على تجريم جهة أو جهات معينة وتحميلها مغبة ما آل إليه حال الأمة من فساد خلقي وانحراف عقدي وتعفن سياسي وإداري، ثم أغمضت إحدى الجمعيات عينيها عن كل ذلك، وانتحلت شتى الأعذار والمبررات لتطبيع الانحراف وتكريسه، فإن الأخذ على أيدي أعضائها واجب ديني، ومثال السفينة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « . . . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» خير علاج لهذا الداء»(34) .

خامسا : «اختلاف الموقف السياسي بيننا وبين إخوتنا لا يستوجب كراهيتهم والحقد

32 - جماعة العدل والاحسان : توضيحات . . . م . س .

33 - نفس المرجع .

34 - نفس المرجع .

عليهم، غير أن موالاة الظلمة ظاهري الظلم والتماس الأعذار لأفعالهم الشنيعة، إن صدر من بعض الدعاة لسذاجتهم أو ضعفهم أو ميلا الى الذلة أو لأي سبب آخر. . . يوجب علينا أن نعلن موقفنا منهم بكل صراحة حتى لا نضار بجريرة أفعالهم الطائشة، لأن للحكمة حدودا وضوابط إذا تعدتها تحولت الى فجاجة ورعونة، وإقامة الحجة على المتساقطين المتهالكين، بعد تقويم النصح الأخوي لهم، أمر تمليه الأخوة الاسلامية في الله، وواجب تنقية الصف الاسلامي من عوامل الإحباط والتقهقر: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص»(35).

إنه جواب رغم طوله، يوضح موقف «جماعة العدل والإحسان» من تعددية الجماعات الاسلامية، ليس المطلوب جماعة عضوية (جماعة واحدة) بل المطلوب هو وحدة العمل المتمثلة في تكاثف جهود الجماعات الاسلامية لخدمة هدف واحد: إقامة شرع الله.

إذن ما لا يقبله الشرع هو «تعدد الجماعات التعدد العدائي» الذي من شأنه تمزيق كيان الأمة، التعدد الذي تكيد فيه «الجماعة الاسلامية للجماعة الاسلامية وتدس عليها وتنافسها بالبهتان والتزوير على أصوات الانتخاب كما تفعل الأحزاب العلمانية»(36)، المطلوب وحدة العمل بين الجماعات الاسلامية، ذلك «أن مراحل البناء تقتضي البدء بتأليف الجماعات الاسلامية القطرية تأليفا إن اقتضت الحكمة أن تتخلله تعددية تنويعية، فلا ينبغي شرعا ولا سياسيا أن تنغلق هذه الجماعات وتتحجر في كيانات متعادية، بل يقتضيها جميعا واجب الولاية العامة أن تتعاون على البر والتقوى وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى جمع الكلمة وعلى طرح الحزازات الشخصية وعلى دعم الدولة الاسلامية وشد أركانها والتضحية لها بعد قيامها ليكون تعدد الرأي اجتهادا خالصا لله عز وجل تمسكه التقوى على التفلت الى المنازعات العصبية المشتتة، فإنما هي أمة واحدة»(37).

ووحدة العمل في مرحلة التجديد وبناء الأمة تتطلب «أن يكون مطمح المؤمنين العاملين للإسلام المخاطبين بالقرآن تقريب الشقة بين الجماعات المتعددة حتى يستقر الأمر على صيغة تنظيمية يمكن في إطارها التعاون على البر والتقوى وإعطاء الولاية المفروضة شرعا بين المؤمنين حقها. وقد يكون في هذه الصيغة النهائية تعددية تنظيمية يتنوع بينها الرأي ويثمر الاجتهاد وتكتسب المناصحة بين المؤمنين المستقلين في الإجتهاد والحركة شفافية وجدية ويقظة لا تتأتى مع وحدة التنظيم وغلظ الكتلة الواحدة»(38).

إن جماعة العدل والاحسان لا تركز كثيرا على الوحدة العضوية، وذلك بتذويب

35 ـ نفس المرجع.
36 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . م.س. ص: 415
37 ـ نفس المرجع. ص: 417
38 ـ نفس المرجع. ص: 416

الجماعات الاسلامية العاملة في جماعة واحدة، وإن كان هذا مطمحها، بقدر ما تشدد على وحدة العمل بين الجماعات، وفي هذا السياق، تدعو راهنا الى إنشاء «رابطة» تضم الجماعات الاسلامية الفاعلة اضافة الى بعض الشخصيات الاسلامية البارزة بهدف تنسيق الجهود والرؤى»(39)

ب ـ العلاقة بالعلماء : الدعوة الى فك الارتباط بالسلطة

تقول «جماعة العدل والاحسان» محددة علاقتها بالعلماء : «لو أخلصوا النيات، وصدقوا الله لتخلصوا من الخوف الوهمي الذي يشل حركتهم، ومن سلطان النفعية الذي حرف عليهم ومسخ شخصياتهم، فاصطبغت بكل لون إلا لون الصدق والحقيقة، سايروا النظام وسكتوا عن تعطيل الحكم بالشريعة الاسلامية، وركنوا الى الدنيا وفسخوا عهدهم مع الله، وتنكروا لتعاليم الاسلام الصحيحة، فأصبح عملهم حجة عليهم، وبدلا من أن يمثلوا المعارضة الاسلامية ويصدعوا بالحق ويفوزوا بثقة الجماهير ورضى الله، انكمشوا على أنفسهم وغرقوا في الفروع، أو تصنعوا الغرق فيها لصرف وعي الشعب عما يفعل به ويبيت له، وتمادوا في التمثيل حتى خيل إليهم أن ما يفعلونه عين الصواب، ويوم يستردون عهدهم مع الله، ويسعون جادين الى إحقاق الحق وإبطال الباطل قولا وفعلا وموقفا، سيجدون من الجماهير المتعطشة للإسلام خير معين ومساعد، وليس هذا ضربا مـن المستحيل»(40).

دعوة واضحة الى العلماء توجهها «جماعة العدل والاحسان» لفك ارتباطهم بسلطة الفتنة، وفك الارتباط هذا له مدخلان :

المدخل الأول : الجرأة في الجهر بالحق، وتحرص رسالة «الاسلام أو الطوفان» على تقديم نموذج معبر يمثله الفقيه أبو حازم في حديثه مع سليمان بن عبد الملك :

«قال سليمان : كيف القدوم على الله يا أبا حازم؟

ـ «أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه»، فبكى سليمان ثم قال : ليت شعري مالي عند الله؟

ـ أعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال : إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم»، قال سليمان : فأين رحمة الله؟

ـ «قريب من المحسنين»، قال سليمان : يا أبا حازم، أي عباد الله أكرم؟

ـ «أهل البر والتقوى»، فأي الأعمال أفضل؟

39 ـ يستخلص من حديث أجريته بمنزلي في شهر مارس 1995 مع عضوي مجلس إرشاد جماعة العدل والاحسان السيدين محمد بشيري وفتح الله أرسلان.

40 ـ جماعة العدل والاحسان : توضيحات . . م. س.

ـ «أداء الفرائض مع اجتناب المحارم»، فأي الكلام أسمع؟

ـ «قول الحق عند من تخاف وترجوه»، ما تقول فيما نحن فيه؟

ـ «أو تعفيني»! ، لابد فإنها نصيحة تلقيها إلي.

ـ إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم! قال رجل من الجالسين: بئسما قلت!، فقال أبو حازم:

ـ أسكت، فإن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه»(41).

المدخل الثاني: نبذ حياة الترف، فقد «كان علماؤنا الأجلاء أحلاس مساجد، يجالسون المسلمين ويشاركونهم معاشهم وقلة ذات يدهم ويعظون ويعلمون، أما اليوم، فأصبح العلم مقننا مضبوطا بالشواهد والأوراق، وأصبح حامل الأسفار موظفا تغذوه الدولة وترعاه وتزيده العلاوات والرتب، لا جرم أن ينقطع العالم بعد أن سكن الفيلات وعمر العمارات وأنشأ الشركات عن الأمة المستضعفة المسكينة، لا جرم أن تتكون لديه عقلية جديدة لها الهيمنة على حياته كلها، فإن تكلم فدفاعا عن أمواله وتبريرا الحكم يضمنها، وإن ألف جمعية فلا تكون إلا نقابة تدافع عن الحقوق ولا تتحدث عن الواجبات، وفي فيلات العلماء ينشأ الانحلال على نسق كل الفيلات، فما يدري عالمنا المسكين كيف يجد مخرجا من الحال التي تضطرب به»(42).

وتشخيصا لهذا الواقع، يخاطب عبد السلام ياسين العلماء قائلا: «ها أنتم معاشر السادة الأفاضل آثرتم وثير الفرش ومجالس المترفين على منابركم الفارغة في المساجد إلا من موظفي الوعظ الذين يكادون يكتمون ما يعتلج في صدورهم من مرارة يحولونها صرخات على أهل البدع الصغيرة لما لم يجدوا سبيلا لفضح الضلالات الكبيرة»(43).

ويوم يفك العلماء ارتباطهم بسلطة الفتنة عبر مدخلي الجهر بكلمة الحق ونبذ حياة الترف، حيث «يرجعون الى الله ورسوله، يأتمرون بآيات الجهاد ويكفون عن تبرير الأمر الواقع»(44)، آنذاك، سيشكلون «المحضن الذي تنتظر أن تأوي الى دفئ إيمانه الفلول الوافدة الى الاسلام»(45).

---

41 ـ عبد السلام ياسين: الاسلام أو الطوفان... م.س.

42ـ المرجع السابق.

43ـ عبدالسلام ياسين: افتتاحية واستفتاح. مجلة الجماعة. العدد الأول.. م.س. ص: 12.

44 ـ عبد السلام ياسين ـ المنهاج النبوي... م.س. ص: 271.

45 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

II - العلاقة بالذات

خطاب محددات الصيرورة لا يتبلور فقط على صعيد تحديد العلاقة بالآخر، بل يطال كذلك صعيد تحديد العلاقة بالذات، هذا التحديد يتأسس على مستويين: المستوى «السياسي» والمستوى «الايديولوجي».

1 - المستوى السياسي: علنية الممارسة

إذا كانت بعض الجماعات الاسلامية تعتمد مبدأ «علنية الدعوة وسرية التنظيم»، فإن «جماعة العدل والاحسان» تعتمد مبدأ علنية الممارسة دعوة وتنظيما، وهو ما يتجلى عبر نبذها لمبدإ السرية وقبولها بالمشاركة السياسية.

أ- نبذ مبدأ السرية

تنبذ «جماعة العدل والاحسان» مبدأ السرية استنادا الى ثلاثة اعتبارات:

الأول «شرعي» والثاني «سياسي» والثالث «تنظيمي».

أولا: الاعتبار الشرعي / الجهر بالدعوة

الجهر بالدعوة واجب شرعي، و«إيثار العافية والسكوت الأخرس عن الحق لم تكن من شيم الرسل»(46)، ممارسة هذا الواجب تنبني على أربعة ضوابط:

الضابط الأول: ضرورة مراعاة توازن القوى وإلا أصبحت تهورا(47).

الضابط الثاني: عدم المبالغة في التخوف، الأمر الذي قد يبرر القعود(48).

---

46 - «نوح عليه السلم قال لقومه: «فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم أقضوا إلي ولا تنظرون».

وقال هود عليه السلام لقومه: «فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون»

وقال شعيب لقومه: «ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب، وارتقبوا إني معكم رقيب»

وقال أنبياء الله مثل ذلك

وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار» (الأنعام/ 135)، فنزل صلى الله عليه وسلم الى بطحاء مكة وأعلن أن لا إله إلا الله، وسفه الطاغوت، وأوذي، وعزاه الله عز وجل بقوله: «ولقد كذبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا حتى أتاهم نصرنا» (الأنعام/ 134). أنظر:

- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . م. س. ص: 21-22

47 - نفس المرجع. ص: 22

48 - نفس المرجع. نفس الصفحة

الضابط الثالث : ضرورة التمييز بين أسلوب الجهر بالدعوة وأسلوب الانفضاح(49).

الضابط الرابع : استعداد لدفع الثمن : الموت في سبيل الله(50).

ثانيا : الاعتبار السياسي/ التعريف بالمشروع الإسلامي

من واجب المسلم أن يعرف بالمشروع الاسلامي وما يرمي إليه من قيام دولة إسلامية، خاصة وأن الأحزاب السياسية العلمانية في بلاد المسلمين تحرص على التعريف بتصوراتها وتعلن إرادتها بهدف إقامة دولتها العلمانية، «أفنكون نحن أخس همة وأبلد فكرا، ونحن المسلمون والبلاد مسلمة والشعوب مسلمة(51) »

ثالثا : الاعتبار التنظيمي/ محاربة الهامشية والانحراف

يفضي اعتماد مبدأ السرية تنظيميا الى الانكفاء والهامشية، فقد «ود أعداء الاسلام والكائدون له من بني جلدتنا أن ينكفئ الاسلاميون من ميادين الفكر المتفاعل في ميدان الصراع الثقافي الى منظومات أفكار مبرمجة متوقفة عن النمو... نحن أحوج ما نكون ليعرف كل مؤمن منا معايير التربية الايمانية وطرائق تجديد الايمان... وعلم تنظيم جند الله»(52).

كما أن اعتماد مبدأ السرية يفضي الى الانحراف، فـ «يضمر الفكر في غلس التخفي فينحرف العمل في الضالات الحركية»(53).

لقد أثار اعتماد علنية التنظيم من قبل «جماعة العدل والإحسان» ردود فعل من قبل بعض الاسلاميين(54)، غير أن عبد السلام ياسين كان واضحا : «إننا نميز بين التنظيم السري وأسرار

---

49 ـ «الجهر (بالدعوة) لا يرادف الانفضاح أو الفضح، نصدع بما أمرنا ونعرض عن المشركين والمغرضين، ونسر ما تدعو الحكمة والمصلحة الدعوية الشرعية الى إسراره وكتمانه». أنظر :

ـ جماعة العدل والاحسان : توضيحات. كراس داخلي. مذكور في :

ـ محمد ضريف : الاسلام السياسي بالمغرب... م.س. ص : 330

50 ـ «فلعل مجاهدا مثل سيد قطب رحمه الله كانت شهادته في سبيل الله أكبر مساهمة في دفع قضية المسلمين الى النصر بفضل نعمة الله عليه بذلك الموقف الاستشهادي، كان يقول رحمه الله ما معناه : «أعمالنا دمى لا تسري فيها الحياة إلا بدمائنا».

ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م.س. ص : 22

51 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

52 ـ نفس المرجع. ص : 1

53 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

54 ـ «إن أوضاع الديمقراطيين المزيفة غير مأمونة أبدا خاصة مع ما يعرفه العالم الاسلامي عامة وشمال غرب إفريقيا خاصة. وإننا قوم لا نضع أقدامنا إلا حيث لا تزل بحول الله، ولا نضع أيدينا إلا

التنظيم، التنظيم السري ما كان انضباطه قوة عنف متسلل ضارب، والتكتم استعانة ضرورية على أمور التنظيم وطبيعة مفروغ منها وسنية مفروغ من سنيتها»(55)

ب ـ القبول بالمشاركة السياسية

تجسيدا لنبذ مبدأ السرية، تقبل «جماعة العدل والاحسان» بمبدأ المشاركة السياسية، ويندرج هذا القبول ضمن ما ينبغي أن تتسم به الجماعة من مرونة سياسية(56)، إضافة الى أن هذا القبول له ما يؤصله في التجربة النبوية (57) وفي العمل الإسلامي المعاصر(58).

حيث لا نلدغ. . . وقد أوذينا شر إيذاء دون أن تعرف كافة فصائلنا ـ إن صحت التسمية ـ فكيف إذا عرف الكل من طرف ذئاب كارتير وبريجنيف الجائعة؟، إننا لا نخشى أحدا إلا الله، ولكننا أمرنا بتتبع الحكمة ونشدانها ومعرفة أساليب الحرب والتواءاتها، واجتناب ما وقع فيه إخواننا الأشاوش هنا وهناك.

«إنني أحسب ما يسمى بالعمل العلني مرحلة طبيعية تابعة لمرحلة سابقة. . وما دامت المرحلة السابقة لم تكتمل شروط نضجها وأسباب فرض نفسها علنا، فإنه يصبح من السابق لأوانه المطالبة بوضع حمل في شهره السادس أو السابع أو حتى الثامن.

«إننا إذا خرجنا الى «العمل السياسي» بدون الرجال «الأرقميين»، فلن نكون أبرع من حزب سياسي معروف في بلادنا، لم يعد له من الاسلام إلا حديث مؤتمرات صحفية، وصفحة أسبوعية تهتم بسبعمائة مليون مسلم في الوقت الذي تنشر فيه الى جانب تلك الصفحة الاشهار للأبناك الربوية والسهرات الراقصة ونجوم الموضة والفن وأفلام الحب والعنف وتحليلات السقوط والإسقاط. . الخ.

«إن المرحلة «الأرقمية» يجب أن تكون بعيدة عن الأضواء المتربصة، قريبة الى التشاور والتزاور والتفاهم والتحابب ومجالس الذكر والفكر والتخصص والاستكمال المنهجي لمناطق الفراغ والنقص».

أنظر:

ـ أحمد البدوي: ضرورة مرحلة المحاضن الأرقمية. مجلة الجماعة. العدد السادس. م.س. . . ص: 90-91

55 ـ رد عبد السلام ياسين على عبد العزيز شهيد. مجلة الجماعة. العدد الرابع. م.س. ص: 97.

56 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . . م.س. ص: 27

57 ـ يتساءل عبد السلام ياسين حول موقف الشريعة الاسلامية من قبول مبدأ المشاركة السياسية. فيقول: «الجواب نقرأه في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قبل صلح الحديبية مع قريش بعد أن عقد معاهدة مع اليهود أوائل مقدمه الى المدينة».

ـ المرجع السابق. ص: 413

58 ـ يحيل عبد السلام ياسين على تجربتين: تجربة أبي الأعلى المودودي وتجربة حسن البنا.

يقول بصدد التجربة الأولى حيث سبق المودودي الى ذلك حين رأى ضرورة مساهمة المسلمين في اللعبة الديمقراطية، فخطه «يتيح للمسلمين أن يعرفوا بقضيتهم وحلهم لمشاكل الأمة في وضح النهار، ولوجود هذا الوضوح، يتهيأ للمسلمين أن يقارعوا الحجة بالحجة ويبلغوا للناس رسالتهم من منابر

ليس القبول بالمشاركة السياسية غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق مجموعة من الأهداف منها:

أولا: دفع السلطة ونخبتها الى الافتضاح أمام الشعب(59)، وذلك بكشف الطبيعة المزيفة للدعوة الديمقراطية المرفوعة من قبلها(60).

ثانيا: محاولة لاختراق الحصار، ذلك «أن خرق جدران الحصار الإرهابي منه والقانوني تحت أنظمة تعلن أنها ديمقراطية وأن نظامها مبني على الحريات العامة، لا يتأتى لنا ونحن في فترة الاعداد إلا بالدخول في المعمعة التعددية والانتخابية»(61).

ثالثا: أداة لكسب الرأي العام حيث إن هناك «مزية أخرى للدخول في الانتخاب وولوج ذلك الباب هي مزاحمة غيرنا على كسب الرأي العام. والاستفادة من التسهيلات الرسمية في التحرك، هي مزية التضييق على الاسلام الرسمي وإسلام الأحزاب السياسية»(62)

البرلمان والتجمعات والمناصب الانتخابية».

ـ المرجع السابق. ص: 27

وبصدد التجربة الثانية، يقول: «ومن يقرأ جهاد الشيخ الامام حسن البنا في مراحله وبالتفصيل يكتشف نموذجا حيا لمكايدة الحكم والأحزاب ومراوغتها، فقد كان رحمه الله يظهر الميل ذات الحكم وذات الأحزاب والمعارضة بحسب الظروف والمرحلة، وبمرونته رحمه الله، استطاع أن يقود السفينة زمانا».

ـ المرجع السابق. ص: 414

59 ـ «إن اضطررنا الى الدخول في مرحلة ما من تنافس ديمقراطي تحت مظلتهم (الأحزاب السياسية ـ الحركات القومية والجهوية القبلية)، فإنما نفعل ليفتضح أمام الشعب تهافتهم وأنانيتهم واستكبارهم ليعلم المسلمون بالتجربة أن حزب الله وحده القادر بتأييد الله على سوق الخير للأمة وعلى تحريرها من التيار الذي يجرفها الى المصير المكروه».

ـ المرجع السابق. ص: 269

60 ـ «ثم إن قبولنا بالمشاركة في «اللعبة الديمقراطية» من شأنه أن يكشف زيف الدعوى الديمقراطية وهذا ما حدث في تونس لما قام إخواننا هناك بإعلان نيتهم بالدخول في المعركة الانتخابية وطالبوا بحقهم في تكوين حزب، كان رد الحكم الجبري أن كل التوانسة مسلمون وأن السماح بتكوين حزب اسلامي يعني القدح في اسلامية الدولة».

ـ المرجع السابق. ص: 412 - 413

وهو ما حدث كذلك في الجزائر. أنظر:

ـ عبد السلام ياسين: حوار مع الفضلاء الديمقراطيين... م.س. ص: 68

61 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي.... م.س. ص: 412

62ـ نفس المرجع. ص: 413

إن القبول بمبدأ المشاركة السياسية يحيل على مسألة المشروعية، وجماعة العدل والاحسان وإن كانت تطالب بالمشروعية الديمقراطية فإنها تؤكد أن الاسلام له مشروعيته الخاصة. (63) هذا التأكيد يحكمه وعي «الجماعة» بأنها إذا رغبت في الحصول على «الشرعية» عليها أن تتحول الى «حزب سياسي» أو «جمعية ذات صبغة سياسية»، «جماعة العدل والاحسان» تقبل هذا التحول على مستوى «الشكل»، أما على مستوى «الجوهر»، فإنها تستحضر الفارق بين طبيعة عملها وطبيعة عمل الأحزاب القائمة.

حقيقة أن «الجهاد الاسلامي يشترك مع النضال الحزبي في التدافع بوسائل الأرض الفكرية والعضلية والعلمية والمادية والتنظمية»(64)، غير أن هناك تمايزات بينهما، فـ«العمل الحزبي السياسي هو في أقوى أشكاله انضباط حديدي على فكر موحد وقيادة مطاعة (هو) انتماء سياسي مصلحي حركي لا علاقة له بالعقيدة والخلق والمعاني السماوية، حركة أرضية نضالية مصلحية»(65) أما العمل الاسلامي الجهادي فهو «التزام كلي بأمر الله وأمر رسوله وبمحبتهما ومحبة المؤمنين، وبتلقي تربية شاملة تعيد صياغة الشخصية روحيا وفكريا وعمليا وبالانتظام الجهادي بالشورى والطاعة»(66)، بل إن العمل الاسلامي الجهادي يتفوق على العمل الحزبي السياسي «بنصر الله الموعود وشروطه، التوحيد للـه عـز وجـل والاجتماع عليه والإقبال على فضله والالتزام بشرعه»(67)

2 ـ المستوى الايديولوجي: رفض فكرة المفاصلة

إذا كانت «جماعة العدل والاحسان» تؤمن بعلنية الممارسة وما يترتب عليها من نبذ لمبدأ السرية وقبول بالمشاركة السياسية، فذلك، لكونها على المستوى الايديولوجي، ترفض فكرة المفاصلة وما يترتب عليها من تكفير للناس ولجوء الى العنف.

أ ـ استبعاد مبدأ التكفير

أسالت مسألة تكفير المسلمين من قبل بعض الجماعات الاسلامية كثيرا من المداد والدماء، فما هي أصول هذا المبدأ؟ وما هي القواعد التي اعتمدتها بعض الجماعات لتكفير الناس؟ وما هو موقف«جماعة العدل والإحسان»؟.

أولا: أصول المبدأ

هناك إجـمـاع على كـون أبي الأعلى المودودي أول من اسـتـخـدم المبـدأ في إطار العـمل

63 ـ نفس المرجع. ص: 27
64 ـ نفس المرجع. ص: 169-170
65 ـ نفس المرجع. ص: 169
66 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة
67 ـ نفس المرجع. ص: 170

الاسلامي المعاصر(68)، وكان منسجما مع بنيته الفكرية، فمادام قد اعتمد أطروحة جاهلية المجتمع(69)، فإنها تتضمن مقولة التكفير: «إن دين الله قد رزئ وغلب على أمره بيد الكفر وأهله، وإن حدود الله ما انتهكت واعتدي عليها فحسب، بل إنها تكاد تنعدم من الوجود لأجل غلبة الكفر، وإن شريعة الله قد أهملت ونبذت وراء الظهور لا عملا فقط، بل بموجب القانون أيضا، وأن أرض الله قد اعتلت فيها كلمة أعداء الله(70).

هذا الواقع يترتب عليه تكفير المجتمعات الاسلامية، «فلعمر الحق، لا يمكن لإنسان - ما لم يكن مصابا في عقله - أن يتصور كون أحد من المجتمعات في الدنيا إسلاميا على الرغم من اختياره منهاجا غير منهاج الاسلام لحياته. . فليس ثمة سبب لنطلق عليه كلمة المجتمع الاسلامي أبدا»(71).

ينسحب التكفير على المجتمعات وكذلك على الأفراد، «فمن أظهر الرضا والطاعة لحكم الشريعة إذا كان موافقا لما يريد ورفضه إذا كان مخالفا لهواه، وآثر على الشريعة القوانين الأخرى الرائجة في العالم، فليس بمؤمن، بل هو منافق وكاذب في دعواه الايمان، لأنه لا يؤمن بالله والرسول، وإنما يؤمن بهواه، وهو وإن كان يؤمن بجزء من أجزاء الشريعة بهذا السلوك العجيب فإن إيمانه لا قيمة له أصلا عند الله تعالى»(72)، بل «إن في المسلمين أنفسهم - دع عنك غير المسلمين - تسعا وتسعين في المائة بل أكثر من ذلك يدعون أنفسهم «مسلمين» ويعبرون عن دينهم بكلمة «الاسلام»، ولكنهم لا يعلمون ما هو «المسلم» وما هو المفهوم الحقيقي لكلمة الاسلام»(73) ومرد هذا التكفير يكمن في «أنه لا يمكن الفصل بين الفروع الدينية والدنيوية، فالحياة الدنيوية بأكملها حياة دينية. . ابتداء من العقائد والعبادات حتى أصول وفروع الحضارة والمجتمع والسياسة والاقتصاد»(74)، فإذا «سلكت في قضاياك السياسية والاقتصادية مسلكا يتفق وخطة أخرى غير خطة الاسلام المحكمة، فإن صنيعك هذا يعتبر ارتدادا جزئيا يفضي بك الى ارتداد كلي»(75).

68 - في التاريخ الاسلامي، كان «الخوارج» أول من اعتمد مبدأ التكفير.
69 - راجع ما كتبناه في الفصل الأول من القسم الأول من هذه الدراسة.
70 - أبو الأعلى المودودي: الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية. ص: 72
71 - أبو الأعلى المودودي: القانون الاسلامي وطرق تنفيذه بيروت. 1957. ص: 154-153.
72 - أبو الأعلى المودودي: تفسير سورة النور. القاهرة. بدون تاريخ ص 207.
73 - أبو الأعلى المودودي: المفهوم الحقيقي لكلمة المسلم. شركة السلام العالمية. القاهرة 1980. ص: 7.
74 - أبو الأعلى المودودي: المسلمون والصراع السياسي الراهن. ترجمة عبد الحميد ابراهيم. القاهرة 1981. ص 79.
75 - أبو الأعلى المودودي: الحكومة الاسلامية. ترجمة أحمد إدريس. القاهرة. 1977 ص: 14

إن أفكار «أبي الأعلى المودودي» سيتبناها «سيد قطب» لتشكل جوهر كتابه : «معالم في الطريق»(76)، وانطلاقا منها ظهرت جماعات اسلامية تعتمد أطروحة «الجاهلية» وترفع مبدأ التكفير، وإن تباينت في تحديد دائرته، فمنها من شددت على تكفير السلطة والمجتمع كجماعة التكفير والهجرة. . ومنها من اكتفت بتكفير السلطة ليس إلا:(77).

ثانيا : قواعد التكفير

ما هي القواعد التي اعتمدها بعض «الاسلاميين» لتكفير الناس؟

يقول صالح سرية زعيم تنظيم الفنية العسكرية :

«القواعد التي اعتمدنا عليها. . لتكفير الناس ثلاث هي :

«1 ـ **القاعدة الأولى** : إن الايمان بالله يقتضي بأنه وحده الذي يرسم منهاج الناس وشرائعهم، وعلى البشر أن يسيروا وفق ما شرع الله، وإلا فهم كفار، فمن رفض هذه القواعد فهو كافر، وكل من نصب نفسه للتشريع أو رسم منهاجا للحياة فقد نصب نفسه إلها، ومن رضي بهذه التشريعات أو المناهج فقد عبد ربا غير الله، فأصبح كافرا كذا قطعيا، إذ جعلها بديلا لمنهج الله وشريعته أو مشركا إذا بجزء من شريعة الله ومنهاجه وبجزء آخر من شريعة أو منهج غير منهج الله و شريعته»(78)

«2 ـ **القاعدة الثانية** : إن الاسلام كل متكامل من آمن ببعضه وترك البعض الآخر فهو كافر به، ولا خلاف أن من أنكر آية واحدة من القرآن فهو كافر، فكيف بمن ترك مبدأ كاملا من الاسلام أو شطرا كبيرا منه فهو كافر لاشك فيه، وهذه قضية مع وضوحها وضوح الشمس وظهورها وعدم الاختلاف فيها، مدار نقاش لدى كبار العلماء المعاصرين، ولا خلاف في أن الاسلام هو ما ورد في الكتاب والسنة، فالذي يقرأ القرآن لأول وهلة يرى أنه لم يقتصر على العقائد أو الشعائر فقط بمعناها المتداول، وإنما تدخل في شؤون الحياة المختلفة التشريعية والقضائية والاقتصادية والسياسية وغيرها. . . والقرآن كله كلام الله وكله ملزم، فمن أراد برأيه أن يقتصر الاسلام على العقيدة أو الشعائر أو الأخلاق فقد كفر بالاسلام كله، لأننا إذا قطعنا رأس انسان لا نقول إن الباقي تسعة أعشار انسان، لا، وكذلك إذا قطعنا قلبه، أو رئتيه أو أمعاءه، ونفس هذه الحالة موت له كله مع أننا لم نأخذ منه إلا جزءا يسيرا، كذلك فالاسلام جسم واحد، من كفر بجزء منه كفر به كله، ولا خلاف في ذلك ـ كما قلت ـ ولهذا كفرنا من قصر الاسلام على العبادة وأعطى الحرية لنفسه لأن يختار النظام الذي يريده للحياة

76ـ لمزيد من المعطيات، أنظر :
محمد ضريف : الإسلام السياسي في الوطن العربي . . م.س. ص : 102-110

77ـ المرجع السابق. ص : 111-134

78ـ صالح سرية : رسالة الايمان. وثيقة. 1973

أو حارب تدخل الاسلام في السياسة»(79).

«3 ـ **القاعدة الثالثة** : إننا نحكم على الإيمان بثلاثة أركان كما يقول السلف، (الإقرار بالجنان والتكلم باللسان والعمل بالأركان) فإن اختل ركن واحد من هذه الأركان حكمنا بالكفر، ومع أنه لم يكن هناك خلاف بين السلف في ذلك، إلا أننا نجد المتأخرين يغفلون عن هذه القاعدة ويقصرون التكفير على الاعتقاد فقط أو الكلام معه أحيانا، ولكنهم يهملون جانب العمل إهمالا كاملا، في حين إننا نخالفهم في ذلك على طول الخط، فالعمل عندنا هو الأساس، في حين أننا نخالفهم بموجبه، أما الاعتقاد فلا نستطيع أن نعلمه، إنه بين الانسان وربه والله يحاسبه يوم القيامة، نحن هنا كالحاكم يحكم بموجب الأدلة وليس على حقيقة الموافقة لأنه لا يعرفها، والقاضي في هذه الحالة غير آثم لكن الله تعالى يوم القيامة يقضي وفق الحقيقة»(80).

ويجمل أحد الباحثين قواعد التكفير التي اعتمدتها بعض الجماعات الاسلامية في سبع :

ـ **القاعدة الأولى** : «لما نزل القرآن الكريم على العرب كان كل من العرب الجاهليين يفهم معاني الإله والرب والعبادة والدين لأن هذا الكلام كان يستعمل لديهم قبل نزول القرآن، ولذلك كانوا يحيطون علما بجميع المعاني التي تعنيها هذه المصطلحات، ولذلك كانوا إذا نطقوا بالشهادتين أو إذا نطق أحدهم بالشهادتين يدرك ما دعي إليه تماما وظهر له من غير لبس ولا إبهام معاني الشهادتين ومدلولهما ومقتضاها، وكذلك من لم ينطق بالشهادتين، فإنه كما يزعمون لم ينطق بهما لأنه يعرف معناهما ومقتضاهما (فهو أي من لم يؤمن) يعرف ويعلم أن الشهادتين ليست كلمة تقال وكفى، ولكنه كان يعلم تماما أنه سوف ينتقل بالنطق بهما من كيان الى كيان، ومن حال الى حال، ومن رئيس في مجتمع جاهلي الى فرد عادي في المجتمع المسلم، وبالتالي فهو يرفض النطق بالشهادتين لأنه يفهم معناهما ومقتضاهما، فالمسلم والمؤمن آمن على بينة وبصيرة، والكافر والمشرك كفر وأشرك على بينة أيضا وإصرار. ولكن المسلمين في هذه الأيام تبدلت لديهم المعاني الأصلية لجميع تلك الكلمات، تلك المعاني التي كانت شائعة بين القوم عند نزول القرآن حتى أخذت تضيق كل كلمة من تلك الكلمات الأربع : الإله ـ الرب ـ العبادة ـ الدين. لما كانت تتسع له وتحيط به من قبل وعادت تنحصر في معاني ضيقة ومحدودة وغامضة وغير واضحة وذلك لسببين :

ـ قلة الذوق العربي السليم ونضوب معين العربية الخالصة في العصور المتأخرة.

ـ أن الذين ولدوا في المجتمع الاسلامي ونشأوا فيه لم يكن قد بقي لهم من معاني هذه الكلمات ما كان شائعا في المجتمع الجاهلي وقت نزول القرآن، والنتيجة أنه أصبح المسلمون

---

79 ـ نفس المرجع.

80 ـ نفس المرجع.

كلهم اليوم يتلفظون بالشهادتين وهم يجهلون معناهما ومقتضاهما، وإذا قرأوا القرآن جهلوا تماما ما يدعوهم إليه القرآن لنبدل معاني كلمات الإله والرب والعبادة والدين لديهم، ومن ثم فكيف يعتد بإسلامهم وكيف نعتبر هذا الكلام الذي يرددونه ولا يفهمون معناه ولا مقتضاه يثبت عقد الاسلام لهم، وبناء على ما سبق فترديد ألفاظ الشهادتين أو النطق بهما لا يكفي اليوم لإثبات عقد الاسلام للناطق بهما»(81).

القاعدة الثانية : «إن رسول الله(ص) والصحابة والتابعين لهم بإحسان كانوا يقبلون إسلام الناطق بالشهادتين فور التلفظ بهما، لأنه حين ينطق بالشهادتين كان يجد الكيان المسلم، الجماعة المسلمة التي يدخل فيها ويعطيها ولاءه ويبرأ من الكيان المشرك ويهاجر من بين ظهرانيهم الى المجتمع المسلم مهما كلفه ذلك من أعباء، كما أن هذا الكيان المسلم الذي يتكون من الجماعة المسلمة والحاكم المسلم، الحاكم بما أنزل الله تعالى والأرض التي يعيش عليها، هذا الكيان كان لا يقبل ممن نطق بالشهادتين أن يبقى على حاله الذي هو عليه قبل النطق بالشهادتين، مما يدل على أن النطق بالشهادتين وحده لا يكفي لإسلام المرء، ولكن اقتران النطق بالشهادتين بالعمل وهو الهجرة من بين ظهراني المجتمع المشترك والبراء منه الى المجتمع المسلم وإعطائه الولاء، كان هذا الاقتران أي اقتران الشهادة بالعمل هو السبب في قبول الرسول(ص) والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم إسلام الناطق بالشهادتين فور التلفظ بهما. أما اليوم فالمرء إذا نطق بالشهادتين، فإنه لا يجد المجتمع المسلم (الكيان الذي يعيش فيه ويعطيه ولاءه) كما يبقى على حالة من العيش بين ظهراني المجتمع الجاهلي ولا يبرأ منه، فكيف يعتد بشهادة هذا المرء الناطق بها مع بقائه على ما هو عليه، وهكذا يبطل النطق بالشهادتين مادام باق على ما هو عليه»(82).

القاعدة الثالثة : ينقسم «الدين أو الاسلام الى أصول وفروع، وأصل الدين هو ما حددته بدقة الآية في سورة آل عمران (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» آل عمران: 61 - 64)، وفروع الدين هي ما حددته آية المائدة (لكل جعلنا شرعة ومنهاجا.. (المائدة: 48) وأصل الدين محكم لا يدخل عليه نسخ ولا تخصيص ولا استثناء، ولا يتغير من رسالة الى رسالة بل وفي نفس الرسالة لا يتغير، والأصل هو أول ما دعا إليه الرسول (ص) الناس وقاتلهم عليه، وهو أول ما أمر به الله رسله أن يبلغوه للناس، ولذلك لابد أن يكون معلوما للناس من أول وهلة، لأن المسلم لا يكون مسلما بغيره، أما الفروع فتستكمل تدريجيا كالتدرج في الصلاة وفريضتها والتدرج في تحريم الربا والخمر

---

81 ـ عبد الفتاح شاهين : ظاهرة التكفير = شبهات وردود. دار الاسراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى. 1991 ص : 23-24

82 ـ نفس المرجع. ص 33

والتدرج في فرض الصيام والحج والحجاب، والأصل يسبق الفرع والفروع لا تقبل ولا تصح بغير الأصل وكذلك لا تصح إذا كان وقوعها على غير مقتضاه وقيامها على غير قاعدته، والعلاقة بين الأصل والفروع كالعلاقة بين الصفة والموصوف، فالصفة لا تقوم بغير موصوف ولذلك، فهي تتخلف بتخلفه وهذا واضح مما سبق... إنه لا عذر في أصل الدين على الإطلاق لا بجهل ولا بغيره، فمن فعل فعلا يهدم أصل الدين فهو كافر مرتد عن الاسلام مشرك مخلد في النار، أما الفروع فمنها ما يقبل فيه العذر بالخطأ والنسيان فقط ومنها ما لا يقبل فيه العذر كالأصول أيضا، وفي رأيهم أن العذر لا يكون إلا في الفروع فقط ولا يكون إلا بالخطأ والنسيان، أما العذر بالجهل فهو مما لم يرد فيه نص من كتاب الله ولا سنة رسوله(ص)، وبناء على ما تقدم، فإن كثيرا من المسلمين اليوم ينطقون بالشهادتين ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويتصدقون، ولكنهم يفعلون أفعالا تنقض أصل الدين وتهدمه، وبناء على ذلك، فلا عبرة لنطقهم الشهادتين ولا عبرة كذلك بصلاتهم وسائر عبادتهم لأنها من الفروع، والفروع لا تقوم إلا بالأصل، والأصل قد انهدم، ولذلك لا يبقى إلا الكفر البواح الموجب للخلود في النار، ولا عبرة بجهل الناس أو خطأهم أو نسيانهم في أفعالهم لأنها في أصل الدين، ولا عذر في الأصل، وهكذا يبطل النطق بالشهادتين كشرط لثبوت عقد الاسلام للناطق بهما اليوم»(83).

- **القاعدة الرابعة** : «إن الأعمال الظاهرة إنما تعتبر من حيث دلالتها على الباطن، لأنه لا سبيل للوقوف على الباطن إلا من حيث دلالة الظاهر عليه، ونحن نحكم على الباطن بالظاهر لتلازمهما، ولا يقال إن المنافق يظهر غير ما يبطن، لأن للمنافق سلوكا يستتر به يتفق تماما مع باطنه وكل إناء ينضح بما فيه، وأحكامنا الدنيوية مبنية على غلبة الظن ولها ضوابطها التي إن سلكناها قطعنا بنتائجها، وليس علينا أن يوافق ذلك حقيقة الأمر أم لا، فذلك علمه لله تعالى ولا يقال إن رسول الله(ص) قبل من المنافقين إسلامهم رغم قيام البينة التي لا تعلوها بينة على كفرهم وذلك بإخبار الوحي، ولا يصح أن نستدل بفعل الرسول هذا لأنه(ص) ترك المنافقين ولم يقتلهم اعتبارا للمآلات والمساءلات التي تركهم من أجلها الرسول(ص) لا عبرة بها وقد انتهت بموته ولا عبرة إذن بقضيتهم ولا بالاستدلال بها لأنها انتهت بموت النبي(ص)، واليوم لا يوجد إلا الايمان والكفر، ولا يوجد نفاق، لأن النفاق كان على عهد الرسول(ص).. وجاء في صحيح البخاري عن حذيفة رضي الله عنه ما معناه أن النفاق كان على عهد رسول الله (ص) أما الآن فإيمان وكفر، وقيل في تفسيره أن العلة في تركهم صلى الله عليه وسلم قد انتهت بموته كما أن خطرهم على المجتمع محقق بعده، ولما كانت هذه العلة متوفرة في أهل المدينة دون غيرهم كان حكم غيرهم من المنافقين القتل فور التمكن منهم وذلك لقوله تعالى : «فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا، أتريدون أن تهدوا من أضل الله، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا، ودوا لو تكفرون كما

83- نفس المرجع. ص 39-40

كفروا فتكونون سواء، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله، فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا»(النساء: 88-89)، أما حكم أهل المدينة وإن كان حكمهم القتل أيضا إلا أنه سبحانه وتعالى كف رسوله عنهم ربما للعلة التي ذكرها رسول الله (ص) ثم توعدهم الله سبحانه وتعالى إن لم ينتهوا بالقتل في قوله: «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا» (الأحزاب 61 - 60)(84).

- **القاعدة الخامسة**: استعراض بعض الآيات القرآنية «التي تتعلق بمعنى الايمان واشتراطه والتي تتحدث عن الأفعال التي تسمى كفرا، ومنها:

أ- قوله تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» (النساء :65).

ب- قوله تعالى: «ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء، ولكن كثيرا منهم فاسقون»(الأنفال: 2).

ج- قوله تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون» (المائدة: 81).

د- قوله تعالى: «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون» (المجادلة: 22).

هـ- وقوله تعالى: «ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، ثم يتولى فريق من بعد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون»(النور 47-51)

و- قوله تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» (الأحزاب: 36).

ز- قوله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (المائدة: 44)

«هذا بالنسبة للنصوص القرآنية، أما بالنسبة لنصوص الحديث الوارد عن رسول الله(ص)

84- نفس المرجع. ص 51-52

فمنها ما روي عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال : «أتيت النبي (ص) وفي عنقي صليب من ذهب فقال : «يا ابن حاتم ، ألق هذا الوثن من عنقك» ، فألقيته ، ثم افتتح سورة براءة حتى بلغ قوله تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» ، فقلت يا رسول الله ما كنا نعبدهم ، فقال : «كانوا يحلون لكم الحرام فتستحلونه ، ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه» ، فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : «فتلك عبادتهم» .

«قوله : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» .

«وقوله : «لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه» . متفق عليه .

«وقوله : «لا تؤمنوا حتى تحابوا» . رواه مسلم .

«وقوله : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» . متفق عليه .

«وقوله : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» . متفق عليه .

«وقوله : «من غشنا فليس منا ومن حمل السلاح فليس منا» . رواه مسلم .

«وكل ما شابه هذه النصوص من أحاديث رسول الله (ص) التي ينفي فيها مسمى الايمان عمن كانت هذه صفته .

وعلى كل هذا يترتب ما يلي :

«1 ـ إن الايمان الذي ينفيه الله ورسوله أو يشترطه هو أصل الايمان الذي لا يبقى بعده شيء من الايمان البتة» .

«2 ـ أن الكفر الذي أثبته الله ورسوله في الآيات أو في الأحاديث مثل قول الرسول(ص) : «من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد» . . إن هذا الكفر هو الكفر الذي ينقل عن الملة ويوجب الخلود في النار .

«3 ـ إن واقع المسلمين يشهد بأن حكامهم يحكمون بغير ما أنزل الله ، فهم كافرون بالنص الذي لا قول بعده لقائل وأن المسلمين يتبعونهم على ذلك ويتبعونهم فيما حللوا وحرموا ، ثم يوالونهم ، فانتفى عنهم الايمان أو أصل الايمان الذي لا يبقى بعده شيء من الايمان ، فأثبت الواقع أن المسلمين يعبدون الحكام من دون الله بنص حديث رسول الله (ص) لعدي بن حاتم الطائي عندما قال له : «كانوا يحلون لكم الحرام فتستحلونه ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه» ، فاعترف له عدي بذلك ، فقال له الرسول (ص) : «فتلك عبادتهم» .

«وهكذا وبناء على ما تقدم من نصوص وبراهين ، ما قيمة النطق بالشهادتين؟» (85)

85 ـ نفس المرجع . ص 59-60-61

- **القاعدة السادسة** : «إن الله سبحانه وتعالى قد حدد أصل الدين ومدار الرسالات في آية جامعة مانعة وهي قوله سبحانه وتعالى : «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت»(النحل : 36)، فأمر سبحانه وتعالى بعبادته وحده وإفراده بالعبودية بمعناها الواسع وإفراده بالتوحيد، توحيد الربوبية والألوهية وبعد ذلك اجتناب الطاغوت والطواغيت، فإن لم يتحقق كل ذلك والذي من أجله أرسل الله تعالى الرسل الى عباده وهو عبادة الله، واجتناب الطاغوت، فلا عبرة بأي شيء بعده. . . إن المسلمين في وقتنا الحاضر يتبعون الطواغيت ويوالونهم ولا يجتنبونهم ولا يكفرون بهم ولا يكفرونهم، وبذلك ينهدم أصل الدين، فلا عبرة عندئذ بالفروع لأنها تتخلف بتخلف الأصل وتنهدم بانهدامه ولا تقوم إلا به. وإذا انهدم أصل الدين عند المسلمين ينهدم الدين كله، فيرتد المجتمع مجتمعا جاهليا مشركا كما كان قبل إرسال الرسل، لأن الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل لم تتحقق بعد»(86).

- **القاعدة السابعة** : حد الاسلام هو «الحد الفاصل بين الايمان والكفر، فالذي يستوفي هذا الحد كله يكون مسلما والذي لا يستوفي هذا الحد كله لا يكون مسلما وإن نطق بالشهادتين وصلى وزكى وصام وحج بيت الله :

«1 - حد الاسلام هو أصل الدين وهو الاسلام وهو الإيمان وهو التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وكل هذه الأسماء هي مسميات مختلفة لشيء واحد وهو حد الاسلام.

«2 - إن هذا الحد سابق على غيره من التكاليف وغيره لا حق به ولا يقبل ولا يصح إلا به، فالايمان والتوحيد (وهما شيء واحد. . . وهو حد الاسلام) شرط في صحة الأعمال وقبولها.

«3 - إن هذا الحد ذو شقين :

أ - تصديق خبر الرسول جملة وعلى الغيب.

ب - التزام شريعة الرسول جملة وعلى الغيب.

«ولا يصح أن نقول إن من صدق الخبر قد قبل الحكم، ولا يصح أن نقول أن المقصود بقبول الحكم هو الإذعان لأمر الله والرسول بتصديق الخبر، ولكن من الممكن أن نقول بأن من يلتزم بشريعة الرسول جملة وعلى الغيب لا يعتمد بتصديقه الخبر، ولا يعتبر تصديقه تصديقا صحيحا لأنه لو كان كذلك، لأداه ذلك الى قبول الحكم والإذعان له جملة وعلى الغيب، وعلى كل حال فهما شقان متغايران متكاملان، مفهوم أحدهما غير مفهوم الآخر، ولا يقبل أحدهما بدون الآخر. . .

86 - نفس المرجع. ص 90

وخصائص حد الاسلام هي :

أ ـ أن الاسلام هو دين الرسل جميعا .

ب ـ أن حد الاسلام هو إفراد الله بالعبادة ، هو أصل الدين وهو القدر الذي تتفق فيه الرسالات جميعا وهو التوحيد وهو الاسلام .

ج ـ أن حد الاسلام هو الكلمة السواء التي التقت عليها كلمة الأنبياء .

د ـ إن حد الاسلام هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكل قول حقيقة كما قال المصطفى(ص) ، وحقيقة التلفظ التوحيد .

هـ ـ إن مادة العبادة غير مادة المعرفة ، وإذا كانت العبادة الغاية من الخلق وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، فإن مادتها غير مادة المعرفة ، وإن كانت تستلزمها ، وكذلك إفراد الله بالعبادة (حد الاسلام) غير توحيده في الاعتقاد وإن كان يستلزمه ، ولذلك يعبر عن إفراد الله بالعبادة وبالتوحيد العملي الارادي القصدي الطلبي ، وعن توحيده في الاعتقاد بالتوحيد العلمي المعرفي المتصل بالخبر والاعتقاد . . . إن التوحيد هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وبغيره لا يكون المسلم مسلما وهو حد الاسلام وأصل الدين والباقي من الدين فروع له مبنية عليه وهو الاسلام العام الذي جاءت به جميع الرسل ، والتوحيد هو إفراد الله تعالى وهو مستلزم بتوحيده في الاعتقاد ، ولذلك يقول ابن القيم في كلمة جامعة مانعة يعرف بها حد الإسلام : «والاسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له والايمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به ، فإن لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل» وقد جمع ابن القيم في هذا التعريف في طريق الهجرتين بين التوحيد العملي الارادي القصدي الطلبي والتوحيد العلمي المعرفي الخبري الاعتقادي وجعله حد الاسلام ، وبغيره لا يكون المسلم مسلما .

و ـ إن من خصائص هذا الحد أيضا أنه لا يقبل ركن من أركانه بدون الركن الآخر ، فلا يقبل تصديق بغير التزام ولا التزام بغير تصديق ، فلابد من استيفاء الحد كله لاستحقاق الاسم والصفة ، وتخلف أي ركن من أركان الاسلام يؤدي الى تخلف الحد كله»(87)

ثالثا : موقف «جماعة العدل والاحسان»

أسست الجماعات الاسلامية التي تعتنق مبدأ التكفير موقفها انطلاقا من تبني أطروحة جاهلية المجتمع ، في حين تستبعد «جماعة العدل والاحسان» هذا المبدأ استنادا الى خمسة اعتبارات .

الاعتبار الأول : يتعلق بخط الجماعة ، فجماعة العدل والاحسان لا تعتمد أطروحة

87 ـ نفس المرجع . ص 99-100-101

الجاهلية بل ترفضها، وتعتمد أطروحة بديلة: الفتنة(88)، وأطروحة الفتنة لا تتضمن مقولة التكفير.

الاعتبار الثاني: يتعلق بتحديد مهمة جند الله في زمن الفتنة، حيث لا تقيم الجماعة «تماثلا» بين الفترة النبوية والفترة الراهنة، في الفترة النبوية كانت مهمة جند الله العمل على الانتقال من «الجاهلية» الى «الاسلام»، أما مهمة جند الله حاليا، فهي العمل على الانتقال من «الفتنة» الى «تجديد الايمان»، «إن من واجبنا أن نجلو للناس بمثال سلوكنا وبتعليمنا وفكرنا وخطتنا أن هذا الاسلام رحمة، وأن ما فيه أمتنا أفرادا وجماعة بلاء لا يمس جوهر عقيدتها رغم ردة أفراد وانحراف فئات وبدعة العامة»(89).

الاعتبار الثالث: يتعلق بتبيان مفهوم المفاصلة، والذي يستعيض عنه عبد السلام ياسين بمصطلح قرآني يفيد نفس المعنى: الزيال(90)، فـ«المسلمون وهم يجددون إيمانهم مطالبون بزيال الفتنة والتميز عنها أفرادا وجماعة، سلوكا وأخلاقا، سياسة واقتصادا ونظاما»(91)، غير أن هذا الزيال لا ينبغي أن يصبح اعتزالا للمجتمع سواء بشكل مادي أو بشكل معنوي والذي يتجلى في استخدام سلاح التكفير(92)، تكفير المسلمين كزيال ليس مرجوا، وذلك أن «أسلوب تكفير المسلمين كان أول مروق عن الاسلام بين من سماهم المسلمون خوارج»(93).

الاعتبار الرابع: يتعلق بكون تبني مبدأ التكفير هو قطع للجسور بين المسلمين، في حين أن «جماعة العدل والاحسان» حريصة كل الحرص على عدم قطعها، نحن أحوج الى من يمد الجسور بين المسلمين في هذا العهد المبارك». (94)

الاعتبار الخامس: يتعلق بتعيين ضوابط التكفير، فجماعة العدل والاحسان لا تكفر إلا من أظهر كفرا بواحا عندها من الله فيه برهان(95) وهي حين تتحدث عن ضوابط التكفير تحيل على حسن البنا الذي قال في أصوله العشرين: «لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض -برأي أو معصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوما من

88 - راجع الفصل الأول من القسم الأول من هذه الدراسة.
89- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س.ص: 261
90- المرجع السابق. ص: 259
91- نفس المرجع. ص 260
92- نفس المرجع. نفس الصفحة.
93- نفس المرجع. نفس الصفحة.
94- نفس المرجع. ص 262
95 - «لا نكفر أحدا من أهل القبلة من إخوتنا العاملين في ميدان الدعوة أو من عامة المسلمين أو من الطرقيين إلا أن يصدر منه كفر بواح لا يحتمل التأويل، ونسلك مسلك أهل السنة من سلفنا الصالح في عدم تكفير مرتكب المعصية».
- جماعة العدل والاحسان: توضيحات، كراس داخلي. مذكور في:
- محمد ضريف: الاسلام السياسي بالمغرب... م.س.ص: 332

الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر»(96).

ترفض «جماعة العدل والاحسان» تكفير المسلمين(97)، وهذا الرفض يتضمن نتيجته المنطقية : مناهضة العنف.

ب ـ مناهضة العنف.

يقول عبد السلام ياسين : «لن ندعو الى عنف أبدا»(98)، ويؤكد بأن «البعث الاسلامي المرتقب لن يسفك دما ولن يضطهد أحدا»(99)، وهذا التركيز على مناهضة العنف من قبل «جماعة العدل والاحسان» يتأسس على أربعة اعتبارات:

ـ **الاعتبار الأول** : اعتبار «شرعي»، فقد «أمرنا ألا نقتل المسلمين زمان الفتن»(100)

الاعتبار الثاني : اعتبار «تاريخي» يتعلق بالكيفية التي انتشر بها الاسلام، فهو «ما قام بعنف ولن يقوم»(101) نتيجة طابعه التدريجي، فقد «نزلت الشريعة الاسلامية بتدرج، وخرج المسلمون من جاهلية لإسلام بتدرج، وتميزوا عن المجتمع الجاهلي بتدرج، وبعد الهجرة أقاموا مجتمعا ودولة إسلاميين بتدرج، وحتى قطع حبال الجاهلية حصل بتدرج»(102)

ـ **الاعتبار الثالث** : اعتبار «سياسي» يعود الى عدم إمكانية الجمع بين العنف والدعوة، ذلك أن الجماعة تشدد على تجنبها «الممارسات العنيفة في القول والعمل، لاعتقادها أن العنف والدعوة لا يجتمعان من جهة، وليقينها أن ما انبنى على العنف لا يجنى منه خير ولا يمكن أن يدوم وخسارته محققة وربحه ضئيل بعيد الاحتمال من جهة ثانية»(103)، اضافة الى «أن القضايا الغريبة عن الشعب العاجزة عن الانتصار بالإقناع والتمكن في المجتمع، هي وحدها التي تلجأ الى أساليب الإرهاب والاغتيال»(104)؛

96ـ حسن البنا : رسالة التعاليم... م.س. ص : 393

97ـ هناك محاولة لأحد أعضاء الجماعة لتقريب الفكرة. أنظر :

ـ منير الركراكي : تكفير المسلمين ـ الواقع والبديل. 1988

98ـ عبد السلام ياسين : الاسلام غدا... م.س. ص : 9

99ـ عبد السلام ياسين : الاسلام أو الطوفان.. م.س. ص : 89

100ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي.. م.س. ص : 309

101ـ عبد السلام ياسين : الاسلام غدا... م.س. ص : 9

102ـ هذا التدرج طال حتى الحياة الزوجية، فقد احتفظ المسلمون بزوجاتهم المشركات ومنهم عمر بن الخطاب الى صلح الحديبية، حيث نزل قوله تعالى : «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي.. م.س. ص : 314

103ـ جماعة العدل والاحسان : توضيحات... م.س. ص : 330

104ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م.س ص : 309

ـ الاعتبار الرابع : اعتبار «تنظيمي» يكمن في كون التنظيم العنيف المعتمد على الاغتيال السياسي لامبرر لوجوده ولا مستقبل لعمله(105) لتنافيه مع طبيعة مهام جند الله، فـ «جند الله حين يتألف وحين يزحف، وحين يتولى الحكم مسؤول أن يعطي المثال، ويفرض النموذج السلوكي ويربي عليه، والتطهير والتربية عمليتان تتطلبان الوقت وتطلبان الرفق، إن كنا نظن أن تفصيل الأمة بسيف قاطع يميز في الحين الأجزاء الصالحة والفاسدة بعضها عن بعض هو العلاج، فما نحن هناك»(106).

تناهض «جماعة العدل والاحسان» العنف، وتدعو الى الرفق في عملها الاسلامي، غير أن الرفق «لا يفيد الخمول والاستسلام والضعف»(107)، كما أن «الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.. لا تمت الى الذل و لاستخذاء وإعطاء الدنية من نفسنا بصلة»(108).

مناهضة العنف يوازيها إيمان بضرورة الأخذ بأسباب القوة(109)، ذلك أنه «لا يكون للأمة المسلمة المنبعثة وجود ولا استمرار بلا قوة»(110). لماذا الأخذ بأسباب القوة؟ لأن من «يدعو لايمان مجرد وجهاد لا يجعل من مقدماته وشروطه إعداد القوة المادية، إنما يسيء الى الدعوة ثم لن ينال من أمره غاية لإعراضه عن نواميس الله في الكون»(111).

تناهض «جماعة العدل والاحسان» كل لجوء الى العنف، لأن العنف هو وضع للقوة في

105 ـ نفس المرجع. ص: 418

106 ـ نفس المرجع. ص: 262

107 ـ عبد السلام ياسين: الاسلام غدا... م. س. ص: 116

108 ـ جماعة العدل والاحسان: توضيحات... م. س. ص: 330-331

109 ـ يقول حسن البنا: «يتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم؟.. لا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة، بل إني أنتهز هذه الفرصة، فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء، فليسمع من يشاء.

«أما القوة فشعار الاسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (الأنفال)، والنبي (ص) يقول: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف» بل إن القوة شعار الاسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة... فماذا تريد من انسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قويا في كل شيء شعاره القوة في كل شيء؟ فالاخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا في قوة».

أنظر:

ـ حسن البنا: رسالة المؤتمر الخامس. واردة في رسائل الامام الشهيد.. م. س. ص: 188-189

110 ـ عبد السلام ياسين: الاسلام غدا... م. س. ص: 116

111 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي.... م. س. ص: 332

غير موضعها(112)، وتدعو للأخذ بأسباب القوة، لأن الأخذ بأسبابها أمر قرآني(113) يجب تلقيه بنية التنفيذ.

112ـ عبد السلام ياسين: الاسلام غدا... م.س. ص: 114

113 ـ استنادا الى الآية 60 من سورة الأنفال: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل».

القسم الثالث
مسار تحديد الرهانات

تكمن دينامكية أي تنظيم سياسي في قدرته على التكيف مع المتغيرات دون المساس بالثوابت، وهذه القدرة لن تتأتى، إلا إذا كان هناك وعي بالرهانات، وقد واكبت عملية تشكل الخطاب لدى «جماعة العدل والاحسان» عملية تحديد الرهانات، والتي يمكن اختزالها في رهانين إثنين :

- رهـان «تكتيـكي». (الفصل الأول).
- رهان «استراتيجي». (الفصل الثاني).

الفصل الأول:
الرهان التكتيكي / جماهيرية الخيار الإسلامي

كيف ندفع الجماهير الى الدفاع عن الخيار الإسلامي والمقاتلة دونه؟ إن الجواب عن هذا التساؤل يختزل جوهر الرهان التكتيكي لجماعة العدل والإحسان، هذا الرهان المتمثل في جعل الخيار الإسلامي خيارا جماهيريا.

تقتضي -جماهيرية الخيار الإسلامي «مدخلا» كما تستوجب «أداة».

المدخل : تنهيج الدعوة / «الاسلام وتحدي الماركسية اللينينية»: 1987 .

في سنة 1987 ، أصدر عبد السلام ياسين كتاب «الاسلام وتحدي الماركسية اللينينية»(1)، كتاب يتمحور حول إشكالية مركزية : «تنهيج»، الدعوة، ويقصد بتنهيج الدعوة التدرج «بالانسان من موقعه الانساني، من ظروفه المادية، من تعبه اليومي وكبده، من هم المأوى والرزق والأمن والضروريات ليطمئن الى أن الاسلام وعد بفك الرقاب، أي بتحرير الانسان من كل عبودية تحقره ولا تكرمه، وعد بإطعام الجائع، بالقضاء على البؤس، بالانصاف بالقسمة العادلة للرزق»(2).

يستوجب تنهيج الدعوة أمرين متلازمين : «تفعيل» الممارسة «وتحيين» الخطاب.

ا ـ تفعيل الممارسة

يفيد تفعيل الممارسة توسيعا لمجال الدعوة وتشخيصا لمبادئها.

أ ـ توسيع المجال : جماهيرية الدعوة.

يقول عبد السلام ياسين : «يلفت نظر المراقبين للصحوة الاسلامية توافد الألوف من المسلمين، خاصة من الشباب على المساجد لاستماع الخطباء في حركة عفوية متعاظمة، يمكن لملاحظي الظاهرة الاسلامية أن يسجلوا أيضا أن المساجد المقصودة المتسابق إليها قبل غيرها هي المساجد «الحرة» التي يخطب فيها الواعظ الشعبي غير الموظف، وبالاستنتاجات السياسية يمكن للملاحظ أن يصنف الظاهرة الاسلامية مع الظواهر السياسية ويفكر ويقدر أن ما يجذب الشباب الى المساجد هو التفسير الاسلامي لوضعية الشباب الاجتماعية، والدعوة الضمنية أو المكتومة، تكاد تفصح، الى التغيير الثوري.

«ظاهر الأمر لا يسمح للملاحظ الأجنبي عن الدعوة، يراقبها من بعيد، بفهم أعمق من هذا، لا يستطيع ذلك الأجنبي أن يدرك البعد الإحيائي للصحوة الاسلامية، البعد العميق الايماني للنداء المتجدد الذي يسلك في قضية واحدة هم الدنيا وهم الآخرة، أولئك الذين

---

1 ـ يتكون الكتاب من 126 صفحة، ويتناول إضافة إلى تقديم بعنوان الطريق المعتمة وخاتمة، المواضيع التالية :

ـ بين الالحاد والثورة ـ التفسير والتغيير ـ الدنيا والآخرة ـ الدولة العظمى ـ ماهي الماركسية ـ ولا يحض على طعام المسكين ـ الملكية الخاصة ـ مهمة البروليتاريا ـ تقنيات الثورة ـ عوامل الثورة ونظامها المغلق ـ الطبقة التي تمسك المستقبل بيدها ـ «الإرهاب أداة إقناع» ـ «سر علمي» ـ «العنف الهستيري» ـ الوحش الكاسر ـ الإرادة الفولاذية ـ كسر آلة الدولة ـ برنامج الدولة الاشتراكية ـ اضمحلال الدولة ـ جنة ماركس ـ «لا يعجبني وجهك اليوم» ـ الرعب الثوري ـ إعادة التربية بالعمل ـ مجتمع الصراع الطبقي ـ قلعة الثورة ـ الممارسة معيار الحقيقة.

تعلموا من ثقافة الغرب الغازية أن الدين لا مكان له في السياسة أو أن السياسة لا مكان لها في الدين، يسحبون فهمهم العلماني هذا على الاسلام فيخالون أن المساجد «الحرة» أصبحت منابر سياسية.

«والحقيقة أن المساجد المسيسة، أعني التي تفصل هم الدنيا عن هم الآخرة وتخضع للأوامر العلمانية، هي المساجد المدولة يستشيط فيها الخطيب الموظف غضبا هوائيا على المنكر دون أن يفسر منابعه، ويركز على أمر الآخرة متخطيا أمر الدنيا، مرجئا التغيير الى يوم الحساب، مخدرا الحس الايماني الجهادي بتعميم صورة الواقع وتغطية الظلمة.

«تدور الحركة الاسلامية حول المساجد، فالمساجد مجالات لها ثانوية، المساجد أماكن عامة تتصادم فيها جبهة الحق مع جبهة الباطل... أريد أن أخلص من هذا الى أن مجال المعركة الحاسمة بين الحق الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وبين باطل العلمانية... هو نفوس الأمة وعقولها، يخاطب الواعظ الحر الغاضب على المنكر إيمانا وتدينا نفوس الجماهير وعقولها من جانب الحق، من جانب الآخرة، مع نبضة ثورية تربط هموم الناس بأصول الايمان، فتجد تجاوبا وحماسا، هذا لا يكفي، لكي نتمكن من إمامة الأمة، يلزمنا أن ننهج الدعوة وننشرها من قنوات أهل المسجد، ليحمل كل واحد وواحدة من المسجد إلى كل تجمع، الى كل أسرة، الى كل مرفق من مرافق الحياة»(3).

إن جماعة «العدل والاحسان» في مراهنتها على «جماهيرية» الدعوة(4)، تحرص على توسيع مجالها كي «تصل الى المدارس والجامعات والنقابات والتعاونيات والجمعيات المهنية و الثقافية والنسوية واتحادات الرياضة والشباب، وما إلى ذلك من كل المنظمات والتجمعات الموجودة فعلا»(5).

تتحقق «جماهيرية» الدعوة عبر :

2- عبد السلام ياسين : الاسلام وتحدي الماركسية اللينينية». بلجيكا. 1987. ص: 19.

3- نفس المرجع. ص : 17-18.

4- طبعا يجب التمييز بين جماهيرية الدعوة وجماهيرية التنظيم. يتساءل عبد السلام ياسين: هل التنظيم الإسلامي تنظيم نخبوي أم جماهيري؟

«يجيب أن جماعة المسلمين لا تتكون إلا من المهاجرين والأنصار كما كانت على عهد رسول الله(ص)، ومن عداهم يسمون في القرآن أعرابا، فلا يخاطب بالجهاد إلا من هاجر ونصر... كذلك اليوم لابد أن يكون الصف مكونا من عناصر قادرة على التماسك... والجماعة بعد هذا، وبقوة تماسكها، تستطيع أن تستقطب عطف الشعب وتستدعي سنده ودعمه، بل واجبها أن تعلم الشعب وتربيه وتعبئه، ولا تملك إن كان صفها ضعيفا».

- المنهاج النبوي... م.س. ص : 53.

5 - المرجع السابق. ص : 74.

أولا : التغلغل في أوساط الشعب حيث «ينبغي لجند الله أن يتعبأوا للتغلغل في الشعب قصد إيقاظه وتربيته والتماس الخير عند أهل الخير، وما من جلسة ولا وقفة مع شخص من خلق الله تدعوه الى الله وتحاجه في الله وتتحبب إليه في الله وتذكره بالله إلا وهي حركة مباركة»(6)، ذلك أن «مكان المؤمن مجالس الناس ونواديهم وتجمعاتهم مهما كانت، وكلمته لكل من لقي عضوا في تنقلاته، في الحافلة، وفي مدرسته ومكتبه ومعمله وجواره وشارعه الدعوة الى الله، ولا يترك الفرص تأتي عفوا بل يهيئها، بقصد الناس»(7)، على جند الله أن يدخلوا «على مجتمعات الفتنة والجفاء والكراهية ونواديها ومجالسها، وفي اللقاءات الجماعية والفردية، وفي بيت المؤمن والمؤمنة، مع الأبوين والأقارب والجيران، وفي المدارس والمعاهد والكليات والإدارات والشارع»(8)، وبتعبير أوضح «يجب أن نصلح جندا منظما منبثا في المدن والقرى، في المساجد والمدارس، في البيوت والطرق، في المعامل والمستراحات، يعلم، يبلغ، يحبب الاسلام والايمان»(9).

ثانيا : الإلحاح على الناس، ذلك أن جند الله لا ينبغي أن يمل، بل عليه «اتباع الناس والإلحاح عليهم في كل مكان ومناسبة»(10)، غير أن هذا الالحاح تحكمه ضوابط، منها أن يرتكز على أسلوب حكيم اقتداء بسنة الرسول(ص)(11)، إضافة الى عدم التقدم الى الناس «بالوجه العابس والتشديد والتعسير»(12).

ب : تشخيص المبادئ : العمل التطوعي

لا يقتضي تفعيل الممارسة توسيعا لمجال الدعوة فقط، بل يحتم أيضا تشخيصا لمبادئها بهدف خدمة الجماهير، ذلك أن جند الله عليه أن «يعبئ طاقاته ليضعها في خدمة المستضعفين وفي خدمة الشعب»(13).

إن تشخيص مبادئ الدعوة يتم عن طريق العمل التطوعي، فلماذا اللجوء إليه؟ وما هي مشمولاته؟

جوابا عن التساؤل الأول، فالعمل التطوعي وسيلة لإنجاز ثلاث مهام:

6 ـ نفس المرجع. ص : 136.
7ـ نفس المرجع. ص : 137
8ـ نفس المرجع. ص 277.
9 ـ نفس المرجع. ص : 389.
10ـ نفس المرجع. ص : 136.
11ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.
12 ـ المرجع السابق. ص : 313.
13 ـ المرجع السابق. ص : 200.

أولا : «تحبيب الاسلام والتعريف به والدعوة الى الله»(14).

ثانيا : إستكمال «الجانب العملي الضروري في التربية بعد الجانب الآخر جانب التربية الايمانية التعليمية التأليفية»(15)، وهذا من شأنه أن يتيح «فرصة للمؤمن ليعرف مشاكل أمته ويلتصق بواقعها ويعاني آلامها ويتهيأ لحمل أعبائها»(16).

ثالثا : التدرب «على تحمل المسؤوليات . . . ففي غد الاسلام نكون في حاجة ماسة الى الخبير والمعلم والأستاذ والحاكم والعامل الذين يتركون المدينة ورفاهيتها، ليخرجوا للبادية، يقودون الإصلاح الزراعي أثناء ما يعلمون الناس دينهم، نكون في حاجة لرجال ينهضون من وسط الميدان جنبا الى جنب مع الشعب بجهاد البنـاء في ثقة وحماس وود»(17).

وجوابا عن التساؤل الثاني، يشمل العمل التطوعي «حسب الامكانات والمرحلة، تنظيم تعاونيات فلاحية وتجارية وخيرية، وتنظيم تعاونيات إنتاجية واستهلاكية، وتنظيم أعمال لاستصلاح الأرض وسقيها وفلاحتها، وتنظيم وحدات صناعية، وتدريب الشباب على الأمن الداخلي والخارجي الى آخر مهمات التنمية»(18).

إن العمل التطوعي يجب أن يتمثل في «حقل جهاد التعليم حيث يصحب تعليم الهجاء تعليم القرآن، وفي حقل مبادئ الصحة والإسعاف حيث يتعلم المستضعفون أن الطهارة الاسلامية والعفاف الاسلامي صون للإنسان دنيا وأخرى، وفي حقل رعاية اليتيم والملهوف والبائس يكتشف المستضعفون أن الاسـلام أخوة وعطـاء»(19).

2 ـ تحيين الخطاب

تقتضي المراهنة على تحويل الاسلام الى خيار جماهيري مراعاة طبيعة الجماهير، ذلك «أن الشعب الخامل المضلل والشباب المشحون المهيج، لا يكاد أحد منهم يفهم وجوب الخروج عن طاعة من أخر الصلاة عن وقتها، لا يفهم العامة أن حاكما لا يصلي رجل يعصى الله وقد يجحده ابتداء، فإذا جحد وعصى أصبح طاغوتا وحكم بهواه وحارب الله وظلم عباده» فوجب عزله شرعا(20)، من هنا تأتي ضرورة تحيين الخطاب، هذا التحيين يستلزم منح الأولوية للمسألة الاجتماعية واهتماما خاصا بإعداد البرنامج.

---

14 ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

15 ـ المرجع السابق. ص : 201.

16 ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

17 ـ المرجع السابق. ص : 202.

18 ـ المرجع السابق. ص : 200.

19 ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

أ ـ محورية المسألة الاجتماعية

يقول عبد السلام ياسين: «يعني تنهيج الدعوة عندنا وتنهيج العمل فيما يعني أن نؤكد على المسألة الاجتماعية ونجعلها من صلب المنهاج وأسسه»(21)، ومحورية المسألة الاجتماعية تستوجبها ثلاثة أمور:

ـ الأمر الأول: إبراز شمولية الاسلام، ذلك أنه حين يعرض بعض الدعاة «الاسلام في ملائكية متعففة نظيفة سماوية، يحسن اليساريون أن ينزلوا ـ ولو دعائيا ـ الى حيث المسكين والمحروم والبائس، ينزلون إليه ليصفوا ما هو فيه من بلاء كنتيجة للإسلام الحاكم»(22)، فالاسلام في خطبة الواعظ واجتهاد الفقيه توبة والتزام بالشرع وتعلق بالمولى واستعداد للآخرة، والأمر كذلك لو كان المجتمع المسلم مكفي المؤونة، شائعا فيه الرخاء، مسواة فيه مشاكل الأرزاق وقسمتها وإنتاجها، أما وحال المسلمين كما نعلم، فإن غياب الاهتمام بالمسألة الاجتماعية أو إهمالها أو تأخيرها عن موضعها السابق في الخطاب القرآني لا يقل عن أن يكون تحريفا خطيرا»(23).

محورية المسألة الاجتماعية تأتي إذن من ضرورة إبراز شمولية الاسلام: إسلام يهتم بالدين ويهتم بالدنيا، يهتم بالسماء ويهتم بالأرض.

ـ الأمر الثاني: إظهار فاعلية الإسلام، وهذه الفاعلية تتجلى من خلال ما يمكن أن يقدمه جند الله في مواجهة متطلبات الجماهير، فـ «العمال تحت الفتنة ينتظرون أن يوفر الاسلام لهم أجورا عالية وأثمانا ثابتة وشروطا للعمل رفيقة... العاطلون تحت الفتنة يريدون من الاسلام عملاً، الجائعون يريدون خبزا، المحرومون يريدون إنصافا، الشباب يريدون تعليما ومستقبلا، الضاحون يريدون بيوتا، الفلاحون يريدون أرضا، الكل يطالب»(24)، والجماهير لن تستمع «لكلمة الاسلام إن كان الاسلام لا يعطي خبزا وشغلا ومستشفى ومدرسة وكرامة»(25).

ـ الأمر الثالث: تبيان واقعية الاسلام، وتتمثل هذه الواقعية في مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فـ «المخاطب بمقامات الاحسان والعرفان والتقرب من الله هم كافة المؤمنين، ولا يفهم هذا الخطاب ولا يستجيب له إلا من خصهم الله برحمته، أما المخاطب بالعدل،

20 ـ نفس المرجع. ص: 25.

21 ـ عبد السلام ياسين: الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية... م.س. ص: 33.

22 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 423.

23 ـ عبد السلام ياسين: الاسلام وتحدي الماركسية اللينينية... م.س. ص. ص: 32.

24 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 237.

25 ـ نفس المرجع. ص: 208.

بالكرامة، بالخبز، بالصحة، بالمدرسة، بالهم اليومي فهم عامة بني الانسان، والمسلمون أحوج بني الانسان وأضعف المستضعفين في الأرض على هذا العهد»(26).

على جند الله، إبرازا لواقعية الاسلام، أن يميزوا بين خطاب الإحسان والإيمان وخطاب الاسلام، وبينهما «مساحة خصبة يتموج فيها الخطاب القرآني ليناجي الروح في أشواقها والنفس في أغوارها والعقل في تجريده والجسم في حاجاته»(27)

يستحضر جند الله حقيقة ثابتة، أنه «في أذن الجائع لا يسلك إلا صوت يبشر بالخبز، في وعي المقهور المحقور لا يتضح إلا برهان الحرية، في الأثر: «كاد الفقر أن يكون كفرا»، فمن كان شغل يومه ونهاره هم القوت والمأوى والكسب والشغل والدين ومرض الأطفال ومصير الأسرة، لن يستمع لعرض المبادئ العليا ولو كانت دينا يؤمن به، لا وقت له، لا استعداد، لا مناسبة»(28)، فالحافز المعنوي لا يحرك الناس بمعزل عن الحافز المادي، يقول عبد السلام ياسين: «إن الإيمان إن دعونا اليه متجردين عن هموم الناس، فلن يتبعنا إلا القلة المكفية في أرزاقها، ولن يكون ذلك التجمع شيئا بعيدا عن الدروشة، جعل الله الحافز المادي دعامة من دعائم الايمان، لا اكتمال للإيمان في نشوئه وحركته إلا بها، في مقدمة خطوات اقتحام العقبة (29) فك رقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة: أرأيت هذا الحنو على حالة المقهور والجائع؟ أرأيت التهمم باليوم الشديد والمسغبة الشاغلة؟»(30)، «وما دمنا لا نفهم هذا بالوضوح الكافي، ولا نلح عليه في خطابنا الإلحاح الكافي ونتعفف عنه مخافة أن يتهمونا باليسارية وتقليد الجدلية، أو نضمر (هذه أدهى وأمر) مهادنة الرأسمالية والاستغلال والإثراء الحرام، فإن الاسلام الذي ندعو إليه سيبقى غامضا في أعين الشعب، وبذلك يغلبنا في الساحة من يخاطب الناس بلغة الخبز والأجر والإنصاف حين نخطب نحن بالايمان المجرد الذي يصوره أعداؤنا غيبية ومثالية وتعصبا دينيا وخنوعا تحت الأقدار وحرمانا للمرأة وخدمة للطاغوت»(31).

ب- مركزية إعداد البرنامج

هل يمتلك الاسلاميون برنامجا واضح المعالم من شأنه أن يقدم البديل لما هو سائد؟

26- نفس المرجع. ص 398.

27- نفس المرجع. نفس الصفحة.

28- عبد السلام ياسين: الإسلام وتحدي الماركسية اللينينة... م.س. ص: 12.

29 - راجع ما كتبناه عن إرادة اقتحام العقبة في المبحث الثاني من الفصل الأول من القسم الثاني من هذه الدراسة.

30 - عبد السلام ياسين: الإسلام وتحدي الماركسية... م.س. ص: 12 - 13.

31- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 320.

يتباين الجواب انطلاقا من تباين مواقع طارحيه، فالخصوم يرون أن الاسلاميين «أميون في السياسة كما هم أميون في كل شيء، فهم لا برنامج لهم إلا الشغب وإثارة المشاعر وتلهيب الغضب وتزيين نموذج أسطوري يزعمون أنه تحقق يوما على عهد النبوة والخلافة الراشدة، هم خارج التاريخ بفكرهم، خارج التاريخ وضد مجرى التاريخ ومده وسوقه وتساوقه حين يقترحون قومة ضد المجرى واقتحاما يسبح ضد المد والتيار»(32).

جواب بعض الاسلاميين واضح : «إن الدعوة التي ينبغي أن تنهض اليوم لإنشاء الاسلام في الأرض ليس عليها أن تقف طويلا أمام أولئك الذين يسألونها عن خطتها التفصيلية لحل المشكلة الاقتصادية، مثلا، أو عن برنامجها المقترح في مسألة الإسكان أو البطالة أو التضخم أو غير ذلك من التفصيلات الحيوية المادية، وذلك أن الاسلام حينما يراد له أن يقام، فإن له مسائله الخاصة واهتماماته الخاصة وقضاياه الخاصة، وكل أولئك يحضر وفقا لمنهاجه الخاص في الأولويـــة والترتيب، ذلك المنهاج الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه(ص)»(33).

يطرح عبد السلام ياسين نفس التساؤل ويجيب عنه : «إن من غير المعجز أن يجلس نفر من الناس ليرسموا جداول برناه جية يقدمونها للناس، ليعرف الناس ماذا يزعمون عمله، وقد فعل هذا الاسلاميون في الجزائر وفي غير الجزائر»(34).

إعداد البرنامج مسألة مركزية في تصور «جماعة العدل والاحسان» باعتباره مكونا أساسيا من مكونات رهانها التكتيكي، فـ «قبل قيام الدولة الاسلامية نحتاج لعقول استوعبت المنهاج لتضع الخطة في عمومها، وتهيء في إبانه برنامج الحكم الصالح للتطبيق، المؤسس بنيانه على تقوى من الله، دراسات وملفات وبنى الاقتصاد ومؤسسات الحكم تعاد صياغتها وإحصاءات وتدبيـر معاش الشعب»(35).

مركزية إعداد البرنامج بالنسبة لجماعة العدل والاحسان، لا ينبغي أن تصرف الأنظار عن حقيقتين :

- الحقيقة الأولى تتمثل في ضرورة التمييز بين «البرامج الترقيعية التفصيلية الانتخابية» والبرنامج الشمولي للإسلاميين وهو بمثابة «مشروع مجتمع مبني على أساس تعرفه الأمة وتثق به، وتثق بمن يدعون إليه»(36).

---

32 - عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء . . . م. س. ص : 37.

33 - عبد الجواد يسين : مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة . . . م. س.

34 - عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء . . . م. س. ص : 37-38.

35 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 218.

36 - عبد السلام ياسين : حوار مع الفضلاء . . . م. س. ص. ص : 38.

- الحقيقة الثانية تتجلى في ضرورة التنبيه إلى أن أي تنظيم سياسي لا يمكن أن ينتج برنامجا جادا للحكم وهو «بمعزل عن أجهزة الدولة وجيوشها من الخبراء والاحصائيين والمختصين» (37).

انطلاقا من هذين الحقيقتين، ومادام التنظيم السياسي بعيدا عن الحكم، فإن الاهتمام بالنسبة لجماعة العدل والاحسان، ينبغي أن ينصب على أمرين: تحديد ضوابط البرنامج وتبيان روحه.

أولا : ضوابط البرنامج

تحدد «جماعة العدل والاحسان» ثلاثة ضوابط:

- الضابط الأول : الشمولية

لا يخاطب البرنامج الاسلامي الذهنية التبسيطية/الذرية «التي لا تنظر الى ما في أمور الشريعة والحياة من ارتباط، لا تستطيع تصور الإشكالية المركبة من تداخل السياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع والوضع الداخلي والخارجي والظرف المكاني والزماني وتطور الأحداث ووجود التناحر على الهيمنة وتنازع البقاء بين أقوياء الأرض وضرورة وحدة المسلمين والاستناد الى كتلة المستضعفين في الأرض وعزائم الشريعة في كل هذا ورخصها ومقاصدها ووسائلها وقواعدها في حالة الرخاء وحالة الاضطرار الى آخر ما هنالك. هذه الذهنية عاجزة عن تصور عمل إسلامي في نسق منتظم على منهاج يرتب الوسائل لتبلغ الأهداف ويرتب المراحل والأولويات، ويترك في حسابه مكانا للمرونة عند الطارئ المفاجئ والضرورة الغالبة، هذه الذهنية عاجزة عن تجسيد المنهاج في خطة وبرنامج صالحين للتطبيق» (38).

- الضابط الثاني : التدرج

إعداد البرنامج ينبغي أن يحكمه ضابط التدرج، فـ«الأمة ترجع إن شاء الله للإسلام من مكان بعيد، لا يمكن أن يكون إلا تدرجا» (39)، فـ«ما كلف الله عز وجل نبيه (ص) أن يطبق كل الشريعة دفعة واحدة وهو المؤيد المعصوم، إنما نزلت الشريعة تباعا، فانتقل الناس من جاهلية لإسلام، كذلك الرجعة من فتنة لإسلام، لابد فيها من تدرج، تدرج للضرورة» (40).

- الضابط الثالث : الاجتهاد

إعداد البرنامج في حاجة الى اجتهاد قصد «إعداد النظرية السياسية والاقتصادية

37- نفس المرجع. نفس الصفحة.

38 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي. . . م. س. ص : 218.

39 - نفس المرجع. ص : 220.

40- نفس المرجع. نفس الصفحة.

والاجتماعية والثقافية الكفيل تطبيقها بعلاج الأمة»(41)، وهذا الإعداد/الاجتهاد يجب أن يتأسس على ثلاث ركائز:

- **الركيزة الأولى**: «التحليل السياسي لفهم الواقع ومسار الأمور وما في العصر من قلقلة عامة ومكايد للإسلام، وما يبيته لنا الأعداء في الداخل والخارج».

الركيزة الثانية: فقه الشريعة لمعرفة الأحكام التي نكره الواقع يوم النصر على الخضوع لها».

- **الركيزة الثالثة**: «تحليل مجتمعاتنا لتشخيص أمراضها»(42).

ثانيا: روح البرنامج

ينبني البرنامج لدى «جماعة العدل والاحسان» في روحه على ثابتين:

- **الثابت الأول**: يتمثل في تغيير الانسان، فأي برنامج إذا لم يهتم بتغيير الانسان أولا، مهما كان تماسكه النظري والنطقي فلن يجدي شيئا، ذلك أن «تغيير الهياكل إن لم يصحبه تغيير الانسان ويسايره، تضييع للجهد في دوامة التجارب الفاشلة»(43).

- **الثابت الثاني**: يتشخص في إقامة العدالة الاجتماعية، ومن سماتها «التي أتى بها الاسلام ونعدها من ركائزه الأساسية أن تتساوى فرص الكسب أمام الناس، وأن لا يكون التفاضل إلا بالاستحقاق ووفق الطرق المشروعة»(44)، هذا عدل القسمة ولكن هناك أيضا عدل الحكم، وهما عدلان متلازمان(45)، فالعدل ينافي «المحسوبية، ينافي إرضاء الناس بما

- يقول عبد السلام ياسين: «سألت أخا ذات يوم»: «ما تفعل بهذه الأبناك الربوية وهذا الفساد في الأمة لو أصبحت غدا صاحب الأمر؟».

قال الأخ الصالح: «أقف كل شيء وأدعو الله أن يفتح!».

قلت: «إذن لا تدوم دولتك أكثر من ثلاثة أيام، ثم إنك تكفر بالله عز وجل الذي جعل من نواميس الكون التدرج لا الطفرة، وأوجب عليك اتخاذ الأسباب الأرضية في جهادك، لا طلب الكرامة والمعجزة فيما يخرق نواميسه».

- المرجع السابق. ص: 220-221.

41- نفس المرجع. ص: 359.

42- نفس المرجع. ص: 358-359.

43- نفس المرجع. ص: 238.

44 - جماعة العدل والإحسان؛ بيان توضيحي. جريدة مجمع البحرين. السنة الثانية. شعبان- رمضان- 1410.

45- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 250.

يسخط الله، ينافي الظلم وهو ظلمات يوم القيامة، ينافي التدخلات لخرق الحقوق. . العدل أن تكون الإدارة والقضاء في خدمة العجوز المسكينة البدوية كما يكونان في خدمة المتعلم والغني والحاكم. العدل أن توضع إمكانيات الدولة تحت تصرف الشعب، فتبنى دور بسيطة صحية بدل أن تبنى للمترفين والموظفين القصور، وتحفر آبار لأهل البادية بدل أن ينفق على شراء أفلام الخلاعة، وتستصلح الأرض للفلاح الصغير بدل أن تغدق القروض والتسهيلات على المالك المستكبر الذي يطرد الفلاحين من أرضهم. . . وتبنى مدارس يعلم فيها القرآن والايمان والخبرة، يسيرها ويدرس فيها حملة رسالة الايمان والأخوة، لا تلامذة الجاهلية ودعاة الالحاد والاستكبار على الله ورسوله والمستضعفين. العدل أن ينصب ميزان القرآن بالقسط، فيوفى المحتاج والفقير حقهما وتهذب فضول أموال الغني، وعدل الشريعة بعدل القاضي والحاكم، إن كان الحاكم والقاضي أخوين للمسكين والمحتاج لا حليفين للمستكبر والإقطاعي»46)

46ـ نفس المرجع. ص : 251.

II ـ الأداة : «المنهاج النبوي» / 1982

صدر كتاب «المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا»(47) سنة 1982، وهو عصارة فكر عبد السلام ياسين التي نجد معالمها في أولى كتاباته كـ «الاسلام بين الدعوة والدولة» و«الاسلام

47 ـ يتكون الكتاب من 472 صفحة، ويحتوي على تمهيد إضافة الى مقدمات تعالج أربعة محاور:

ـ منهاج النبوة

ـ من الأماني المعسولة الى الجهاد.

ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم.

ـ القومة الإسلامية.

يتألف الكتاب من خمسة فصول:

ـ الفصل الأول / اقتحام العقبة الى الله ويعالج:

ـ عقبات

ـ مهمات جند الله

1 ـ تأليف جماعة المسلمين القطرية وتربية رجالها وتنظيمهم ـ 2 ـ إقامة الدولة الاسلامية القطرية ـ 3 ـ توحيد الأقطار الاسلامية ـ 4 ـ الخلافة الوارثة.

ـ كيف يؤدي جند الله مهامهم؟

1 ـ المحجة اللاحبة ـ 2 ـ الخط السياسي الواضح. 3 ـ الثمن: ثمن رضى الله. 4 ـ المرونة.

ـ الفصل الثاني : تجديد الدين والإيمان ويتطرق الى :

ـ التجديد ـ الإسلام والإيمان والإحسان ـ شعب الإيمان.

ـ الفصل الثالث : التربية ويتناول :

ـ المجموع ـ الأعرابية ـ مراتب جند الله ـ المرء وغناؤه في الاسلام ـ المؤمن الشاهد بالقسط ـ تربية مستقبلية ـ الأسر ـ الحلق في المساجد ـ الأسابيع الثقافية ـ المعسكرات والرباطات ـ تربية الشباب ـ تربية المؤمنات ـ البرامج والكتب والأوقات ـ فقه الواقع والاختصاص ـ عمل اليوم والليلة ـ توازن التربية ـ شروط التربية :

ـ الفصل الرابع : التنظيم ويعالج :

ـ ولاية المؤمنين ـ الإمارة ـ النظام الإماري ـ قيادات التنظيم ـ ملاحظات ـ مسؤوليات القيادات التنظيمية ـ أجهزة التنظيم ـ نقيب مجلس التنفيذ ـ الأجهزة ـ النواظم الثلاث.

ـ أمراض التنظيم ـ الخلاف ـ لا إله الله ـ عصيان أولي الأمر : أخطر الأمراض ـ الأمراض الفرعية ـ العناصر المريضة ـ القائد الجبار ـ العقوبات.

ـ الفصل الخامس : الخصال العشر وشعب الإيمان:

حول هذه الخصال، راجع ما سنكتبه في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا القسم.

غدا» و«الاسلام أو الطوفان»، قبل أن تنشر مفصلة في مجلة الجماعة على طول أربعة أعداد.

يلاحظ عبد السلام ياسين أن أساطين الفتنة «حطام بشري من حيث العقيدة والفكر والخلق والرجولة»، لكنهم يحكمون بفضل ما يتميزون به «من انضباط بخط فكري يلتزمون به وتنظيم مصلحي أو حديدي إيديولوجي يجمع قوامهم في قبضة ضاربة تعيث فسادا في قيم الأمة المعنوية والمادية»(48)، ولتحويل الاسلام الى خيار جماهيري، لابد من «دعوة واضحة تنير الطريق أمام الأمة، ولابد من تربية وتنظيم صف متراص من المؤمنين يتوسطون الشعب ويقيمون صلبه، يتغلغلون في بيئاته شاهدين ثابتين حاضرين على خطى هادفة يأتم الشعب المسلم بها ويتبعها ويساندها»(49).

و«المنهاج النبوي» هو أداة هذا التحويل، فهو منهاج تربية إيمانية وتنظيم جهادي»(50).

ا ـ التربية الإيمانية

يؤكد عبد السلام ياسين أن التنظيم بدون تربية جسم بلا روح(51)، وفي التجربة النبوية «دامت التربية الجهاد الأكبر ثلاث عشرة سنة في مكة وصحب الجهاد الأكبر الجهاد الأصغر طيلة العشر الباقيات»(52)، غير أن التربية المقصودة ليست أي تربية، بل هي التربية الروحية الايمانية(53).

معانقة التربية الروحية/الإيمانية يجب أن تتم على مستويين: مستوى «فردي» ومستوى «جماعي».

أ ـ المستوى الفردي: «يوم المؤمن وليلته»

تسعى «جماعة العدل والإحسان» إلى تأطير سلوك أعضائها تربويا على المستوى الفردي، وذلك برسم ما ينبغي أن يشغل به المؤمن يومه وليلته، تقول «ورقة» صادرة عن الجماعة تحمل عنوان: «يوم المؤمن وليلته»:

48ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي . . . م.س. ص: 6.

49ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

50 ـ نفس المرجع. ص: 4.

51 ـ نفس المرجع. ص: 68.

52 ـ نفس المرجع. ص: 373.

53ـ يحيل عبد السلام ياسين على كتاب (تربيتنا الروحية) لسعيد حوى، وعلى بعض العلماء والمصلحين والأئمة وعلى رأسهم (حسن البنا) «إذ يؤكد كل جيل منهم أن ما سمي بالحقيقة الصوفية هو لب التربية وزناد الإيمان ومعقل الأخلاق».

ـ المرجع السابق. ص: 364.

«من أعمال شعب الإيمان ما يلزم المؤمن مرة في العمر كالحج، ومنها ما يلزم مرة في السنة كصوم رمضان ومنها ما هو مؤقت مضبوط كالصلاة والزكاة، ومنها ما يسنح في أوانه وبمناسبته كعيادة المريض وتشييع الجنازة، ومنها ما هو فرصة دائمة كإماطة الأذى عن الطريق، ومنها ما هو صفة نفسية مصاحبة كالحياء ومنها ما ينبغي أن يصبح عادة راسخة كقول لا إله إلا الله.

«لكن المؤمن يجب أن تكون في حياته اليومية معالم لتكون قدمه راسخة في زمن العبادة والجهاد لا في زمن العادة واللهو، هناك أوقات المهنة والأسرة والمدرسة والشغل، فيجب ألا يمنع توقيت زمن الوظائف الدنيوية عن إقامة الصلاة في وقتها بأي ثمن، وعن الصلاة في الجماعة والمسجد ما أمكن، فإن لم تكن جماعة ومسجد، فواجب المجاهد أن يؤلف حوله المصلين في معمله وإدارته ومدرسته، ويتخذوا لهم مسجدا وآذانا وإماما ودقائق وعظ ودعوة:

1- يبدأ المؤمن يومه ساعة أو سويعة إن تكاسل ولا ينبغي له قبل الفجر يصلي الوتر النبوي إحدى عشر ركعة، ثم يجلس للاستغفار ليكون من المستغفرين بالأسحار.

2 - الجلسة بعد صلاة الصبح إلى الشروق سنة، فذاك زمن مبارك يحافظ عليه المؤمن ما أمكن تلاوة، جزء في اليوم بين صباح ومساء وذكرا وتعلما وحفظا.

3- صلاة الضحى صلاة الأوابين

4- السنن الرواتب، وليوتر قبل النوم من لا يقوى على القيام أو يخاف فوات الوقت، ووتر السحر أمثل.

5- جلستان صباحا ومساء لقراءة وردك من القرآن في المصحف، من لا يحفل برسالة ربه، من يهجر كتاب مولاه إليه فهو همل، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همنا.

6- ثلاث جلسات من ربع ساعة على الأقل لذكر لا إله إلا الله مع حضور القلب مع الله عز وجل.

7- الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص ليلة الجمعة ويومها للصلاة عليه.

8- قبل النوم توجه لله عز وجل، وحاسب نفسك وجدد التوبة، ونم على ذكر الله وعلى أفضل العزائم ليكون آخر عهدك باليقظة مناجاة ربك أن يفتح لك أبواب الجهاد والوصول إليه.

9- إن كنت طالبا فابذل الجهد الكافي والوقت الكافي للمذاكرة، فأول واجباتك بعد الصلاة والتلاوة والذكر تحصيل الحد الأدنى من علوم الدين، ثم تبذل جهدك للنجاح في

دراستك، فذلك جهاد مرحلتك.

10 ـ ساعة لأسرتك الإيمانية أو لزيارة دعوة ودراسة.

11 ـ سويعة تلزم نفسك فيها إلزاما على التفقه في الدين بالرجوع الى كتب الفقه، سعيا لإتقان شروط الطهارة والصلاة وسائر العبادات، فإن الله عز وجل لا يقبل العمل المخلص حتى يكون صوابا، والصواب ما وافق السنة.

12 ـ وليكن وقتك بمثابة ميزانية تنفق منها، فكن بوقتك شحيحا أن تصرفه في الغفلة وتضيعه فيما لا يعني، واعلم أن الوقت الذي تندم عليه ولات ساعة ندم هو وقت لم تذكر فيه الله تعالى باللسان والقلب والجهاد لنصرة دينه، اقتصد في وقت نفسك، ولا تضيع وقت إخوتك بالزيارات الطويلة وبقلة ضبط المواعد»(54).

ب ـ المستوى الجماعي: «البرنامج التربوي المرحلي»

يركز «البرنامج التربوي المرحلي» لجماعة العدل والاحسان في ترسيخ التربية الايمانية على المستوى الجماعي (الحركي) على لبنتين أساسيتين داخل التنظيم(55): «الأسرة» و«الشعبة».

ـ اللبنة الأولى: «الأسرة»

الأسرة هي «المكان المناسب لتوسيع آفاق المؤمن وتقوية صلته بالله وبالمؤمنين، وعلى كل أسرة أن تحاول البحث عن اسم من أسماء الشخصيات أو الأحداث أو المواقع الاسلامية فتطلقه على نفسها وتعرف به، وبذلك تنشر الثقافة الاسلامية لدى جميع الأفراد، وتربطهم بالأحداث والأشخاص التي أثرت تاريخ الأمة الإسلامية، مثل أسرة أحد، أسرة الخندق، مع الحرص على إحاطة كل أفراد الأسرة بمعلومات كافية عن الإسم الذي تختار»(56).

وتقوم الأسرة بتأطير أعضائها من خلال وسيلتين: اللقاءات والخرجات.

ـ الوسيلة الأولى: اللقاءات

«على كل أسرة أن تنظم لقاءين في الأسبوع على الأقل، ويبقى اختيار الأيام للأفراد

54ـ جماعة العدل والإحسان: «يوم المؤمن وليلته» ورقة واردة في:

ـ عبد السلام ياسين: رسالة تذكير. مطبوعات الأفق. الطبعة الأولى ـ البيضاء 1995. ص: 35-29

55 ـ راجع ما كتبناه حول مستويات التنظيم في المبحث الثاني من الفصل الثاني من القسم الأول من هذه الدراسة.

56ـ جماعة العدل والإحسان: البرنامج التربوي المرحلي. مذكور في:

ـ محمد ضريف: الإسلام السياسي بالمغرب... م. س. ص: 361-362.

أنفسهم حسب ظروفهم، وهذا بالاضافة الى لقاء أسبوعي يكون فيه التعاون على المناصحة وقيام الليل، ويجب أن تخضع كل هذه اللقاءات لبرنامج منظم مسبقا، حتى لا يصبح اللقاء عبارة عن مسامرة وإضاعة الجهد والوقت، وتحرص كل أسرة على الاستفادة أكثر ما يمكن من كل فقرات البرنامج.

«يدوم كل لقاء ساعتين على الأقل، مع مراعاة تجنب الجدل الذي لا فائدة فيه، واستغلال الوقت فيما يرجع على صاحبه بالنفع، وهذا نموذج عملي للقاء فردي:

- افتتاح الجلسة بآيات من كتاب الله عز وجل يتلوها أحسن الأفراد قراءة حتى يستفيد من قراءته الآخرون.

- بعد ذلك يتلو أحد الأفراد دعاء الاستفتاح بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدعاء المأثور: (إن الحمد لله نحمده ونستغفره..)، يلي هذا درسان في أحد المواد التالية:

- الفقه والقصص.
- السيرة مع التاريخ.
- التفسير والتجويد.
- الحديث وقواعد اللغة.

قبل ختم اللقاء تخصص ربع ساعة من الوقت للمناصحة بين الأفراد الحاضرين ومحاسبة النفس، وكذلك دراسة مشاكل الأسرة الفردية أو الجماعية والتعاون على إيجاد حل لها.

«أما بالنسبة للقاء الأسبوعي الخاص، فيمكن أن يمر على النحو التالي:

«يتفق أفراد الأسرة على صيام اليوم الذي يجتمعون فيه حتى اللقاء للإفطار الجماعي، لتكون فرحتهم جماعية عند إفطارهم ويوم لقاء ربهم إن شاء الله، يلي الإفطار موعظة يلقيها أحد الأفراد الذي يجب أن يعين من قبل حتى لا يصبغ اللقاء بصبغة الارتجالية في فقراته، ثم يناقش الموضوع المطروح إن كان يحتاج الى ذلك.

«يصلي الأفراد العشاء جماعة، ويأتون بالسنن الرواتب، ثم يجلس كل فرد لتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل قبل النوم (ومن الأحسن أن يحدد الحد الأدنى لذلك، مثلا نصف ساعة أو أكثر حسب الاتفاق، ثم يبقى المجال مفتوحا لمن يريد الاستمرار في الذكر، ويلتحق الآخرون بمكان نومهم).

«يكون الاستيقاظ قبل الفجر بساعة ونصف لصلاة الوتر النبوي جماعة إحدى عشرة ركعة لقوله عز وجل «إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا»، تخصص ربع ساعة قبل الآذان

للاستغفار مصداقا لقوله تعالى: «وبالأسحار هم يستغفرون».

«يخصص بعض الوقت لدعاء الرابطة، فيدعو الأخ لنفسه بما يحفظه من صالح الدعوات، ثم لوالديه «ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب...»، ثم لإخوته المؤمنين العاملين في الجماعة والمنتسبين إليها، ويكثر الدعاء لهم والاستغفار، ثم لعامة المسلمين مبتدئا بالمجاهدين، فالعاملين في حقل الدعوة مترحما على موتى المسلمين، ويكون الدعاء سرا، وبالصيغ السنية المأثورة وما يفتح به الله على الأخ من أنواع الأدعية الطيبة، بعد صلاة الفجر، يجلس الجميع لتلاوة القرآن وذكر الله حتى الشروق، بعد ذلك يختم اللقاء بتقويم ومناصحة»(57).

ـ الوسيلة الثانية : الخرجات

«بالاضافة إلى اللقاءات الثلاثة السابقة تحرص كل أسرة على تنظيم لقاء شهري خارج المدينة يكون بمثابة لقاء دعوي يستدعى له بعض العناصر التي يراد استدراجها للالتحاق بالجماعة، ويكون كذلك فرصة للترويح عن النفس والبعد عن عناء وضوضاء المدن، ويستدعي لهذه الخرجة كذلك أفراد أو فرد من الأسرة الأخرى التي تنتمي لنفس الشعبة على أساس أن تكون الأسرة المنظمة هي المضيفة، وتتكلف بتهييء البرنامج وتوفير التموين الغذائي لكل الأفراد واختيار المكان المناسب.. الخ.

«وعلى الأسرة المنظمة أن تجعل من الخرجة وسيلة لجعل كل المؤمنين يشاركون حتى تكون الاستفادة جماعية، وهذا نموذج عملي للخرجة:

«يكون الانطلاق بعد صلاة الصبح، وبعد الوصول الى المكان (الذي يجب أن يختار من قبل) يفتتح بتلاوة من كتاب الله عز وجل.

«يعرض أحد الحاضرين برنامج اليوم، ويحدد مغزى وأهداف هذه الخرجة، ثم يوزع المسؤوليات، يكلف البعض بتهييء طعام الإفطار، ويتكلف البعض الآخر بإحضار الماء، والبعض الثالث يهيء المكان حتى يصبح قابلا للصلاة والجلوس فيه.

«على مائدة الإفطار، يستغل الوقت للتعارف بين الأفراد الذين لا يعرفون بعضهم بعضا، بعد الإفطار، يقوم الأفراد لصلاة الضحى، بعدها حصة لحفظ القرآن.

«بعد ذلك يجلس الكل لاستماع درس يلقى، ويجب أن يكون مهيأ من قبل، ويناقش بعد الفراغ من إلقائه، بعد ذلك تأتي حصة الرياضة.

«وقبل الظهر بقليل، يستعد الكل للصلاة؛ تجديد الوضوء وجلسة للذكر في انتظار

---

57 ـ المرجع السابق. ص : 362-363.

الصلاة، بعد الظهر يلقي أحد الحاضرين موعظة قصيرة مرتجلة حتى يتدرب الجميع على إلقاء الكلمات خصوصا عند الضرورة، ثم صلاة الرواتب بعد ذلك، يأتي بعد كل هذا وقت تناول الغذاء الذي يجب أن يكون معدا قبل الخروج حتى لا يضيع الوقت في إعداده، ثم القيلولة، بعدها يتدرب الأفراد على بعض الأناشيد الاسلامية التي يكون البعض قد حضرها وأعدها، ويراعى في تسييرها تقديم أحسنهم أداء، الاستعداد لصلاة العصر يكون مباشرة بعد فترة الأناشيد، فيتوضأ الإخوة وينتظرون الصلاة مستقبلين القبلة ذاكرين تالين.

«تلي صلاة العصر، موعظة قصيرة على غرار الموعظة التي سبقتها بعد صلاة الظهر. . . وبعد كل ذلك ينتهي اللقاء بجلسة تقويمية يتدخل فيها كل الأفراد المشاركين باقتراحاتهم والإشارة الى الأخطاء والهفوات، ومحاولة تداركها في الخرجات المقبلة حتى يسير برنامج الخرجات من حسن إلى أحسن»**(58)**.

ـ اللبنة الثانية : «الشعبة»

تعمل «الشعبة» على تأطير أعضائها من خلال ثلاث وسائل: اللقاء النصف شهري والرياضة والمكتبة.

ـ الوسيلة الأولى : اللقاء النصف شهري

«يجتمع نقباء الأسر مرتين في الشهر، يتدارسون خلال هذا اللقاء المنهاج النبوي الذي هو تصور الجماعة في الدعوة للجهاد والتنظيم حتى تتوحد الرؤية والتصور ويطمئن البعض الى الآخر، فمن أكبر العيوب أن يجهل النقيب منهاج أسرته، لأن ذلك يعرقل سيره ويحمل الأسرة تبعات جهله وخذلانه.

«على أعضاء الشعبة أن تكون لهم دراسة عميقة للمنهاج وفهما واضحا له حتى يعملوا في وضوح وبصيرة ويبلغوا أحسن تبليغ، يتفق الأعضاء على القدر الواجب تحليله ومناقشته عند اللقاء حتى يتسنى لكل أن يدرسه مسبقا ليتمكن من المشاركة والإدلاء برأيه، وتعزيز ذلك بأمثلة من السيرة العطرة والواقع المعيش»**(59)**.

ـ الوسيلة الثانية : الرياضة

«على الإخوة أن يسعوا الى تقوية أجسامهم بجميع أنواع الرياضات، وعلى الشعبة في هذا الباب أن تكون في البداية فرقة لكرة القدم . . وتنظم لقاءات بين الشعب لتحقيق معنى الصحبة والجماعة، ويحصل التعارف بين أعضائها، وليتمكن نقيب الشعبة من اكتشاف الكفاءات في هذا النوع من الرياضة لينتفع بها في مناسبات مستقبلية»**(60)**.

58 ـ المرجع السابق. ص : 364-365.
59 ـ نفس المرجع. ص : 366.
60 ـ نفس المرجع. ص : 367-368.

- الوسيلة الثالثة : المكتبة

«من الوسائل الدعوية والتعليمية التي يجب أن تكون في حوزة الشعبة وتصرفها الكتب والأشرطة . . . . والكتب والأشرطة وسائل إعلام تنوب وتحل محل التجمعات واللقاءات غير الميسورة في الفترة الراهنة.

«ينبغي أن تكون الكتب والأشرطة في إطار مكتبة، ويستحب أن يكون مقرها عند نقيب الشعبة ما أمكن»(61).

2 ـ التنظيم الجهادي

المنهاج النبوي تربية إيمانية وتنظيم جهادي، وفي مرحلة الإعداد يشكل التنظيم القطري «الطليعة الشجاعة التي ينبغي أن تخطط للمستقبل. . . ينبغي أن تخطو على ميدان الجهاد

---

61 ـ نفس المرجع. ص : 369

يقترح عبد السلام ياسين مجموعة من المراجع. بإمكانها أن تساهم في ترسيخ التربية الإيمانية منها :

أولا : القرآن الكريم حفظا وتجويدا وتفسيرا، وقراءة «التبيان للنووي، ومن التفاسير : تفسير ابن كثير و«أحكام القرآن» لأبي بكر بن العربي و«في ظلال القرآن» لسيد قطب.

ثانيا : الحديث : البخاري ومسلم وكتب السنن . . الخ.

ثالثا : فقه العقيدة كـ «كبرى اليقينيات الكونية» لسعيد رمضان البوطي.

رابعا : فقه العبادات كـ «فقه السنة» لسيد سابق و«نيل الأوطار» للشوكاني.

خامسا : فقه السيرة كسيرة ابن هشام و«فقه السيرة» لسعيد رمضان البوطي.

سادسا : فقه السنة كـ «كتاب الأذكار» للنووي و«زاد المعاذ» لابن القيم الجوزية.

سابعا : الرقائق وطب النفوس وعلم السلوك كـ «قوت القلوب» لأبي طالب المكي و«الرسالة القشيرية» للإمام القشيري و«إحياء علوم الدين» للغزالي.

ثامنا : فقه الدعوة كرسائل الإمام البنا وكتب الشيخ المودودي وسعيد حوى ويوسف القرضاوي وأبي الحسن الندوي.

تاسعا : تاريخ الإسلام ككتابي «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» و«رجال الفكر والدعوة» لأبي الحسن الندوي.

عاشرا : «تراجم الرجال كـ «صفة الصفوة» لابن الجوزي و«الاسلام بين العلماء والحكام» لعبد العزيز البدري.

إحدى عشر : اللغة العربية والصرف كـ «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني و«النحو الوافي» لعباس حسن و«الصرف» لمحمد خير الدين الحلواني.

أنظر :

عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 362-363.

خطوات ثابتة لتتبع الأمة خطواتها»(62)، والتنظيم الجهادي ينبغي أن يتسم بخصائص كما ينبغي تحصينه ضد كل ما يتهدده من أمراض.

أ- خصائص التنظيم

يمكن اختزال خصائص التنظيم في ثلاثة مستويات: مستوى سلطة اتخاذ القرار أولا، ومستوى الفاعلية ثانيا ومستوى اختيار الهيئات المسيرة ثالثا.

أولا: مستوى سلطة اتخاذ القرار

ليس المرشد العام لجماعة العدل والاحسان هو الذي يحتكر سلطة اتخاذ القرار وإنما المؤتمر العام للجماعة، فرغم أن ما يسمى بالقيادة الجماعية لا مكان له في الإسلام، حيث إن الأمير هو صاحب الأمر والنهي في كل صغيرة وكبيرة»(63)، إلا أن الأمير ملزم بالخضوع في اتخاذ قراراته لثلثي أعضاء مجلس الإرشاد، فالأمير المرشد العام لا يشكل أعلى سلطة داخل الجماعة، بل السلطة العليا يمارسها «المؤتمر العام» ومن تجلياتها:

- **التجلي الأول**: حين يقرر المرشد العام حل مجلس الإرشاد أو عزل أحد أعضائه، فإن ذلك ينبغي أن يتم عبر المؤتمر العام(64).

- **التجلي الثاني**: المؤتمر العام هو الذي ينتخب مجلس الإرشاد بما فيه المرشد العام(65).

- **التجلي الثالث**: المؤتمر العام هو الذي يمتلك صلاحية عزل المرشد العام بأغلبية ثلثي أعضائه(66).

- **التجلي الرابع**: في حالة استقالة الأمير المرشد العام، فإن المؤتمر العام هو الذي ينتخب أميرا مرشدا عاما جديدا(67).

62- المرجع السابق. ص: 177.

63 - نفس المرجع. ص: 66.

64- نفس المرجع. ص: 63-64.

65 - نفس المرجع. ص: 64.

66- متى اتفق أربعة أو أكثر من أعضاء مجلس الإرشاد على «تجريح الأمير بفسق ظاهر أو شبهة في العقيدة أو عجز في كفاءته التنفيذية أو محاباة أو تبذير»، وبعد استنفاذ النصيحة الواجبة له، يستدعي المؤتمر العام. وإذا صوت ثلثا أعضائه ضد الأمير عزل.

- المرجع السابق: ص 65.

67- نفس المرجع. نفس الصفحة.

ثانيا : مستوى الفاعلية ،

تتجلى فاعلية التنظيم في أمرين :

- الأمر الأول : الاستقلالية وخاصة الاستقلالية المالية ، وضمانا لها يطلب من الوافد الى التنظيم «أن يساهم في نفقات الجماعة بانتظام ونرفع نسبة عطائه من دخله تدريجيا ، فإن كان غنيا طلبنا إليه أن يدفع أموال الزكاة زيادة على النصيب الشهري المعلوم ، وطلبنا إليه أن يبذل في المهمات وأن يخفض من نفقات عيشه الرفيه تدريجيا ويحول إلى الجماعة»**(68)**، ذلك أن «الجماعة المجاهدة لا تعتمد في نفقاتها إلا على مساهمات أعضائها ثم على تبرعات الشعب، ومتى كانت للجماعة أموال أسست بها أصولا تجارية وصناعية وفلاحية وغيرها حتى تستقل ماديا»**(69)** «وعلى كل عضو أن يفتح صندوقا للدعوة حيثما أمكن ، والتنظيم المالي للجماعة يأخذ بعين الاعتبار حاجات الأسرة والشعبة وكل المستويات الأخرى ، فنعطيها التصرف في نصيب مما يتجمع»**(70)**.

- الأمر الثاني : القدرة على اتخاذ المبادرة ، فـ«للمرشد أن يستشير في بعض الأمر دون بعض ، ذلك أن المستعجلات تريد مبادرات تنفيذية ، والانتظار للتشاور يفوت الفرص ، وهذه الخاصية مؤسسة على سوابق انتهجها خلفاء الرسول (ص) **(71)** وتعتبر من «أهم مبادئ السياسة والتنظيم» ذلك أن القيادة ينبغي أن تتمتع بحق «المبادرة في الساعات الحاسمة»**(72)**.

ثالثا : مستوى انتخاب الهيئات المسيرة .

ينبغي أن ينبني انتخاب الهيئات المسيرة على مبدئين :

- المبدأ الأول : استبعاد أحادية الترشيح ، ذلك أنه لا يجب الاقتصار على مرشح واحد**(73)**

68- نفس المرجع . ص : 197 .

69- نفس المرجع . نفس الصفحة .

70- نفس المرجع . ص : 198 .

71- خاصة تلك المبادرات التنفيذية التي كان يتخذها عمر بن الخطاب .

- المرجع السابق . ص : 60 .

72- نفس المرجع . نفس الصفحة .

غير أن هذه المبادرات لا تعني تجاوزا للشورى وهي إحدى نواظم الجماعة ، فيقظة الجماعة هي التي تحول دون استبداد الأمير ، وعلى كل ، فإن الجماعة تحتفظ بحق عصيان الأمير إذا عصى الله وبعزله إن حاد عن الجادة .

- المرجع السابق . نفس الصفحة .

73- لا يجوز شرعا أن يرشح أحد نفسه لمنصب ، لأن ذلك يعد من قبيل تزكية النفس المنهي عنها شرعا .

- نفس المرجع . ص : 68 .

لكل منصب، وإلا لما كان هناك معنى للاختيار(74)، فحتى على مستوى اختيار المرشد العام، يقوم أربعة أو أكثر من أعضاء مجلس الإرشاد بترشيح شخصين من أعضائه، والمؤتمر العام يختار أحدهما(75).

- **المبدأ الثاني**: اعتماد الاقتراع السري في التصويت وبأغلبية الثلثين، فلا ينتخب إلا من حصل على نصاب الثلثين، وإذا لم يحصل المرشح على النصاب القانوني، يعاد الاقتراع ثلاثة أيام، وبعد ذلك يرجع للأمير، أما في حالة عدم حصول المرشح لمنصب المرشد العام على النصاب القانوني بعد مرور ثلاثة أيام، فيرجع الى مجلس الإرشاد حيث يختار واحدا من أعضائه بأغلبية أربعة أصوات(76).

ب- تحصين التنظيم

مهم أن تنشئ جماعة تنظيمها وتقوم بهيكلته، غير أن الأهم من ذلك هو قدرة الإبقاء على تماسكه وفاعليته، ورغبة في ذلك، تقتضي الضرورة تحصين التنظيم من الأمراض التي قد تلحقه فتشل حركته، وأمراض التنظيم يمكن إدراجها في خانتين: أمراض «مركزية» وأخرى «فرعية»(77).

74- المرجع السابق. ص: 69.

75- المرجع السابق. ص: 68.

76- «ما وجدنا في هذا الباب مستندا لتحديد نصاب الثلثين كحد أدنى للحصول على الأغلبية إلا سنة الإمام عمر رضي الله عنه حين أوصى لأهل الشورى الستة وقال لهم: «تشاوروا في أمركم، فإن كان إثنان وإثنان وإثنان فارجعوا في الشورى، وإن كان أربعة وإثنان فخذوا صنف الأكثر»، وفي رواية أخرى «وإن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتبعوا صنف عبد الرحمان واسمعوا وأطيعوا». رواه ابن سعد. وكان رضي الله عن هقد أمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، فحدد بذلك زمن المداولات».

- المرجع السابق. ص: 69.

77- يطرح أحد الاسلاميين إشكالية تحصين التنظيم من خلال تأكيده على ضرورة توفر سبعة شروط:

- الشرط الأول: «أن يكون على رأسه قيادة تعرف ما تريد وتعرف الوسائل لتحقيق أهدافها».
- الشرط الثاني: «أن يرتكز التنظيم على منهاج ثقافي تربوي سليم وخطة شاملة».
- الشرط الثالث: «أن تكون حركة التنظيم نحو الخارج سليمة مستقرة مستمرة متوازية دائمة».
- الشطر الرابع: «أن يضم التنظيم أعضاءه حيثما كانوا».
- الشرط الخامس: «أن تكون الثقة على أعلاها بين القيادة والجند».

الشرط السادس: «أن يأخذ كل إنسان محله المناسب في التنظيم على حسب إمكاناته وطاقاته وكفاءاته واستعداده».

- الشرط السابع: «أن يحكم هذا التنظيم قواعد معترف عليها متمثلة بنظام تراعى فيه كل الأمور السابقة».

لمزيد من المعطيات، أنظر:

- سعيد حوى: المدخل الى دعوة الإخوان المسلمين: دار عمار، بيروت- عمان.

أولا : الأمراض «المركزية»

تنتج الأمراض «المركزية» عن نقص في التربية، هذه الأمراض يمكن اختزالها في مرضين :

- **المرض الأول** : الخلاف : وهو مرض يدل على خلل في النواظم الثلاث للجماعة(78)، وهناك سبيلان لتحصين التنظيم منه، يتمثل السبيل الأول في إعادة النظر في التربية وفي نواظم الجماعة، ويتجلى السبيل الثاني في رد التنازع الى الله ورسوله بقبول حكومة الأمير(79).

- **المرض الثاني** : عصيان أولي الأمر(80).

يمكن رصد الأصول النفسية لهذين المرضين المركزيين على ثمانية مستويات :

- **المستوى الأول** : «الكذب في دعوى الجهاد وهو مرض مقابله الصحي الصدق».

- **المستوى الثاني** : «الاستعلاء بغير حق وهو مرض مقابله الصحي الذلة على المؤمنين أي التواضع لهم والنزول عن الأنانية».

- **المستوى الثالث** : «تغليب الرأي الشخصي على قرار الأمير، وهو مرض مقابله الايماني الوفاء بالعهد والعقد».

- **المستوى الرابع** : «الإتكال على الأسباب الظاهرة، وهو مرض مقابله التوكل على الله عز وجل، هذا مع إعطاء الأسباب حقها بإعداد ما استطعنا من قوة».

- **المستوى الخامس** : «الفشل والهزيمة المعنوية، وهو مرض يحدث بغلبة الهواجس الأنانية والنفسية، ودواء ذلك ذكر الله والحضور معه في كل الأحوال».

- **المستوى السادس** : «التنازع في الأمر وهو الخلاف الانفعالي عندما يتعدى نطاق الأفراد فيسري داؤه الى الجماعة، ودواء ذلك الشورى السنية المنظمة».

- **المستوى السابع** : «العصيان ودواؤه الطاعة بالمعروف».

- **المستوى الثامن** : «حب الدنيا وهو أصل البلاء، وحسمه بحب الله ورسوله والمؤمنين»(81).

ثانيا : الأمراض «الفرعية»

78- راجع ما كتبناه حول هذه النواظم في المبحث الثاني من الفصل الأول من القسم الثاني من هذه الدراسة.

79- عبدالسلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 103-104.

80 - نفس المرجع. ص : 105.

81 - المرجع السابق. ص : 108-109.

تتولد الأمراض «الفرعية» عن طبيعة التنظيم ومنها :

-المرض الأول : المحسوبية حيث يوضع الرجل في مكانه غير المناسب تنظيميا

-المرض الثاني : الارتجال في اتخاذ القرارات

-المرض الثالث : علة الجماهيرية المفضية الى تسرب عناصر تحمل أفكارا مضطربة»(82) .

-المرض الرابع : الحماس المتأجج العابر ، فـ«التنظيم لا يقوم على الحماس المتأجج العابر ، لكن يعتمد على الإرادة العازمة»(83) .

-المرض الخامس : «انحراف القيادة بتجبرها واستبدادها(84) .

يتم تحصين التنظيم من الأمراض الفرعية بواسطة أربع وسائل :

-الوسيلة الأولى : التربية

-الوسيلة الثانية : الصرامة في قبول الواردين(85) .

-الوسيلة الثالثة : مسطرة واضحة متفق عليها لعزل القيادة المنحرفة

-الوسيلة الرابعة : اعتماد نظام للعقوبات يبدأ بإعادة التربية مرورا بالنصيحة وانتهاء بالفصل(86) .

---

82 ـ نفس المرجع . ص: 109 .

83 ـ نفس المرجع . ص : 175 .

84 ـ نفس المرجع . ص : 110 .

85 ـ تطرح هنا مسألة العضوية حيث «لا يدخلن في عضوية الجماعة ونظامها إلا القادرون على حمل هم الأمة ، القادرون على بذل النفس والنفيس جهادا في سبيل الله ، الأقوياء الأمناء على ذلك ، مع شرط التقوى ومحبة الله ورسوله».

ـ المرجع السابق : ص : 41.

هناك شروط أخرى يجب توفرها لمنح العضوية منها :

ـ الاتصاف بحسن الخلق . المرجع السابق . ص : 144 .

ـ التحلي باليقظة والفطنة ، فـ«السذج بسطاء العقول خطر على الدعوة ويسعهم فضاء رحمة الله بعيدا عن الإعداد القوي الذي أمرنا به» . المرجع السابق . ص : 186-187 .

ـ الاتسام بالطبع الهادئ، لأن الاستقرار النفسي شرط أساسي في بناء التنظيم . نفس المرجع . ص : 144-145-296 .

ـ نبذ الاستكبار ، فهو ناقض لأهلية العضوية في التنظيم . المرجع السابق . ص : 316 .

86 ـ المرجع السابق . ص : 110-112 .

الفصل الثاني
الرهان الإستراتيجي/ إعادة بناء الخلافة على منهاج النبوة

إعادة بناء الخلافة على منهاج النبوة موعود نبوي، ويمثل الرهان «الاستراتيجي» لجماعة العدل والإحسان.

- فما هو سند هذا الرهان؟
- وكيف يمكن بلورته؟

I ـ سند الرهان

يرتكز الرهان الاستراتيجي المتمثل في إعادة الخلافة على منهاج النبوة على سندين: الأول «مرجعي» والثاني «سلوكي».

1 ـ السند المرجعي: «نظرات في الفقه والتاريخ» /1989.

في سنة 1989، أصدر عبد السلام ياسين كتاب «نظرات في الفقه والتاريخ»(1) والذي يطرح من خلاله بوضوح إشكالية السند المرجعي للرهان الاستراتيجي لجماعة العدل والإحسان، هذا السند «المرجعي» الذي يمكن اختزاله في مرجعيتين: مرجعية «شرعية» ومرجعية «تاريخية».

أ ـ المرجعية «الشرعية»: «الموعود النبوي»

تقتضي الإحالة على المرجعية «الشرعية» إبداء ملاحظتين:

ـ **الملاحظة الأولى** تكمن في هيمنة الفقه التجزيئي وضرورة تجاوزه بفقه جامع، ذلك أنه «لابد من إرساء قواعدنا على مكين الكتاب والسنة، لأن العاطفة المجنحة خبال، ولأن فقه سلفنا الصالح الذين عاشوا رهائن مقهورة في قبضة العض والجبر لم يخلفوا لنا إلا نثارا من العلم لا يجمعه مشروع متكامل»(2).

والانتقال من فقه «تجزيئي» إلى فقه «جامع» يمر عبر التحرر من طوق التقليد(3)، غير أن هذا التحرر لا يفيد «طرح الاجتهادات في فروع الفقه مما خلفه لنا رجال الإسلام العلماء العاملون، لكن أقصد أول شيء نبذ هذه الذهنية الكريهة التي تنظر في القرآن وفي السيرة العطرة بمنظار الطاعم الكاسي في البلاط»(4).

---

1 ـ يتكون الكتاب من 88 صفحة، ويحتوي على تقديم إضافة الى مقدمة تشير الى معطيين:

ـ الإنحراف الخطير

ـ ضرورة التفكير المنهاجي.

بعد ذلك يتطرق الى المحاور التالية:

ـ طوق التقليد ـ مكاسب ثمينة ـ القرآن حاكم ـ لتنقضن عرى الاسلام ـ عامل الإيمان بالغيب ـ من أعالي التاريخ ـ وحدة دار الاسلام ـ مطالب الشريعة ـ مقاصد الشريعة ـ بإزاء القرآن ـ الاجتهاد وتحقيق المناط ـ الاستنباط في خدمة القصد ـ الجنايات ـ الدعوة والدولة.

2 ـ عبد السلام ياسين: نظرات في الفقه والتاريخ. الطبعة الأولى. المحمدية. 1989 ص: 11.

3 ـ نفس المرجع. ص: 15

4 ـ نفس المرجع. ص: 16

لكن، مـا هو الفـقـه الجامع؟ إنه «الفـقـه الذي يعم في نظرة واحـدة الدعـوة والدولة في علاقاتهما الأولى على عهد تأليف الجماعة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، ثم في تطور هذه العلاقات تطورا توسعيا على عهد الخلافة الرشيدة، ثم في تطورها إلى الفساد والكساد على عهود الملك العاض فالجبري، ثم في الوضع الحالي وقد أصبح للعلمانية واللدهنية العلمانية والنوايا العدوانية على الدين الصدارة في تفكير الحكام وممارساتهم، حتى غطت الدولة على الدعوة تماما، وألجأتها الى منابر الوعظ المراقب الملجم المدجن أحيانا كثيرة، وإلى ركن «الأحوال الشخصية» بعيدا عن المجالات الحيوية المدنية والجنائية والاقتصادية والإدارية، ثم يعم الفقه الجامع في نظرة واحدة الدعوة والدولة وعلاقاتهما المطلوبة في مراحل البناء، كيف يستعيد رجال الدعوة مراكز القرار حتى يعود السلطان خاضعا للقرآن لا العكس»(5).

يتأسس الفقه الجامع على الاجتهاد، وقد اتفق العلماء على جملة من شروط يتطلب توفرها في المجتهد كـ «أن يكون عالما بنصوص الكتاب والسنة، وأن يكون عارفا بمسائل الإجماع، وأن يكون عالما بلسان العرب، وأن يكون عالما بعلم أصول الفقه «عماد فسطاط الاجتهاد وأساسه»، وأن يكون عارفا بالناسخ والمنسوخ، ثم اختلفوا في شروط أخرى منها اشتراط العلم بالبديل العقلي والعلم بعلم أصول الدين والعلم بعلم الفروع، لأن العلم بها وممارستها يعطي «الدربة» اللازمة، والعلم بعلم الجرح والتعديل ومعرفة القياس بشروطه وأركانه، لأن القياس مناط الإجتهاد وأصل الرأي ومنه يتشعب الفقه»(6)، لكن هذه الشروط لا تكفي، فـ «لو أجتمعت كل هذه الشروط في رجل لما استطاع في عصرنا أن يحيط بالوسائل الضرورية لتحقيق المقاصد الشرعية، يلزمه فقه دقيق بهذه المقاصد وهي قد التبست في العقول وفترت في النيات وغابت في الواقع»(7).

الفقه الجامع يتطلب اجتهادا جماعيا، فـ «لا يكفي الواحد للمهام الاجتهادية»(8)، والمجتهد لابد أن «يكون من أهل الدعوة، من صميمها، ممن يحيون بها ويتنفسون روحها ويحملون همها ويغضبون على «الاختلال الواقع والمتوقع فيها»، إن كانوا أصحاب أوراق وكراريس ونصوص وتجريد وتقليد، إن كانوا عقولا تدور على ألسنة عليمة والقلب فارغ، فلن يكونوا إلا طامة أخرى تأتي على الدين «من جانب العدم»(9).

---

5 ـ نفس المرجع. ص : 17

6 ـ نفس المرجع. ص : 83-84.

7 ـ نفس المرجع. ص : 84

8 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة

9 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة

الملاحظة الثانية : تعود إلى تهميش عروة الحكم وهي العروة الماسكة في النظر الفقهي، فقد «كان علماؤنا الأفاضل . . يتدارسون مقاصد الشريعة في شتاتها وفرديتها، تجد من أبواب كتب الحديث وكتب الفقه بابا للإمارة والجهاد مصطفا مع الأبواب الأخرى، لا يحتل المكانة اللائقة بالعروة الماسكة لكل العرى، كأن علماءنا في كفاحهم الدائم ضد إرادة الحاكم بأمره انتهوا الى تطليق هذه القضية العويصة، قضية الحكم ليتفرغوا معرضين عنها الى مهمتهم الحفاظية. انقبضوا عن قضية الحكم فانقبضت عنهم الرؤية الى كليات الدين من الزاوية العليا، ونحن نأمل أن يبسط الله لنا مجالا واسعا بأن يرفعنا الى المنطلق الأول إزاء القرآن الحاكم ننظر من أعلى لنتبين أهمية الوحدة التي لا تمكن إلا بالحكم الشوري الضامن وحده أن يسود العدل والإحسان»(10).

هناك حاجة إذن الى فقه «جامع»، ومهمة هذا الفقه أن يجعل من أولى اهتماماته عروة الحكم باعتبارها العروة الماسكة لكل العرى، والمرجعية الشرعية تبين أنها كانت أول العرى نقضا، فقد روى الإمام أحمد بسنده الحسن عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال : «لينقضن الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبثت الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة»(11).

لا تكتفي المرجعية الشرعية بتبيان انتقاض عروة الحكم، بل تحدد الجهة المسؤولة عن ذلك، فـ «عند البخاري حديث رواه بسنده عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : «كنت مع مروان وأبي هريرة في مسجد رسول الله(ص)، فسمعت أبا هريرة يقول : سمعت الصادق المصدوق يقول : «هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش»، فقال مروان : غلمة؟، قال أبو هريرة : إن شئت أن أسميهم : بني فلان وبني فلان»(12)، كما تحدد مدة الخلافة، فـ «في حديث إسناده حسن رواه أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان، في رواية الترمذي : عن سعيد عن سفينة رضي الله عنه أن رسول الله(ص) قال : «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك»، قال سعيد بن جهمان : ثم قال (أي سفينة) : أمسك (أي احسب في أصابعك) : خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال : أمسك خلافة علي، فوجدناها ثلاثين سنة، قال سعيد : فقلت له : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم! قال : كذبوا بنو الزرقاء! بل هم ملوك، شر الملوك!»(13).

إن المرجعية الشرعية عبر المأثور النبوي بشرت بالبديل، ففي حديث «رواه الإمام أحمد

10ـ نفس المرجع . ص : 55-56

11ـ نفس المرجع . ص : 29

12ـ نفس المرجع . ص : 30

13 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

بإسناد صحيح عن حذيفة أن رسول الله (ص) قال : «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون الخلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»(14).

إعادة الخلافة على منهاج النبوة موعود «نبوي» مؤسس على قاعدة قرآنية :

«كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا، إنا كنا فاعلين»(15)، وهذا الموعود «النبوي» تؤكده المرجعية «التاريخية».

ب ـ المرجعية «التاريخية» : «الانكسار التاريخي»

ينجز عبد السلام ياسين قراءة للتاريخ الاسلامي على ضوء المرجعية الشرعية، فقد «ذهبت الشورى مع ذهاب الخلافة الراشدة، ذهب العدل، ذهب الإحسان، جاء الاستبداد مع بني أمية، ومع القرون استفحل، واحتل الأرض واحتل العقول، واعتاد الناس أن يسمعوا عن الخلافة الأموية والعباسية وهلم جرا، وعاشوا على سراب الأسماء دون فحص ناقد للمسميات سماها رسول الله(ص) ملكا عاضا وملكا جبريا، وسماها «المؤرخون» الرسميون خلافة، فانطلت الكذبة على الأجيال»(16).

لا ينبغي إذن أن نتعامل مع تاريخنا تعاملا «تمجيديا» يحول دون «فهم الانكسار التاريخي الذي حدث بعد الفتنة الكبرى ومقتل ثالث الخلفاء الراشدين»(17)، ذلك أن «من أسباب عدم جدوانا أننا لا نتبين تاريخنا ولا نقرأه إلا بمنظار الإعجاب، وكأنه شيء تام متكامل يحمل في طياته العناصر السحرية التي خلقت الحضارة البراقة القوية»(18)، ومن «علماء المسلمين اليوم رجال الدعوة الأخيار من يوصي المسلمين ألا يتعرضوا لتاريخهم بالنقد، وألا يرموا سلفهم بالضلال، وأهم هؤلاء الرجال عالم المسلمين سيدي أبو الحسن الندوي، وأرى أن تجديد الاسلام لا يمكن إن لم يتخذ رجال الدعوة موقفا واضحا من تاريخ الإسلام بصفة عامة»(19).

ما هي إذن معالم هذا التاريخ؟ «إنه تاريخ حافل بالعلماء العاملين، حافل بالمفكرين

---

14 ـ نفس المرجع. ص : 7

15 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي. . . م. س. ص : 189

16 ـ عبد السلام ياسين : نظرات في الفقه والتاريخ . . . م. س. ص : 10

17 ـ نفس المرجع. ص : 27

18 ـ عبد السلام ياسين : الإسلام غدا . . . م. س. ص : 146

19 ـ عبد السلام ياسين : الإسلام أو الطوفان . م. س ص : 34

اللوذعيين والعقول المستنبطة المبدعة، لكن هذا النتاج المفخم كان نتاج حضارة ونتاج مجتمع فقدت منه روح الجماعة الأولى على عهد رسول الله(ص) وعهد خلفائه الأربعة، وأن الرسول (ص) أخبرنا أن الخلافة بعده ثلاث وثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا، وهكذا كان، ومن يومئذ حلت الفتنة في القمة وفسد الحكم وجر معه فساد أمر الأمة، الملك العاض يؤازره ديدان القراء المتزلفون المنافقون، مارس الحكم وفق نواميس التكاثر والعنف والجهل، أي وفق نواميس الجاهلية، ورزح تحت كابوسهم المسلمون وناهضوا الفتنة والفساد وأوذي العلماء وقتلوا، وكان منهم في كل عصر رجال يتشوفون لموعود الله ورسوله أن سترجع الخلافة على منهاج النبوة كما كانت»(20).

انتقال الأمة من الخلافة الى الملك العاض انكسار تاريخي يقتضي تعرفا علـى القوانين الموضوعية التي حكمتـه(21) كما يتطلب إدراكـا لدلالاته(22)، وتطابق المرجعية الشرعية مع المرجعية التاريخية يبين أن دعوة الاسلام تتشكل ماضيا وحاضرا ومستقبلا من خمس مراحل(23).

- **المرحلة الأولى** : مرحلة النبوة حيث جمعت «عموم الرسالة إلى شمولية الشريعة الى تنفيذ الحكم في الأرض بوازع القوتين، قوة النداء والدعوة الى الله بخطاب الضمائر، وقوة اليد المسؤولة المدبرة الآمرة الناهية الرادعة متى كان الردع لازما»(24)، مرحلة «كان للدعوة رفق وغاية وكان للدولة دستور هو شرع الله»(25).

---

20 - المرجع السابق. ص : 34-34

21 - يقول عبد السلام ياسين:

«لا تغيب عنا أسباب استيقاظ عصبية كانت في طريقها الى الذوبان في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ولا يغيب عنا الصراع بين طوائف جديدة من الشعوب والأجناس التي دخلت في الإسلام ولم تترب عليه تربية كاملة، ولا يغيب عنا كيف كانت هذه العناصر القلقة وسطا مناسبا فشت فيه حمى المطالبة والاعتراض والتآمر، لا يغيب عنا أخطاء بل أوزار فئة من الانتهازيين اندسوا في ثنايا الدولة على عهد الخليفة الثالث رضي الله عنه فكان منطقهم أن «دواء الأمة السيف». . لا يغيب عنا ما دخل المجتمع الاسلامي من أموال انصبت إثر الفتوح الواسعة لتحدث تحولات في نمط المعيشة».

- نظرات في الفقه والتاريخ. . . م.س. ص : 33-34.

22 - «نجد مثلا رواية تحدثنا عن الملك العاض أو العضوض، فيفهمها أسلافنا من مواقع زمانهم وسياسته ونظام حكمه والجو العام فيه، ومن مواقع اهتمامهم وهمهم وهمتهم وإشفاقهم على أنفسهم وعلى الأمة، يؤولون تلك الرواية على أن ذكر الملك العضوض تشريع له وإيصاء به، لا نكاد نجد من فهم الحديث على أنه إخبار بكارثة ستقع، إخبار يتضمن تحذيرا».

- المرجع السابق. ص : 18

23 - أحمد الملاخ : المستقبل للإسلام. مجلة الجماعة. العدد 2. م.س. ص : 77

24 - عبد السلام ياسين : الدعوة والدولة. مجلة الجماعة. العدد 3. م.س. ص 3

25 - نفس المرجع. ص : 4

ـ المرحلة الثانية : مرحلة الخلافة على منهاج النبوة، حيث «خلف رسول الله أئمة راشدون أرسوا القواعد وساروا على النهج»(26).

ـ المرحلة الثالثة : مرحلة «الحكم العاض»، بدأت بانتهاء حكم الخلافة الراشدة، والحكم العاض هو «الذي يعض على الأمة بالوراثة وبيعة الإكراه»(27).

ـ المرحلة الرابعة : «مرحلة «الحكم الجبري» وهي المرحلة التي تعيشها الأمة حاليا، والحكم الجبري هو الحكم الديكتاتوري بلسان العصر، و«هو أفظع من العاض، لأن الجبر إن كان يلوح بشعارات الدين كما يفعل الملك العاض، فقد أفرغ أجهزة الحكم والإعلام والتعليم وأفرغ قوانين الحكم من كل معاني الإسلام»(28).

ـ المرحلة الخامسة : عودة «الخلافة على منهاج النبوة» «تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الاسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركتها شيئا إلا أخرجته»(29).

إذا كان السند المرجعي قد كشف الحاجة الى إعادة بناء الخلافة على منهاج النبوة، فإن تجسيد هذه الحاجة يستوجب سندا سلوكيا.

2 ـ السند السلوكي : «جند الله»

يشكل «جند الله» سندا سلوكيا لإعادة الخلافة على منهاج النبوة، فما هي مراتب هذا الجند؟ وما هي مواصفاته؟.

أ ـ المراتب

تتحدد مراتب جند الله من خلال دائرتين؛ الأولى «عقدية» والثانية «تنظيمية».

أولا : الدائرة «العقدية»

هناك ثلاث مراتب داخل الدائرة «العقدية» يحددها حديث جبريل الذي رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عمر قال : «بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر،

26 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

27 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . م . س . ص : 5

28 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة

29 ـ من حديث الخلافة على منهاج النبوة برواية البزار ونقله الشاطبي .

أنظر :

ـ المرجع السابق : ص : 258

ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الاسلام! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت! فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الايمان! قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت! قال: فأخبرني عن الاحسان! قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك! . . . ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم): يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم! قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(30).

هناك إذن تمييز جلي بين ثلاث مراتب عقدية: مرتبة الاسلام ومرتبة الإيمان ومرتبة الإحسان، و«سواد جند الله لابد أن يكونوا مؤمنين، لا يكفي أن يكونوا مسلمين بالمعنى الخاص مع التوجه الواجب لمرتبة الاحسان»(31).

ثانيا ـ الدائرة «التنظيمية»

إذا كانت المراتب داخل الدائرة «العقدية» «تتحدد بدرجة قرب العبد من ربه، فالمراتب داخل الدائرة «التنظيمية» تتحدد بدرجة فاعلية العضو داخل التنظيم الذي يعمل في إطاره، وتنحصر المراتب داخل الدائرة «التنظيمية» في أربع:

ـ **المرتبة الأولى**: مرتبة العضو النصير، وهو العضو الذي يقوم بنصرة الدعوة.

ـ **المرتبة الثانية**: مرتبة العضو المهاجر، وهي مرتبة تمنح للعضو حين يحصل «إضافة الى المشاركة الناصرة على مجموع جيد من الفضائل العلمية والعملية الخلقية التنفيذية».

ـ **المرتبة الثالثة**: مرتبة «النقيب» وهو مكلف بتربية المؤمنين وتنظيمهم

ـ **المرتبة الرابعة**: مرتبة النقيب المرشد، وهو شخصٌ شاهد بالقسط قائم لله، فهو «المؤمن القوي الأمين الثابت في رباطه لا يتزعزع عن خط سيره مهما كانت العقبات، هو المجاهد الذي لا ينكشف عن الصف إن هرب الناس، ولا يقعقع له بالشنان، هو المؤمن المسؤول، حوله تتألف الجماعة يشيع فيها بنورانية قلبه معاني الإيمان، وبلطف معشره ولين جانبه المحبة، وبصراحة إرادته وضبطه الثقة، هو المجاهد القادر على بعث الارادة الجهادية في الآخرين، وعلى توجيه التربية والحركة قبل قيام الدولة الاسلامية وبعدها. . هو حجر الزاوية في البناء، لا قيام للجماعة بدونه، هو رجل الدعوة والدولة معا»(32).

30 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي. . . م. س. ص: 33
31 ـ نفس المرجع. ص: 35
32 ـ نفس المرجع. ص: 42

والانتقال من مرتبة الى مرتبة داخل الدائرة التنظيمية يقرره مجلس الشعبة بالنسبة لمرتبتي النصير والمهاجر، ومجلس الجهة بالنسبة لمرتبة النقيب(33) «وهكذا صعدا الى مجلس الإرشاد العام»(34).

ب ـ المواصفات : «الخصال العشر»

إن الغاية من اتسام جند الله بمجموعة من المواصفات تكمن في تحقيق وحدة سلوكه، ذلك أن «تفاوت الأفراد في الاستعداد والكسب والتحلي بخصال الإيمان لا ينفي ولا يناقض وحدة السلوك التي تؤدي الى وحدة الشعور، فتؤدي هذه الى وحدة الولاء»(35).

تختزل المواصفات المتطلب توفرها في جند الله في خصال عشر(36)، وهذه الخصال مرتبة ترتيبا تصاعديا، إذ لا يمكن الانتقال الى خصلة دون التشبع بالخصلة التي تسبقها، ولكل خصلة مغزى تربوي وآخر تنظيمي وتتفرع عنها مجموعة من الشعب.

الخصلة الأولى : «الصحبة والجماعة»

«إنما ينفع الله عز وجل المؤمن الصادق الجاد في الإقبال على ربه أول ما ينفعه بصحبة رجل صالح، ولي مرشد، يقيضه له، ويقذف في قلبه حبه، ومتى كان المصحوب وليا لله حقا والصاحب صادقا في طلب وجه الله ظهرت ثمرة الصحبة»(37)، وهذه الصحبة لها ما يسندها شرعا(38) وتاريخا(39).

تتخذ الصحبة عدة أشكال :

الشكل الأول : التلمذة

الشكل الثاني : المخاللة.

---

33 ـ حيث إن النقيب قد يكون نقيب أسرة أو شعبة أو جهة أو إقليم أو نقيب مجلس التنفيذ. لمزيد من المعطيات، أنظر ما كتبناه عن هيكلة الجماعة في المبحث الثاني من الفصل الثاني من القسم الأول من هذه الدراسة.

34 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م.س. ص : 40

35 ـ نفس المرجع. ص : 118

36 ـ يستخلص عبد السلام ياسين هذه الخصال العشر من حديث شعب الايمان الذي رواه الشيخان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون ـ عند البخاري ـ بضع وستون. شعبة» (زاد مسلم): أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»

ـ المرجع السابق. ص : 115

وحصرها الحليمي والبيهقي في سبعة وسبعين.

ـ نفس المرجع. ص : 118

الشكل الثالث : السلوك الموجه.

الشكل الرابع : عقد الأخوة(40).

إذا كانت الأشكال الثلاثة الأولى من الصحبة تتم على مستوى فردي، فإن عقد الأخوة يتم على مستوى الجماعة، وليتجسم هذا العقد في الجماعة، هناك حاجة الى دعاء الرابطة، فدعاء الرابطة ضروري «لربط المؤمنين في جماعة، فإذا سرى معنى الربط بتكرار المجالسة وتكرار الوقوف بين يدي الله في الصلاة والعمل المشترك والدعاء الرابط، التقت الصحبة بالجماعة ولم تكن الجماعة شكلا ولا الصحبة صحبة انفرادية»(41).

غير أن الصحبة ليست مطلوبة لذاتها، بل ينبغي أن تفضي الى جماعة، فـ «مما يفرق ولا يجمع وجود صحبات لا تفضي لجماعة ووجود تقوى لا تتفتح على جهاد»(42)، «تعدد الصحبة وتعدد المتبوعين المقدمين كما يعبر الغزالي قد يكون سببا في صدع وحدة الجماعة، فإن أولياء الله العارفين به ما هم في درجة الصحابة رضي الله عنهم، فهم أكثر تعرضا للخلاف معهم، ولا هم معصومون، فنخشى أن ينشأ عن تفرقهم تفرق الأمة من حيث نسعى لتجمع»(43).

هناك تساؤل يفرض نفسه : كيف نجمع بين صحبة مشايخ ليربون جند الله وبين الحفاظ على نظام الجماعة ووحدتها؟، المخرج يتمثل في تأكيد ضرورة توفر شرط، إضافة الى شروط الولاية وأهلية التربية، يعتبر حافظا لوحدة الصف : قدرة الشيخ المربي الصالح للجهاد على حفظ وحدة الجماعة(44).

---

37 ـ المرجع السابق. 123

38 ـ فيما رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح. وقال فيه الترمذي حديث حسن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»

ـ المرجع السابق. ص : 123-124

39 ـ «كل تاريخ الإيمان يشهد بأن قلب الداعي الى الله على بصيرة، نبيا كان أو وليا، هو النبع الروحي الذي اغترفت منه أجيال الصالحين بالصحبة والملازمة والمحبة والتلمذة والمخاللة».

نفس المرجع. ص : 124

40ـ المرجع السابق. ص : 126

41ـ المرجع السابق. ص : 127

42ـ نفس المرجع. ص : 128

43ـ نفس المرجع. نفس الصفحة

44ـ نفس المرجع. ص : 128-129

إن الصحبة لا ينبغي أن تتنافى مع الجماعة أي «لا يغلب جانب التأمل والذكر المنفرد والتقوى الانعزالية والخلوة القاعدة جانب التحرك والجهاد لإقامة الدولة الاسلامية والخلافة على منهاج النبوة»(45).

الصحبة محبة في الله وتآخ وتراحم والجماعة تنظيم(46)، فلا صحبة بدون جماعة ولا جماعة بدون صحبة.

لخصلة الصحبة والجماعة إحدى عشر شعبة:

- الشعبة الأولى: محبة الله ورسوله(47)،
- الشعبة الثانية: الحب في الله عز وجل(48).
- الشعبة الثالثة: صحبة المؤمنين وإكرامهم.
- الشعبة الرابعة: التأسي برسول الله في خلقه.
- الشعبة الخامسة: التأسي برسول الله في بيته.
- الشعبة السادسة: الإحسان الى الوالدين وذوي الرحم والصديق.
- الشعبة السابعة: الزواج بآدابه الاسلامية وحقوقه.
- الشعبة الثامنة: القوامة والحافظية(49).

45- نفس المرجع. ص: 129

46- عبد السلام ياسين: رسالة تذكير. الطبعة الأولى. مطبوعات الأفق، الدار البيضاء ص: 13

47- انطلاقا من الحديث القدسي: «حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء». رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم والقضاعي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

48- انطلاقا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده». رواه البخاري وغيره.

49- تتمثل القوامة في مسؤولية الرجل عن رعيته يربيها ويطعمها ويكسوها ويحميها: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم»(النساء: 34)، وتتجلى الحافظية في حفظ المرأة لغيب الرجل حامية لظهره كي ينبعث الى جهاده آمنا أن تظهر من خلفه عورة تكسر صلبه»: «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله» (النساء: 34). أنظر:

- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م. س. ص: 142.

- الشعبة التاسعة : إكرام الجار والضيف(50).

- الشعبة العاشرة : رعاية حقوق المسلمين والإصلاح بين الناس.

- الشعبة الحادية عشرة : البر وحسن الخلق(51).

- الخصلة الثانية : «الذكر»

الذكر توحيد للمعبود وإفراده بالعبادة مواظبة وخشوعا(52)، وغاية هذه الخصلة تحرير جند الله من هذيان الجاهلية وفلسفتها ونظرياتها الايديولوجية(53)، هذه الخصلة القرآنية(54) النبوية(55) لا تفيد فقط «مناجاة في الضمائر، وكلمات على اللسان، وشعائر ظاهرة يعظمها المؤمن، بل الذكر الوقوف بين يدي الله صفا في الصلاة، يتقدم إليه جند الله بأداء مراسيم العبودية، ثم إشاعة حاكمية الله في علاقات جند الله مع الله، وفي علاقتهم استعدادا لتطبيق شريعته يوم يؤول الحكم الى المؤمنين في كل مجالات الحكم والسياسة والاقتصاد وشكل المجتمع والعدل فيه والثقافة والجهاد كله»(56).

50- انطلاقا من الحديث: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها.

51- عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 138-145

52- عبد السلام ياسين : رسالة تذكير. . . م. س. ص : 14

53- عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. ص : 147

54 - وردت عدة آيات بشأن هذه الخصلة :

- «ألا بذكر الله تطمئن القلوب». الرعد : 28

- «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين لله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما». الأحزاب : 35.

- «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا». الأحزاب : 42

55- وردت عدة أحاديث بشأن هذه الخصلة.

- «من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن أعطى الدنية من نفسه طائعا غير مكره فليس مني». رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود.

- «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه». حديث قدسي رواه البخاري ومسلم.

- قال رجل لرسول الله (ص): يا رسول الله، إن شرائع الاسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لايزال لسانك رطبا من ذكر الله». رواه الترمذي وقال حديث حسن.

56- عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م. س. . ص : 151

هذا ما تفيده خصلة الذكر تربية، أما تنظيما، فإنها تساهم في «نقلة جماعية من معاني التجمع السياسي والتنظيم الأرضي الى معاني النسبة الى الله ورسوله وكتابه»(57)، إنها خصلة تبلور هوية جديدة للجماعة وتمنح إجابات عن أسئلة محددة:

- من نحن: جند الله.
- ولاؤنا: لله.
- غايتنا: وجه الله.
- قائدنا: رسول الله.
- حاكمنا: الله.
- دستورنا: كتاب الله.
- وسيلتنا: الجهاد في سبيل الله.
- استعدادنا: الموت في سبيل الله(58).

إن خصلة الذكر تنقل الولاء الى الله ورسوله والمؤمنين عوض الولاء الى العصبيات الدموية والقومية التي سماها الرسول عزاء الجاهلية(59).

---

57 ـ نفس المرجع. نفس الصفحة

58 ـ نفس المرجع نفس الصفحة.

ومن أجل المقارنة نورد ما تطرحه الجماعة الاسلامية (تنظيم الجهاد) بمصر حيث تقول:

- غايتنا: رضى الله تعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم.
- عقيدتنا: عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلا.
- فهمنا: نفهم الاسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبي(ص) وسنة الخلفاء الراشدين المهديين (رضي الله عنهم).
- طريقنا: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.
- زادنا: تقوى وعلم.. يقين وتوكل... شكر وصبر... زهد في الدنيا وإيثار الآخرة.
- ولاؤنا: لله ولرسوله وللمؤمنين.
- عداؤنا: للظالمين.
- اجتماعنا: لغاية واحدة... بعقيدة واحدة... تحت راية فكرية واحدة.
- الجماعة الاسلامية بمصر: صفحات من ميثاق العمل الاسلامي. وثيقة.

59 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 153

تندرج ضمن خصلة الذكر(60) ثلاثة عشر شعبة:

- الشعبة الأولى: لا إلاه إلا الله(61)
- الشعبة الثانية: الصلاة.
- الشعبة الثالثة: النوافل.
- الشعبة الرابعة: تلاوة القرآن(62).
- الشعبة الخامسة: ذكر الله في النفس وفي الملأ(63).
- الشعبة السادسة: مجالس الإيمان.
- الشعبة السابعة: التأسي بأذكار الرسول.
- الشعبة الثامنة: الدعاء وآدابه.
- الشعبة التاسعة: التأسي بدعوات الرسول.
- الشعبة العاشرة: الصلاة على النبي.
- الشعبة الحادية عشرة: التوبة والاستغفار.
- الشعبة الثانية عشرة: الخوف والرجاء.
- الشعبة الثالثة عشرة: ذكر الموت(64).

60- حول فضل الذكر وآدابه، أنظر:

- حسن البنا: المأثورات، واردة في رسائل الامام... م. س. ص: 459-463

61- تقوم هذه الشعبة بوظائف منها: أولا تجديد الايمان كما جاء في الحديث: «جددوا إيمانكم، قالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله». رواه الامام أحمد ورجاله ثقات والطبراني وأشار السيوطي الى صحته، ثانيا أنها تجمع الأمة المسلمة. أنظر:

- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م. س. ص: 155-156

62- انطلاقا من الحديث: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيما عندهم. رواه مسلم وأبو داوود وغيرهما:::

63- يسمي عبد السلام ياسين هذه الشعبة الذكر وأثره، ونفضل تسميتها بذكر الله في النفس وفي الملأ تمييزا للشعبة عن الخصلة. أنظر:

- المنهاج النبوي... م. س. ص: 159

64- المرجع السابق. ص: 154-168

ـ الخصلة الثالثة : «الصدق».

الصدق تربية يناقض :

أولا : النفاق بشعبه : الكذب في الحديث وإخلاف الوعد وخيانة الأمانة والفجور في الخصام(65).

ثانيا : البقاء على العادات والذهنيات والأنانيات الموروثة، الصدق يستوجب القطع مع حبال الجاهلية وذلك بانتهاج هجرة معنوية(66).

ثالثا : البقاء على الاسلام الموروث عقيدة وعبادة وعلاقات(67).

رابعا : الرضى بالأوهام والخرافات المتفشية بين الناس، ذلك «أن تصحيح قواعد العقيدة في الصف وحوله وفي القاعدة الشعبية شرط أساسي للمواجهة»(68).

خامسا : الرضى بأنصاف الحلول في أهدافنا وفي مؤهلات جند الله، فعلى مستوى المؤمن ينبغي أن يكون كامل الايمان يستحضر الاسلام في شموليته، وذلك مدعاة لشجب أنصاف الحلول بالنسبة للأهداف والوسائل والغاية الاسلامية(69).

سادسا : التجميع التكاثري دون اعتبار العناصر واختبارها، فهناك حاجة ماسة للتعرف على صدق الوارد الذي يتجلى في أعماله ومواقفه في الطاعة والتنفيذ والقدرة على ضبط النفس(70).

سابعا : الغموض في كفاءات الأفراد ونواياهم ومشاركتهم للجماعة في تصورها للعمل ورضاهم بأسلوبها ونظامها وإمارتها وخطها السياسي(71).

65ـ نفس المرجع. ص : 169، وأنظر كذلك : رسالة تذكير.. م.س. ص : 17

66ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م.س. ص : 170

67ـ نفس المرجع. نفس الصفحة.

68ـ نفس المرجع نفس الصفحة.

69ـ نفس المرجع. ص : 171.

70ـ نفس المرجع. نفس الصفحة

71ـ نفس المرجع. ص : 172

تتفرع عن خصلة الصدق إحدى عشر شعبة :

- الشعبة الأولى : الايمان بالله وبغيبه.
- الشعبة الثانية : الايمان باليوم الاخر.
- الشعبة الثالثة : النية والإخلاص(72).
- الشعبة الرابعة : الجهر بالحق(73).
- الشعبة الخامسة : النصيحة(74).
- الشعبة السادسة : الأمانة والوفاء بالعهد.
- الشعبة السابعة : سلامة القلب.
- الشعبة الثامنة : الهجرة(75).
- الشعبة التاسعة : النصرة(76).

72 ـ النية انطلاقا من الحديث : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر إليه». رواه الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والإخلاص انطلاقا من خطبة الرسول(ص) في حجة الوداع : «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مؤمن : إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم محيط من ورائهم». رواه البزار وابن حبان. والاخلاص لله تعالى «لا ينفك عن الاخلاص لجماعة المؤمنين»، فـ«الإخلاص لله أن نجمع ونربي وننظم ونقيم أمرنا على كتاب الله وسنة رسوله لتكون لنا جماعة وإمامة». أنظر :

- عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م.س. ص : 183-184

73 ـ يدخل عبد السلام ياسين تحت خصلة الصدق شعبة الصدق، ونقترح تسميتها بشعبة الجهر بالحق حتى تميز الخصلة عن إحدى شعبها.

74 ـ انطلاقا من الحديث : «إن الدين النصيحة! إن الدين النصيحة! إن الدين النصيحة! قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال : لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم». رواه الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجة عن تميم الداري.

75 ـ «ما كانت الهجرة حدثا تاريخيا فريدا انقضى، بل هي معنى وسلوك واختيار، هجرة الأفراد الايمانية الخلقية الإرادية، تتبعها هجرة كل منهم نحو إخوته وانضمامه اليه وانتظامه معهم».

- عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م.س. ص : 189

76 ـ تتمثل في وجود «قاعدة نصيرة في الأمة تتحلى بالايمان وتحب الدعاة المهاجرين الى الله ورسوله، وتؤوي وتؤثر على نفسها وتدعم الحركة حتى النصر الموعود بإذن الله».

- المرجع السابق. نفس الصفحة

- الشعبة العاشرة : الشجاعة(77) .

- الشعبة الحادية عشرة : تصديق الرؤيا الصالحة وتعبيرها(78) .

- الخصلة الرابعة «البذل» .

البذل هو جهاد بالمال(79)، هو عطاء وسماحة وكرم ومساعدة وخدمة وفتوة(80)، هو مقدمة للجهاد بالنفس(81)، والذي لا يتصف بهذه الخصلة يظل بعيدا من الله وبعيدا من الناس(82) .

تتضمن خصلة البذل خمس شعب :

- الشعبة الأولى : الزكاة والصدقة .

- الشعبة الثانية : الكرم والنفقة في سبيل الله .

- الشعبة الثالثة : إيتاء ذوي القربى واليتامى والمساكين .

- الشعبة الرابعة : إطعام الطعام .

- الشعبة الخامسة : قسمة المال(83) .

- الخصلة الخامسة : «العلم» .

العلم ما قرب الى الله وما بصر بالمصير إليه ومادل على الواجبات من قبله وما رسخ الخطى اتباعا واحتراما لسنة رسول الله(84)، والعلم هو ما نفع، والعلم النافع ليس كما يقول مالك «بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلب»(85)، إنه «فهم العقل الخاضع

---

77 - يجب أن يتصف جند الله «بإيمان بالله واثق وطاعة لأمره وأمر رسوله لا تتخلف، ثم بشجاعة تمكنهم من «اقتحام العقبة ومواجهة الموت» .
- المرجع السابق . ص : 190

78 - غير أن هذا التصديق لا ينبغي أن يرتب حكما جديدا أو تعطيل حكم معروف من أحكام الشريعة أو ينبني عليها عمل . المرجع السابق . ص : 192 .

79 - نفس المرجع . ص : 193

80 - عبد السلام ياسين : رسالة تذكير . . . م.س. ص : 19

81 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م.س. ص : 193

82 - نفس المرجع . ص : 195

83 - نفس المرجع . ص : 205-209

84 - عبد السلام ياسين : رسالة تذكير . . . م.س. ص : 20

85 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م.س. ص : 213

لجلال الله ونور في قلب من أيده بالإرادة الجهادية»(86).

للعلم النافع ثلاثة ضوابط :

- **الضابط الأول** : ألا يحتل الخلاف على اجتهاد السلف شغل جند الله، بل ينبغي الرجوع الى المعين الذي استقى منه ذلك السلف مع ضرورة الاستفادة من مناهجه في الاجتهاد(87).

الضابط الثاني : لقد انحصر مجال اجتهاد العلماء في الفقه العبادي والمعاملات الاجتماعية بعد أن أقصاهم السلطان من الحياة العامة، وبالتالي كان الفقه فقه فروع، وجند الله في حاجته الى فقه كلي، والفقه الكلي النافع هو «ذاك الذي يخط لنا ويعلمنا كيف ننفذ حكم الله في إقامة الدولة وتسييرها، في تنظيم المجتمع وإقامة العدل فيه، في تربية وتنظيم جماعة المؤمنين، في إدارة شؤون المسلمين إنتاجا وتوزيعا ومعالجة للمعايش، في إدارة الاقتصاد ووظائفه، في جعل أمور الأمة شورى بين رجالها من أهل الحل والعقد»(88).

- **الضابط الثالث** : على جند الله أن «يأخذ من العلم بقدر ما يقيم به فرضه وسنته ويتوسع في فقه الشريعة ما أمكنه»(89)، وهذا القدر من العلم يندرج في خانة الفروض العينية(90)، أما على مستوى الفروض الكفائية، فـ«يتعين على ذوي الكفاءات والاستعداد التفرغ لكسب العلوم التخصصية؛ سواء تعمقا في علم الحق أو مهارة وخبرة في شؤون الصناعة والتكنولوجيا أو نظريا من علوم العصر ضرورية لحياة الأمة»(91).

أول العلم تنظيما التوحيد العقدي : توحيد الله، وهذا التوحيد له امتداداته السياسية : توحيد الأمة انطلاقا من توحيد الجماعات الاسلامية القطرية(92).

تشمل خصلة العلم ست شعب :

---

86 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة .

87 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة .

88 ـ نفس المرجع . ص : 214.

89 ـ نفس المرجع . نفس الصفحة .

90 ـ من العلم الذي يندرج في فرض العين «كتاب الله عز وجل تلاوة وحفظا وفهما، وسنة رسول الله (ص) دراسة واتباعا وإتقان لغة القرآن لمحاربة الهيمنة الثقافية».

ـ المرجع السابق : نفس الصفحة

91 ـ من علوم الكفاية «اللغات والعلوم التجريبية التقنية وعلوم التنظيم والادارة وعلوم السياسة والاجتماع» شريطة تجريد هذه العلوم من ركائزها المادية».

ـ ننفس المرجع . ص : 215.

92 ـ نفس المرجع . ص : 216

ـ الشعبة الأولى : طلب العلم وبذله(93).

ـ الشعبة الثانية : التعليم والتعلم وآدابهما.

ـ الشعبة الثالثة : تعلم القرآن وتعليمه(94).

ـ الشعبة الرابعة : الحديث الشريف واتباع السنة(95).

ـ الشعبة الخامسة : التعليم بالخطابة(96).

ـ الشعبة السادسة : التعليم بالمواعظ والقصص(97).

ـ **الخصلة السادسة : «العمل»**

«الإيمان تصديق بالجنان وشهادة باللسان وعمل بالأركان، الذين آمنوا إنما يعرفون بالعمل الصالح»(98)، والقاعدة الجامعة في العمل «أن يكون صالحا يرضاه الله سبحانه، وليكون كذلك أن يكون عملنا تحقيقا لإيماننا»(99)، فـ«سلوكنا العملي يقول للناس بلسان الحال ماذا يعني الحل الاسلامي بالنسبة لمستقبل الأمة ومستقبل كل فرد وفئة، وبلسان المقال والدعوة والإعلام بكل وسائله نقول تصورنا لكل نواحي التغيير الذي نريده، ونهيء هذا التغيير على مستوى الأرقام والإحصاء والزمان والمكان والموارد والإمكانيات استعدادا ليوم القومة وما بعدها، استعدادا لجهاد البناء»(100).

---

93 ـ «العلوم التي يتعين على الأمة أن تطلبها وتبذلها لأجيالها وتنشرها فيهم هي تلك التي يحركها روح العلم بالله وبسنة رسوله، فالخير كله في الفقه في الدين، وما يأتي بعد الفقه في الدين فهو وسيلة لخدمة مقاصد الدين».

ـ المرجع السابق. ص : 223

94 ـ انطلاقا من الحديث : «خيركم من تعلم القرآن وتعلمه». رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عثمان.

95 ـ «ينبغي أن تكون السنة دليل جند الله ونموذج سلوكهم ومرجعهم في استنباط فقه الحركة والجهاد».

ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م. س. ص : 277

96 ـ حيث ينبغي أن يدرب جند الله على الخطابة بأصولها.

ـ المرجع السابق. نفس الصفحة

97 ـ غايته أن يذكي الهمم ويوجه نحو السلوك الايماني الحكيم : المرجع السابق ص 229.

98 ـ عبد السلام ياسين : رسالة تذكير... م. س. ص : 21

99 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م. ص. ص : 231

100 ـ نفس المرجع. ص : 232

يقتضي العمل :

أولا : الوضوح في كل الخطوات حيث يتم الابتعاد عن العمل في إطار مغلق سواء على مستوى الذات أو مستوى الشعب(101).

ثانيا : الإحسان أي الدقة والإتقان في الإنجاز(102).

ثالثا : المسؤولية التي تتجلى في إيثار الصدق على الكذب والوضوح على الغموض والتخطيط على الارتجال(103).

هذا على مستوى العمل تربية، أما على مستوى العمل تنظيما، فـ «يجب ألا يتحرك الركب في ميدان العمل قبل أن يتأكد من أن المنهاج محكم، وأنه لا خلل يخاف في الصف نتيجة لنقص في التربية أو لتفكك في التنظيم أو لغموض في الرؤية، أو لعجز عن الانجاز والاتقان وتحمل المسؤولية»(104).

تحتوي خصلة العمل على سبع شعب :

- الشعبة الأولى : التكسب.
- الشعبة الثانية : طلب الحلال.
- الشعبة الثالثة : العدل.
- الشعبة الرابعة : إماطة الأذى عن الطريق.
- الشعبة الخامسة : التواصي بالحق والصبر.
- الشعبة السادسة : تأييد الله عباده المجاهدين بالغيب.
- الشعبة السابعة : البركة في الأرزاق(105).

- الخصلة السابعة/السمت الحسن

«السمت التميز شكلا ومضمونا عن مظاهر الجاهلية ومخابر الفتنة»(106)

101 - نفس المرجع. ص : 233-234

102 - نفس المرجع. ص : 234

103 - المرجع السابق. ص : 234-235

104 - نفس المرجع. ص : 235-236

105 - نفس المرجع. ص : 245-257

106 - عبد السلام ياسين : رسالة تذكير... م.س. ص : 23

والسمت الحسن «أن نقصد بهمتنا وإيماننا وأعمالنا الصالحة مقصد رسول الله(ص) ونظهر بمظهره ونقلده في جليل الأمر وعاديه»(107)، والسمت الحسن «أن تكون لغة خطابنا ومعاني مذهبنا تمتح من معين القرآن»(108).

تتفرع عن خصلة السمت الحسن سبع شعب:

- الشعبة الأولى: الطهارة والنظافة(109).
- الشعبة الثانية: آداب اللباس.
- الشعبة الثالثة: حسن المظهر والبشر(110).
- الشعبة الرابعة: الحياء.
- الشعبة الخامسة: آداب المعاشرة.
- الشعبة السادسة: الجمعة والعيدان.
- الشعبة السابعة: عمارة المسجد(111).

- الخصلة الثامنة: «التؤدة».

تفيد التؤدة صبرا ورفقا وطول نفس وتحملا للأذى(112)، وجند الله الذي يرغب في التغيير بإقامة الخلافة على منهاج النبوة «لابد له أن يتقدم الى الميدان وله من القدرة على مواجهة الواقع المكروه، ومن قوة ضبط النفس وقوة الصبر والتحمل وقوة الصمود والثبات على خط الجهاد مهما كانت القوى المعادية متألبة، إنما يستطيع أن يربي جيل الانقاذ رجال لا تستخفهم نداءات الباطل ولا يلعب بهم الهوى ولا يتحركون على الظن والهواجس»(113).

---

107 - عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 263

108 - عبد السلام ياسين: رسالة تذكير... م.س. ص: 23

109 - «طهارة الظاهر تزكية للجسم ليقف أمام الله عز وجل وقفة المصلي المتلقي فيض الايمان، فهي تطهير الوعاء من ظاهره، لذلك كانت نصف الايمان، والنصف الآخر تطهير الوعاء من داخله وهو القلب بذكر الله والصلاة والصدقة والصبر وسائر القربات».

- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 271.

110 - يسميها عبد السلام ياسين: «السمت الحسن والبشر» ونسميها «حسن المظهر والبشر» تمييزا للخصلة عن إحدى شعبها.

111 - عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 271-284.

112 - عبد السلام ياسين: رسالة تذكير... م.س. ص: 24

113 - عبد السلام ياسين: المنهاج البنوي... م.س. ص: 288

إن خصلة التؤدة تقتضيها ثلاثة عوامل :

- **العامل الأول** : ميراث الفتنة وخلافات الأجيال.

- **العامل الثاني** : طبيعة الشباب وهم صفوة جند الله وعماد المستقبل.

- العامل الثالث : طبيعة العمل الاسلامي وسط الفتنة(114).

تفترض خصلة التؤدة تنظيما :

أولا : التدرج في الخطوات، ذلك أن من أخطر مزالق التنظيم «أن تتضخم الأعداد على حساب النوعية»(115).

ثانيا : التدرج في التربية(116).

ثالثا : متابعة الأعمال والقرارات حتى لا يتم القفز على المراحل(117).

رابعا : امتحان الصبر(118).

خامسا : ضبط النفس عند المشورة(119).

سادسا : الثبات في الميدان ومن تجلياته الجهر بالدعوة رغم التنكيل(120).

سابعا : انفطام جند الله عن «مغريات المجتمع» حتى يستطيعوا أن يفطموا هذا المجتمع «عما ألفه من لهو وعبث وكسل وإهمال للمسؤولية وتفكير رديء وأخلاق منحلة»(121).

تندرج ضمن خصلة التؤدة ثماني شعب :

- الشعبة الأولى : الصوم(122).

---

114 - نفس المرجع. ص : 290-291

115 - نفس المرجع. ص : 292

116 - نفس المرجع. ص : 293

117 - نفس المرجع. ص : 293

118 - نفس المرجع. ص : 294

119 - نفس المرجع. ص : 295

120 - نفس المرجع. ص : 296-297-298

121 - نفس المرجع. ص : 298-299

122 - «إضافة الى صوم رمضان، لابد من الاستعانة لحفظ الشفافية الروحية من صوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع والأيام البيض ويوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء والستة من الشوال والإكثار من الصوم في شعبان والمحرم».

- المرجع السابق. ص : 300

ـ الشعبة الثانيـة : القيام في حدود الله.

ـ الشعبة الثالثة : حقن الدماء والعفو عن المسلمين.

ـ الشعبة الرابعـة : حفظ اللسان والأسرار(123).

ـ الشعبة الخامسـة : الصمت والتفكر(124).

ـ الشعبة السادسة : الصبر وتحمل الأذى.

ـ الشعبة السابعة : الرفق والأناة والحلم ورحمة الخلق.

ـ الشعبة الثامنـة : التواضع(125).

ـ الخصلة التاسعة : «الاقتصاد»

يفيد الاقتصاد توسطا رفيقا وسيرا حثيثا وخطى في الدنيا لا تزيغ بجند الله عن قصده الأخروي ومطلبه الإحساني(126)، والاقتصاد الوارد في القرآن وفي الحديث يعني التوسط المحمود بين طرفي الإفراط والتفريط(127). فـ«التوسط المحمود لا يعني قبول أنصاف الحلول في الجـهـاد... ولا يعني الإلتـواء، بل يعني التـمـاس الهـدف والغـاية من أقـرب طريق وبالوسائل الأقرب مباشرة»(128).

خصلة الاقتصاد لها صلة وثيقة بخصلة التؤدة، فحتى لا تتحول هذه الأخيرة الى خلود للراحة والاستكانة، لابد من خصلة الاقتصاد حتى يتذكر المؤمن وجماعة المؤمنين أنهم ركب قاصدون الى غاية ما تنبغي لهم الراحة الموهنة(129).

لخصلة الاقتصاد ثلاث شعب :

---

123 ـ «في كل الحالات، لا بد أن يكون لجند الله أسرار تصان صيانة تامة».

ـ المرجع السابق. ص : 311

124 ـ «الثرثرة سطحية والصمت عمق، الإسراع الى الكلام خفة والتفكر وتقليب الرأي رزانة».

ـ المرجع السابق. ص : 312

125 ـ المرجع السابق : 300 - 315.

126 ـ عبد السلام ياسين : رسالة تذكير... م.س. ص : 25

127 ـ انطلاقا من الآية الكريمة : «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط، فتقعد ملوما محسورا» (الإسراء : 29).

128 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م.س. ص : 317

129 ـ نفس المرجع. ص : 317-318

- **الشعبة الأولى** : حفظ المال(130).

- **الشعبة الثانية** : الزهد والتقلل(131).

- **الشعبة الثالثة** : الخوف من غرور الدنيا(132).

- **الخصلة العاشرة «الجهاد»**

في عرف الجاهلين الجهاد «جهاد السيف وانتهى»(133)، لكن الجهاد أبواب وهي :

أولا : جهاد النفس.

ثانيا : جهاد المال.

ثالثا : جهاد التعليم.

رابعا : جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامسا : جهاد الكلمة والحجة.

سادسا : جهاد التعبئة والبناء.

سابعا : الجهاد السياسي.

ثامنا : جهاد التنفيذ.

تاسعا : جهاد الكفر.

عاشرا : جهاد النموذج الناجح.

حادي عشر : جهاد التوحيد(134).

---

130 - «استحقاق الملكية الخاصة للحرمة ينتفي عندما تتحول الملكية الخاصة الى وسيلة لاحتواش الأموال واستقطابها حتى تصبح دولة بين الأغنياء».

- المرجع السابق. ص : 347

131 - «الزهد فضيلة فردية تقابلها فضيلة جماعية اجتماعية هي التقلل»، ويتم الاستعاضة بهما عن كلمة التقشف وهي كلمة جافة لا تؤدي معنى إيمانيا.

- المرجع السابق. ص : 351

132 - انطلاقا من الآية الكريمة : «يا أيها الناس إن وعد الله حق، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» (فاطر : 5).

133 - عبد السلام ياسين : رسالة تذكير . . . م.س . ص : 26

134 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي. . . م.س. ص 382-432

تتفرع عن خصلة الجهاد ست شعب :

ـ الشعبة الأولى : الحج والعمرة.

ـ الشعبة الثانية : الاستشهاد في سبيل الله(135).

ـ الشعبة الثالثة : التأسي برسول الله (ص) وأصحابه في الجهاد.

ـ الشعبة الرابعة : الخلافة والإمارة.

ـ الشعبة الخامسة : المبايعة والطاعة.

ـ الشعبة السادسة : الدعوة الى الله(136).

135 ـ يسمي عبد السلام ياسين هذه الشعبة «الجهاد في سبيل الله» ونسميها «الاستشهاد في سبيل الله» تمييزا للخصلة عن إحدى شعبها.

136 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م.س. ص : 438-450

II ـ بلورة الرهان

من واجب جند الله أن يعمل على بلورة الرهان الاستراتيجي المتمثل في إقامة الخلافة على منهاج النبوة، وهو رهان يريد من جند الله «حضورا ثقيلا قويا على الأرض ليغالب الأعداء وينتج ويصنع ويتسلح ويخوض الأسواق العالمية ويزاحم العالمين بالأكتاف»(137).

فما هي مراحل هذا الرهان؟ وما هي معالمه؟

ا ـ المراحل

يمكن اختزال مسار بلورة الرهان الاستراتيجي في مرحلتين تفضيان تباعا الى إقامة الخلافة على منهاج النبوة(138): مرحلة الإعداد ومرحلة القومة.

أ ـ مرحلة الإعداد: بناء جماعة المسلمين القطرية

إقامة جماعة المسلمين القطرية واجب شرعي(139)، ولكن من هم المؤهلون لإقامتها؟

هناك ثلاثة أصناف من جند الله مطالبون شرعا بتأسيسها وهم:

ـ **الصنف الأول**: ذوو الغناء في الاسلام وهم الذين أفادوا الدعوة وخدموها أو يستطيعون تقديم المزيد من الخدمات لها.

ـ **الصنف الثاني**: ذوو السابقة في الاسلام وهم الذين برهنوا بسابق جهادهم على صدقهم.

ـ **الصنف الثالث**: ذوو الحظ من الله وهم الصادقون الصالحون العازمون على الجهاد(140).

ومادام العالم الإسلامي يعيش تمزقا سياسيا بحكم اختراقه من قبل مجموعة من الأنظمة

---

137 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي . . . م. س. ص: 167

138 ـ يقول حسن البنا: «والإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج الى كثير من التمهيدات التي لابد منها. وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات».

ـ رسالة المؤتمر الخامس واردة ضمن رسائل الامام. . م. س. ص: 199

139 ـ انطلاقا من بعض الأحاديث ومنها:

ـ «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه». رواه أبو داوود عن أبي ذر.

ـ «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة . . . من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة». حديث صحيح رواه الترمذي عن عمر.

140 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي . . . م. س. ص: 41

التي أقامت صروحها على أساس قومي، فإن أنسب إطار للعمل في مرحلة الإعداد هو الدولة «القطرية»، بحيث تعمل كل جماعة داخل قطرها على تأليف المسلمين تهييئا لإقامة الدولة الاسلامية القطرية»(141).

هناك ثلاثة عوائق تحول دون بناء جماعة المسلمين القطرية :

- **العائق الأول** : يتعلق ببعض السلوكات المجتمعية التي يمكن إدراجها في ثلاث خانات :

- **الخانة الأولى** : سلوكات تعود الى الذهنية الرعوية، «وهي ذهنية النفوس القاعدة التي تنتظر أن يفعل بها ولا تفعل، وأن يدبر غيرها لها وهي لا تقدر أن تدبر».

- **الخانة الثانية** : سلوكات ترجع الى الأنانية المستعلية «يعوق أصحابها عن اقتحام العقبة امتلاء مما هم فيه وطلب المزيد مما هم فيه، قوم ظلموا أنفسهم وظلموا الناس».

- **الخانة الثالثة** : سلوكات تؤول «إلى العادة الجارفة للمجتمعات المسلمة في تيار التبعية للوضع السائد، المانعة لنا أن نعرف معروفا بميزان الشرع أو ننكر منكرا يلمه الشرع»(142).

- **العائق الثاني** : يرتبط بسلوك السلطة تجاه جماعة المسلمين والمتمثل في اضطهاد الدعاة.

- **العائق الثالث** : يكمن في وجود عديد من الجماعات الاسلامية المتناحرة داخل القطر الواحد، حيث كل جماعة تعتبر نفسها هي الوحيدة التي تمثل جماعة المسلمين بإطلاق(143). وترمي غيرها من الجماعات بأقدح النعوت وأبشع الصفات.

وتجاوزا لهذه العوائق، لابد من بناء جماعة المسلمين القطرية على أساس متين، تكون قاعدته أولا وأخيرا «التربية»(144)، ذلك أن الجماعة مهما كانت محكمة في بنياتها وقوية بكثرة أتباعها تظل مهزوزة في غياب التربية «تربية رجال يكونون مع الحق لا مع الهوى»(145).

ب- مرحلة القومة : من إقامة الدولة الاسلامية القطرية الى توحيد الأقطار الاسلامية

إذا كان البناءان التربوي والتنظيمي لجماعة المسلمين القطرية سليمين، فإن ذلك من شأنه أن يمهد لعملية الانتقال من مرحلة الإعداد الى مرحلة «القومة»(146).

---

141 - نفس المرجع. ص : 17
142 - نفس المرجع. ص : 15
143 - نفس المرجع. ص : 17
144 - راجع ما كتبناه حول هذا المعطى في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا القسم.
145 - عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي... م.س. ص : 18
146 - يستعمل عبد السلام ياسين مصطلح «قومة» بدل مصطلح «ثورة».

ما هي شروط القومة؟

يحدد عبد السلام ياسين شرطين ضروريين؛ فـ «متى بلغت الصحوة الاسلامية، درجة اليقظة والتجند الواسع، وبلغت السخطة الشعبية عرامتها، فقد توفر الشرطان الضروريان للقومة الاسلامية»(147).

ما هي مهام مرحلة القومة؟

تتحدد المهام في إنجاز وظيفتين أساسيتين تباعا تمهيدا لإقامة الخلافة على منهاج النبوة:

- **الوظيفة الأولى**: سعي جماعة المسلمين القطرية الى إقامة الدولة الإسلامية القطرية، ذلك أن جند الله عليهم ألا ينتظروا «أن يبدأ انتصار الاسلام في العالم بمعجزة من السماء، ليكن الهدف المباشر هو الزحف الأرضي للاستيلاء على الحكم»(148)، كما أن هدف إقامة الخلافة على منهاج النبوة «لن نبلغه بانتظار أن تنزل الخلافة مهيأة على حد سواء على كل الأقطار في وقت واحد، لابد من البدء بالإمارات القطرية حتى تتحرر دار الاسلام تباعا»(149).

- **الوظيفة الثانية**: توحيد الدول الاسلامية القطرية، ويكون مدخل ذلك التوحيد تنسيقا بين جماعات المسلمين القطرية في مرحلة الإعداد، تنسيقا «لا يثير داخل كل قطر حساسيات الخلافات خارجه»(150)، وبعد قيام الدول الاسلامية القطرية، تكون الأجواء مهيأة لإقامة دولة إسلامية واحدة(151)، واعتبارا لمزايا توزيع المسؤولية وتجنبا لمضار الحكومة المركزية،

- المرجع السابق. ص: 9-10-369

- «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين». . . م. س. س ص: 97

يشرح عبد السلام ياسين رفضه لاستعمال مصطلح ثورة: «الثورة جموح انفعالي تتجمع فيه الاثارة العارية الى إرادة طبقة ثورية معينة متجهة الى اليسار الى سقر، والانقلابية ثورة فئة على سائر الفئات، أما العمل الاسلامي في زمن الفتنة، فنهضة عامة تسبقها تربية ويقودها من يتوب من أي فئة أو من يسبق للمبادرة الاسلامية ممن لهم الطاعة التي أمرنا ألا نهتكها ولو جاروا».

- الاسلام غدا. . . م. س. ص: 17

147 - عبد السلام: المنهاج النبوي . . . م. س. ص: 230

من أجل المقارنة، يحدد أحد الاسلاميين شرطي الثورة (القومة) في رفض جماهيري للواقع إضافة الى إطار تنظيمي فعال من خلال النخبة المسلمة. أنظر:

- كمال السعيد حبيب: الاحياء الاسلامي من منظور مجلة الجهاد الاسلامي، 1986 وثيقة.

148 - عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي . . . م. س. ص: 18

149 - نفس المرجع. ص: 57

150 - نفس المرجع. ص: 18

151 - يقول حسن البنا:

«نريد أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الاسلامي الذي فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع

يستحســـن أن تتبـــنى الدولة الاسلامية المـوحدة شكـــلا فيـدراليا(152)،

إن توحيد الدول الاسلامية القطرية خطوة ضرورية لإقامة دولة الخلافة على منهاج النبوة. فما هي معالم هذه الدولة؟

2 ـ المعالـم

واجب جند الله إقامة الخلافة على منهاج النبوة، فما هي شروط الخلافة وما هي بنية دولتها؟

أ ـ شروط الخلافة

اهتم فقهاء السياسة الشرعية بتحديد شروط الخلافة أمثال الماوردي وأبي يعلـى الفـراء (153)، والتي تم حصرها بشكل عام في عشرة شروط:

- الشرط الأول : البلوغ
- الشرط الثاني : العقل
- الشرط الثالث : الحرية
- الشرط الرابع : الذكورة
- الشرط الخامس : النسب القرشي
- الشرط السادس : سلامة الأعضاء
- الشرط السابع : النجدة
- الشرط الثامن : الكفاية
- الشرط التاسع : الورع

الأوربية، ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التي تجعل من الوطن الاسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها، فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: «لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها الى بعض».

ـ الى الشباب، واردة في رسائل الامام... م.س. ص: 102

152 ـ عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي.. م.س. ص: 18

153 ـ لهذين الفقيهين كتابان يحملان نفس العنوان: «الأحكام السلطانية»، ولا يوجد أي اختلاف بينهما إلا على مستوى الإسنادات؛ إسنادات الماوردي «شافعية»، وإسنادات «الفراء» «حنبلية».

- الشرطع العاشر : العلم(154).

أثار تحديد شروط الخلافة ثلاثة تساؤلات :

التساؤل الأول : هل استجماع هذه الشروط أمر ضروري؟

منح الغزالي جوابا واضحا، لا يتطلب في الخليفة إلا شرط الورع، أما الشروط الأخرى، فيمكنه استعارتها ممن يحيطون به(155).

التساؤل الثاني : هل هذه الشروط متساوية في أهميتها؟

تشكلت الملامح الأولى للجواب عند الغزالي في تشديده على شرط النجدة (الشوكة)، بل أصبحت الشرط الوحيد عند الفقيه الشافعي بدر الدين بن جماعة(156).

التساؤل الثالث : ما المقصود بشرط القرشية؟

أجاب ابن خلدون بربطه شرط القرشية بالعصبية، ومادام أن العصبية القرشية تلاشت، فلا داعي لاشتراطه(157).

يرى عبد السلام ياسين أن الشروط المتطلب توفرها في الخليفة تجمعها الكفايات الثلاث : الكفاية الروحية والكفاية الفكرية والكفاية العلمية(158)، وينتقد الفهم الذي يربط الشرط القرشي بالنسب القبلي، إن «النسب القبلي لا مزية له من نفسه، بل هو العصبية بعينها والرجعية والتنكر للإسلام، ولبئس نظام يقيس كفاية الناس بانتمائهم العرقي. . . إن إمام الأمة وخليفة رسولها ينبغي أن يكون أكرم الناس على الله وعلى الناس، والقرآن الكريم يعلمنا أن أكرمنا عند الله أتقانا، ورسول الله يقول: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»(159).

إذن، لابد من فهم صحيح لدلالة شرط القرشية، وهنا يحيل عبد السلام ياسين على (محيي الدين بن عربي) الذي ذكر أن «قريشا التي يكون منها الأئمة ليست القبيلة، بل هي أمة الداعين الى الله الجامعين القارشين(160) ولا يكون إماما إلا من جمع الأمة وجمع الحكمة

154- الغزالي : «فضائح الباطنية» وارد في
- محمد ضريف : تاريخ الفكر السياسي بالمغرب. م. س.
155- حول هذا المعطى، أنظر: المرجع السابق.
156- «تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام». وارد في المرجع السابق.
157- «المقدمة». وارد في المرجع السابق.
158- عبد السلام ياسين : الاسلام غدا. . . م. س. ص :
159- نفس المرجع
160- قال في اللسان: القرش: الجمع والكسب والضم من ههنا وههنا. المرجع السابق.

والروحانية، فقريش القرش علم وهبته الحكمة ولم يهبه التأويل، ومن يتصدى لميراث رسول الله(ص) وخلافته في أمته فلن يكون إلا إن عد في المسبحين وعد في القارشين، الذين يسبحون باسم ربهم ويقرأون باسمه، يجمعون ما لا يقدر على جمعه إلا أهل الكلام»(161).

يضاف إلى هذا الفهم لشرط القرشية، شرطان قرآنيان متطلبان، حسب ابن تيمية، فيمن يتولى الأمر العام(162) وهما الأمانة والقوة(163).

إن تحديد الشروط ينبغي أن يستحضر كون «الخلافة على المنهاج النبوي تحدد الكفايات بالهدف والمقصد والغاية، ولن يطابق هذا المعيار أمراؤنا وقادتنا ببأس ومراوغة، لكن بالسعي الى الاكتمال باقتحام العقبة صادقين على السمت والتؤدة والاقتصاد»(164).

ب- بنية الخلافة

تتشكل بنية الخلافة من عنصرين: عنصر الدعوة وعنصر الدولة، ويظل التساؤل المطروح حول علاقتهما: «ماذا يكون مقام الدعوة تحت الدولة الاسلامية؟ أتذوب لتبقى الدولة؟ أم كيف تؤدي واجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوجيه السفينة، وهي محتفظة بوحدتها واستقلالها عن الحكومة؟»(165).

الجواب جلي: «يجب أن نميز بين قيادتين، يجب أن تبقى وظيفتهما متميزة في ظل الحكم الاسلامي هما قيادة الدعوة وقيادة الدولة»(166)، هذا التمييز ينبغي أن يطال مستويين:

- المستوى المؤسسي: فـ«لابد أن تكون للدعوة مجالسها ومؤسساتها ورجالها الى جانبها مؤسسات وأجهزة ورجال الحكم»(167).

- المستوى الوظيفي: فوظيفة الدعوة أن «ترسم للمؤمن ولجماعة المؤمنين طريق طاعة الله والتقرب منه والتزكي من الخبائث لمناجاته والاستعداد للقائه في دار البقاء»(168)، «مهمة

161- نفس المرجع

162- يستخلص ابن تيمية هذين الشرطين من اقتراح بنت شعيب على أبيها: «قالت يا أبت استأجره، إن خير من استأجرت القوي الأمين».

- المرجع السابق.

163- نفس المرجع.

164- نفس المرجع

165- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 452.

166- عبد السلام ياسين: الاسلام غدا.. م.س. ص: 816

167- عبد السلام ياسين: المنهاج النبوي... م.س. ص: 452..

168- عبد السلام ياسين: الدعوة والدولة. مجلة الجماعة. العدد 3....م.س. ص: 4.

الدعوة بعد أن تصبح الدولة بيدها، طوع إرادتها، أن تستصلح الوسائل المادية والمالية والتقنية والإدارية لخدمة المطالب الدنيوية، أي أن ترعى مقاصد الشرع «من جانب الوجود»، في ميادين «العادات» و«المعاملات»(169)، وباختصار، فإن جهاز الدعوة هو الذي يتخذ «القرارات المصيرية والعامة»(170)، أما الدولة فـ «ترتب شؤون الأمن المادي والاجتماعي والجهادي لتوفر للمؤمن وسط جماعة المؤمنين ظروفا مواتية لينشد الغاية التي من أجلها خلق، ألا وهي الاستعداد للدار الآخرة بالعمل الصالح والتهيؤ لمعرفة الله بصفاء القلب، وإخلاص كل ذلك من شوائب النفس والطغيان بالعلم النافع، علم الكتاب والسنة»(171)، ووظيفة الدولة «صيانة المطالب الاسلامية وحياطتها بأن تدرأ عنها الاختلال الواقع والمتوقع فيها» (172)، وهي باختصار جهاز التنفيذ(173).

إن التمييز بين جهاز الدعوة وجهاز الدولة ليس تمييز تضاد، بل هو تمييز تكامل، فالدعوة هي اليد اليمنى للدولة دون أن تتحول إلى «أداة تنهمك في شؤون الهدف، فتضيع المقصد والغاية»(174).

---

169 ـ عبد السلام ياسين : نظرات في الفقه والتاريخ . . . م . س . ص : 82

170 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م . س . ص : 452

171 ـ عبد السلام ياسين : الدعوة والدولة . مجلة الجماعة . العدد 3 . . . م . س . ص : 4

172 ـ عبد السلام ياسين : نظرات في الفقه والتاريخ . . . م . س . ص : 82

173 ـ عبد السلام ياسين : المنهاج النبوي . . . م . س . ص : 453

174 ـ عبد السلام ياسين : الاسلام غدا . . . م . س . ص : 817

ملحـق :

«الوجيز في التعريف بجماعة العدل والإحسان»

تعتبر رسالة «الاسلام أوالطوفان» وهي النصيحة التي بعثها الأستاذ عبد السلام ياسين لملك المغرب سنة ١٩٧٤ ، أول عمل تقوم به «جماعة العدل والاحسان» في شخص مرشدها وبعض مسيريها ، وكانت رسالة مفتوحة في أكثر من مائة صفحة ، ناصحة ومعرية للواقع البئيس الذي يرزح الشعب الغربي تحت كلكله ، من جراء السياسة اللاإسلامية التي يتبعها النظام على كل المستويات : اقتصاديا واجتماعيا وتعليميا . . .

وقد كان جزاء الأستاذ ياسين على هذه النصيحة ، ثلاث سنوات ونصف السنة من الاعتقال التعسفي بدون محاكمة ، بينما قضى أخواه محمد العلوي وأحمد الملاخ ، اللذان ساعداه في هذا الأمر الجليل ، خمسة عشر شهرا بيدين مقيدتين وعينين معصوبتين في معتقل سري .

وبعد الإفراج عن الأستاذ ياسين في مارس ١٩٧٨ ، ولج المسجد ليخاطب الناس بكلمة المعروف ، فمنع وطرد من بيت الله .

ثم أنشأ مجلة الجماعة ، فصدر العدد الأول منها في فبراير ١٩٧٩ بعد عام من الخنق ، وصادروا العدد الخامس ، ثم جالت الشرطة على المكاتب بعد صدور العدد العاشر الذي تحدثت افتتاحيته عن رسالة القرن الملكية بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري ، ووضعتها في ميزان الاسلام ، وهددوا أصحابها إن هم استمروا في توزيعها بعد اليوم ، بل أرغموهم على إمضاء تعهد بذلك ، وصادروا ما وجدوه من أعدادها ، وبقيت الكلمة المحرمة تصل بعد ذلك عبر الأيدي المتطوعة ، إلى أن تمت مصادرة العدد السادس عشر سنة ١٩٨٥ ، ولازالت موقوفة الى الآن .

وعلى صفحات هذه المجلة ، نشر الأستاذ عبد السلام ياسين «المنهاج النبوي ؛ تربية وتنظيما وزحفا» وعلى امتداد أربعة أعداد ، فيما يقارب ٥٠٠ صفحة ، والمنهاج النبوي مفصل للعمل الاسلامي حاضرا ومستقبلا ، وقد كانت بدايته في غشت ١٩٨١ ، أي قبل شهر من تأسيس «أسرة الجماعة» .

ففي شتنبر ١٩٨١ ، وبعد محاولات باءت مع الأسف بالفشل ـ لتوحيد العمل الاسلامي

داخل القطر، تأسست «أسرة الجماعة» بقيادة الأستاذ عبد السلام ياسين والتفاف الشباب الاسلامي حوله لما وجدوا فيه من إشباع روحي وفكري، ولما عرفوا عنه من قوة في الحق، وجرأة على محاربة الظلم والظالمين.

وسنة من بدء العمل، اتجهت الجماعة الفتية للأخذ بالأسباب القانونية، ولكن أساليب المكر الصبيانية، كانت دون المستوى الذي تدعوه الوسائل الرسمية في كل مناسبة وبدون مناسبة، فبعد أن قدمنا ملفا قانونيا للجهات المختصة في شتنبر ١٩٨٢ نطالب بحقوقنا في التجمع والتعبير والتحرك. وبعد أن انصرم الأجل المحدد في القانون، وظننا أن جمعيتنا اعترفوا بها. طلبوا إلينا رد الاعتراف المؤقت الذي منحونا إياه، زاعمين أنهم يريدون إنهاء المشكل وإعطاءنا الترخيص النهائي. ولما تسلموا الوصل رفضوا إتمام الأمر بدعوى أننا نريد اقتحام ميدان السياسة تحت شعار الجمعية.

وجددنا الكرة في أبريل ١٩٨٣، فقدمنا ملف جمعية أخرى، ونصصنا على أنها «جمعية ذات صبغة سياسية» تهتم بتوعية المنخرطين خاصة، وأفراد الشعب عامة، بحقوقهم السياسية (الهدف السياسي - الفصل الثاني من القانون الأساسي). وفي نوفمبر ١٩٨٣ أصدرت الجماعة صحيفة «الصبح» تحت شعار قوله تعالى: «إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» فوئدت مبكرا، حيث حجز العدد الثاني من المطبعة.

وفي ٢٧ دجنبر ١٩٨٣ اعتقل الأستاذ عبد السلام ياسين «بسبب ما جاء في العدد الأول من «الصبح» وكان الهدف من هذا الاعتقال والمحاكمة التي تلته واضحا: إنها محاولة القضاء على هذه الجماعة في المهد، بقطع الرأس وفصله عن الجسد، ولكن خاب ما دبروا، فقد أظهر المؤمنون الملتفون حول مرشدهم، أن القضية قضيتهم، وأن الأمر جماعة وليس شخصا.

تجلى ذلك في الحضور المكثف للشباب الاسلامي لمتابعة محاكمة الأستاذ ياسين رغم التهديد الموجه للشعب كله بعد أحداث الخبز في يناير ١٩٨٤، ولم تحضر السلطات وقتها الأستاذ ياسين للمحكمة.

نفس الأمر تكرر في ٢٣ فبراير من ذات السنة (١٩٨٤) فقد أعلنت السلطات عن الموعد الثاني للمحاكمة، دون أن تحضر السيد المرشد وكان إعلانها خطة ساقطة لاعتقال ٧٢ أخا من بين الجموع الغفيرة التي حضرت لمتابعة القضية، هذه الجموع التي استعملت في حقها الهراوات والسيارات التي كانت تخترق الصفوف بكل وحشية.

وفي ٢٣ مارس أيضا، أعلن عن موعد ثالث للمحاكمة ومرة أخرى يغيب الأستاذ ياسين، ويعتقل ٨٠ مؤمنا من بين الحاضرين للمحاكمة.

وأخيرا أصدرت المحكمة الابتدائية بسلا، في ماي ١٩٨٤ حكما بسنتين نافذتين، وغرامة مالية قدرها ٥٠٠٠ درهم على الأستاذ عبد السلام ياسين.

ونذكر أنه في يناير المشار إليه سابقا، صدرت صحيفة «الخطاب» فلقيت مصير أختها «الصبح» حيث وئدت منذ عددها الأول، وحوكم عدد من الإخوة بتهمة توزيعها وهكذا حكم على الأستاذ محمد بشيري وعلى جماعة من إخوته بالبيضاء بأحكام بين ثمانية أشهر وسنتين نافذتين، أصبحت بعد الإستئناف ثلاثة أشهر، وحكم على الأخ سعيد الغنيمي بخمس سنوات نافذة.

وعرفت سنتا سجن السيد المرشد زيارات منتظمة لسجن لعلو الرهيب، كانت عبارة عن تظاهرات سياسية مرتين في الأسبوع (الخميس والسبت) يحضرها عشرات المؤمنين بل يتجاوز العدد أحيانا المائتين. وكان الأستاذ ياسين يلقي خلال هذه الزيارات أحاديث وتوجيهات سياسية وتربوية جد رفيعة.

كما كانت هاتان السنتان مليئتين بالمضايقات والاعتقال وخاصة القيادة. فكان مسيرو الجماعة يعتقلون من حين لآخر، وكثيرا ما بلغت مدة الاعتقال أربعين يوما وبدون محاكمة.

وبلغ كل عضو نصيبه من التعسف البوليسي، سواء في مدينته أو في قريته أو عند زيارة الأستاذ المرشد بالسجن.

وانتهت السنتان، وخرج الأستاذ ياسين من السجن، في آخر يوم من عام ١٩٨٥، وأصبح بيته قبلة آلاف المؤمنين، من كل مدن المغرب وقراه، واستمرت استفزازات البوليس للأخوة الزائرين، فكانت المطالبة ببطائق التعريف عندكل زيارة، وكان الشتم والضرب أحيانا ولم تنج الأخوات من قريبات السيد المرشد، في بعض الأحيان، من هذا اللؤم وهذه الخسة الى أن امتنع الأخوة عن إعطاء بطائق التعريف للبوليس ابتداء من دجنبر ١٩٨٨.

وكانت السلطات قد دشنت حملتها هذه بمنع الأستاذ محمد بشيري من إعطاء الدروس بأحد مساجد الدار البيضاء، وذلك في فبراير ١٩٨٧، تلك الدروس التي كان يحضرها الآلاف من المؤمنين الذين كانت تضيق بهم جنبات بيت الله، فيضطرون للبحث عن أماكن خارجة مما كان يتسبب في شلل حركة المرور في كثير من الأحيان، ذلك لما ألقاه الناس في الأستاذ بشيري، من صدق وتميز وجرأة في الصدع بكلمة الحق، وعمل دؤوب من أجل نزع الخوف من نفوس الناس وقلوبهم وتوعيتهم، وإزالة هالة القداسة عن وجه الظلم البشع.

ولكن هذه الصفات وهذه الخصائص، لم تفتر والحمدلله، فقد وجدت متنفسا لها، لعله أرحب من الأشرطة المسموعة التى تم تسجيلها بالمسجد، والتي بلغ عددها ما يقارب ثلاثمائة شريط. ونعني بهذا المتنفس أشرطة الفيديو التي أصبحت تنقل دروس الأستاذ محمد بشيري في «التوعية السياسية» خلال المناسبات، والتي وصلت الى ٢١ شريطا.

ونشير من جهة أخرى، الى الأشرطة المصورة التي أصبح الأستاذ عبد السلام ياسين يبث من خلالها أحاديثه القيمة، التي يحلل فيها تاريخ المسلمين، ويبشر بموعود رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعودة الخلافة على منهاج النبوة بعد زوال الملك العاض وبعده الجبري ونقصد أحاديث «في العدل والإحسان» التي بلغت، قبيل الإقامة الاجبارية المفروضة على الأستاذ 10 أشرطة.

وقد سبقت هذه الموجة العاتية من الظلم المتمثلة في هذا الحصار الجائر سلسلة من المضايقات والإستفزازات.

ذلك أنه في خريف ١٩٨٩ بدأت مرحلة التصعيد الشديد والقمع الذي لازالت الجماعة تصطلي بناره إلى الآن.

ففي ٥ أكتوبر ١٩٨٩ اختطف الأستاذ منير الركراكي وأوذي وعذب ثم أفرج عنه بدون محاكمة.

وفي أواسط نونبر اختطف عشرة إخوان من الدار البيضاء أسبوعا وبدون محاكمة أيضا.

وفي ١٦ نونبر بدأت حملة الجنوب التي شملت ثلاثين أخا قدم منهم لمحكمة تارودانت ٢٤ بعد أن عذبوا أبشع تعذيب. إهانة وضربا وكهرباء، وصدرت في حق ثمانية عشر منهم أحكام قاسية تتراوح بين شهر وسنة مع غرامات. وعاش الإخوان في سجن أكادير مرارة إهانة الكرامة الانسانية في زنزانات حشر فيها أضعاف ما تتسع له. وخفض عدد المحكوم عليهم الى سبعة بعد الاستئناف الذي بث فيه محكمة أكادير في ١٨ يناير وبمدد تتراوح بين ٤ أشهر و٦ أشهر مع غرامات.

وكانت قبضة الخنق والتعسف قد اشتدت قبل هذا التاريخ، ففي ٣٠ دجنبر ١٩٨٩ وضع الأستاذ عبد السلام ياسين في الإقامة الجبرية ومنع من زيارته حتى شيوخ أقاربه وعجائزهم.

وتعالت موجة الاعتقالات والمحاكمات، فكانت محاكمة القنيطرة التي قضت في حق ستة من الإخوة بأحكام تتراوح ما بين ٦ أشهر وسنتين وغرامة وصلت في مجموعها إلى ما يقارب تسعة ملايين سنتيم، ولاقى الإخوة في سجن القنيطرة الأمرين، ضيقا ومضايقة وصلت في حق أحدهم الى أن جرد من جميع ملابسه أمام الملأ، وضرب وزج به في «الكاشو» ٢٤ ساعة.

ثم كانت محاكمة الرباط والمحمدية والدار البيضاء في حق ثلاثة إخوة.

وكان القاسم المشترك بين هذه المحاكمات تهمة الانتماء لجمعية غير مرخص بها، والتوفر على وثائق وكتب «تخل بالنظام العام»، وكانت الفضيحة الكبرى التي لازالت تهز الأوساط الى الآن، هي حجز القرآن الكريم ضمن هذه الوثائق «المخلة بالنظام العام».

وفي ١٣ يناير ١٩٩٠ بلغت الاعتقالات قمتها، حيث اعتقل خمسة من أعضاء مجلس الارشاد وهم الأساتذة : محمد العلوي، محمد البشيري ومحمد العبادي وفتح الله أرسلان

وعبد الواحد المتوكل، وهم يهمون بزيارة الأستاذ عبد السلام ياسين، ثم أضيف إليهم الأستاذ عبد الله الشيباني في نفس اليوم، وقدم جميعهم للمحاكمة، بعدما ظلوا تحت الحراسة النظرية مددا أطول بكثير مما يسمح به القانون وقد لاقى الأستاذ الشيباني في خلال هذه المدة تعذيبا شديدا.

وفي ١٦ مارس ١٩٩٠، صدر الحكم الابتدائي القاضي بسنتين سجنا نافذتين وغرامة ١٠,٠٠٠ درهم لكل واحد منهم، بعد جلسات مثيرة، كان من بين إثارتها القمع والضرب المؤدي الى الجرح والكسر البالغين الذي كان يتعرض له مئات الإخوة الذين كانوا يحضرون هذه المحاكمة.

وخلال هذه المحاكمات كان كل الأعضاء في كل قرية ومدينة، يكابدون تعسفات البوليس، حيث كانوا يرغمون على توقيع محاضر تقضي بلا قانونية الجمعية، وبعدم زيارة الأستاذ المرشد وممارسة أي نشاط.

وفي ٢٤ أبريل ١٩٩٠ نطقت محكمة الاستئناف بالحكم في قضية الإخوة المتابعين بالقنيطرة وأعلنت براءة جميع المتهمين باستثناء واحد خفف الحكم الصادر في حقه الى ٤ أشهر بعد ما كان سنتين وغرامة ٣٠٠٠ درهم، كما أعلنت نفس المحكمة أن الجمعية تزاول نشاطها في مشروعية كاملة، وأنها سلمت ملفها وفق مسطرة سليمة.

ثم بدأت أطوار استئناف أعضاء مجلس الارشاد، ففي صباح ٨ ماي ١٩٩٠ كان وسط العاصمة على موعد مع حدث كبير، حيث حج آلاف الأخوة الى الرباط لحضور المحاكمة، وبعد محاولة السلطات منعهم، اعتصم الإخوة بالشارع الرئيسي بالمدينة أمام المحكمة ومجلس النواب ساعتين، لجأت الشرطة بعدهما، وبكل أنواعها الى التنكيل بالمؤمنين، وجرهم الى ساحة المحكمة التي أصبحت عبارة عن معتقل كبير، ولم يفرج عنهم إلا في ساعة متأخرة من الليل بعد تسجيل أسمائهم.

ونشير إلى أنه في الصباح الباكر من هذا اليوم (٨ ماي) أقيمت الحواجز في الطرق المؤدية الى الرباط، وأنزل الأخوة من الحافلات وسيارات الأجرة، وسيقوا الى مراكز الشرطة بالمدن التي اعتقلوا بها. كما تم اعتقال من كتب له تخطي المتاريس بمحطات الحافلات والقطار بالرباط، بل وفي الأزقة والشوارع وزج بالجميع في كوميساريات العاصمة التي استحالت رباطات للإخوة. وللتذكير ففي مساء هذا اليوم ٨ ماي، كان للمغاربة موعد مع إعلان الملك عن إنشاء «المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان».

وبعد هذا اليوم، تأجلت المحاكمة تأجيلا غير قانوني الى أجل غير مسمى الى أن كانت جلسة ١٧ يوليوز التي حضرها المحامون والبوليس فقط، بعد أن قاطعها الإخوان وعائلات الأحبة المسجونين.

وفي يوم الثلاثاء ٣١ يوليوز ١٩٩٠ أكدت محكمة الاستئناف الحكم الابتدائي الجائر الصادر في حق إخواننا.

وعموما فإن كل هذه المحاكمات عرفت خروقات قانونية، سواء في مدد الحراسة النظرية، وفي المحاضر المزورة، وأثناء الجلسات.

وقد كانت هذه الخروقات والمضايقات التي تعرضت لها جماعتنا بصفة عامة، موضوعا للأوساط والمنظمات المهتمة بالحريات وحقوق الانسان في الداخل والخارج. لعل آخرها الوثيقة الصادرة عن منظمة العفو الدولية في يونيو ١٩٩٠ تحت عنوان «المغرب: محاكمات العدل والاحسان» بواعث قلق منظمة العفو الدولية.

أما بالنسبة للأستاذ عبد السلام ياسين، فلايزال تحت الإقامة الجبرية، ولم يكن يسمح له بالخروج إلا الى أداء صلاة الجمعة بالمسجد القريب من منزله، وما أن علم الإخوة بخروج المرشد للصلاة بالمسجد حتى بدأت تتقاطر عليه وفود الإخوة العاملين في حقل الدعوة الى الله، يتضاعف عددهم جمعة بعد جمعة، فيلقي فيهم كلمات توجيهية غالبيتها تصب في محورين:

- المحور الأول: الصبر والاحتساب، ومضاعفة الجهود الدعوية لبناء الجماعة، وتكثير السواد، وإسماع صوت الدعوة في كل النوادي، والى كل الآذان، في حكمة وتؤدة، ورفق، ونبذ العنف بكل مظاهره ومختلف أشكاله.

- المحور الثاني: التنبيه والتحذير من الاعتماد فقط على الأسباب ونسيان مسبب الأسباب الذي يتصرف في كونه كيف يشاء ويختار، مقلب القلوب والأبصار، رب العزة القوي الجبار.

واستمر الأمر هكذا الى يوم الجمعة ١١ محرم ١٤١١ الموافق لـ ٣ غشت ١٩٩٠، وهي الجمعة التي تلت النطق بالحكم الاستئنافي الظالم في حق إخواننا أعضاء مجلس الإرشاد، حيث التحق بالمسجد، وفي الساعة الأولى من فتح أبوابه، بضعة آلاف من الإخوة، هم الذين استطاعوا أن يجتازوا الحواجز التي نصبتها الشرطة في الطرقات، وفي مداخل المدينة، ومحطات الحافلات والقطار.

وجاء السيد المرشد كعادته، ومالبث في المسجد إلا قليلا حتى جاء مبعوث السلطة يستدعيه الى مقصورة الإمام، حيث وجد مسؤولين أبلغاه في تهديد قوي، ووعيد شديد، أمر السلطات بعدم إلقاء أي كلمة، واعتبار عمارة الإخوة المسجد تجمعا غير قانوني!

وبعد أداء صلاة الجمعة ألقى الأستاذ عبد السلام ياسين كلمة مؤثرة، بين فيها المرحلة التي ستدخلها الجماعة، أو المواجهة الجديدة التي ستفتحها في مواجهة الظالمين، وهكذا أعلن أننا

سنرفع أمرنا الى المحكمة العليا، الى الله القوي العزيز، وسنشكو ظالمينا الى المنتقم الجبار، وسنفتح جبهة لمحاربتهم، بما لا طاقة لهم به، إنه قنوت شهر، شهر صفر، إن لـم يتم إنصافنا فيما تبقى من محرم، وتضرع مستمر للمولى بأن يفتح بيننا وبينهم بالحق، مع التأكيد المشدد على أن الجماعة مستمرة بعون الله وتأييده، في عملها وتحركها دعوة وتكثيرا للسواد، وممارسة لنشاطاتها، بما هو معروف عنها من رفق وتؤدة وابتعاد عن العنف والتهور.

وتمادت السلطات في استعلائها بغير حق، واستمر الحصار والظلم، ولم تعر الأمر اهتماما، وكأن المسألة لعب وبهلوانية، وتحدث هؤلاء الآلاف من المظلومين المتضرعين الى ربهم سبحانه، مع نساء المسجونين والموقوفين من عملهم، وأبناء هؤلاء جميعا، فكان بعض ما رأينا ونرى من استجابة الله بمنه وتفضله بإخزاء الظالمين وإظهارهم على حقيقتهم في الداخل والخارج، والله يمهل ولا يهمل.

المحتوى

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الإيداع القانوني رقم 1995/513
ردمك 9981-847-05-4